مجلة الدراسات الافريقية



العدد الثالث

١٩٧٤

يصدرها سنويا معهد البحوث والدراسات الافريقية ـ جامعة القاهرة

مجلة الدراسات الافريقية



العـدد الثالث

١٩٧٤

يصدرها سنويا معهد البحوث والدراسات الافريقية ـ جامعة القاهرة

رئيس التحرير : **الاستاذ الدكتور محمد عبد الغنى سعودى .**

ترسل المقالات والابحاث على العنوان التالى :

الاستاذ الدكتور محمد عبد الغنى سعودى
معهد البحوث والدراسات الافريقية
جامعة القاهرة

محتويات العدد الثالث ١٩٧٤

اولا ــ بحوث باللغة العربية

ثانيا ــ المؤتمرات :

ثالثا ــ بحوث بلغات غير عربية :

رقم الايداع بدار الكتب ٢١٣ لسنة ١٩٧٤

مجلة الدراسات الافريقية (١٩٧٤)

الوجود الاقتصادى الصينى فى أفريقية

للدكتور محمد عبد الغنى سعودى
استاذ ورئيس قسم الجغرافيا
بمعهد البحوث والدراسات الافريقية ـــ جامعة القاهرة

THE ECONOMIC PRESENCE OF CHINA IN AFRICA

By

Dr, M.A. SEOUDY

China's appearance on the African stage began in the fifties, especially since Ban Dung conference in April 1955. It was not by accident that China met Africa in that decade. That period was characterized by a change in China's status from a regional power in EastAsia to an ambitious state looking forward for a world position. On the other hand Africa began its emanicipation and having its fate in her own hands.

The Chinese African relations were on the ground of peaceful co-existense, which Chou En Lai stressed in his African tour in 1964.

We can divide these relations in four main phases :

1. 1949-1955, there was no clear relations.

2. 1955-1960, China gained the recognition of four African states, Egypt, sudan, Morrocco, Guinea.

3. 1960-1965 : Twenty five African colonies gained independence, so there were frequent visits by Chou-En Lai, not only to North Africa, but also to Africa South of the Sahra. That period coincides with the Chinese- Soviet conflict.

4. 1955-1970, A period of concentration of relation with African countries.

The Importance of Africa to China may be summed in :

(a) After Indpendence, there have been a great number of African Sovereign states, so through establishing Diplomatic relations China would guarantee non isolation.

(b) Challenging U.S.A. and U. S. S, R. in Africa on the ground of the Afro-Asian struggle.

(c) Clarifying the Chinese revolution to the African countries which the other powers are denouncing.

China's trade with Africa is characerized by limitation in both quantity. and quality, since the economies of Africa and China are not complementary. China's imports are concentrating on importing cotton from Egypt, Sudan and Uganda,and it is impropable thatChina would import cocoa or coffee at least in the near future.From time to time someAfrican countries expcrt grain to China as it happened in 1962/63 by Rhodsia and Nyssaland. China absorbs phosphate from Morrocco and Tractors from Algeria and Morocco. No doubt Africa could supply China with strategic metals as copper, iron ore cobalt, uranium and petrolum. Africa is considered a good and wide market fcr Chinese commodities such as textiles. In the future Africa may be a consumer for China's capital goods.Never the less, it is clear that China's export increased from $ 33 million in 1956 to $ 133 M. in 1966, and Africa's share in China's exports were 1.8% to 6% respectively. concerning imports from China, in creased also from $ 28 m. in 1956 to $ 67 m. in 1967. Africa is more important to China, than China to Africa. Nevertheless China is considered an impotant client to some African countries. For example China's share in Uganda's exports was 8.5% in 1961, more than 7% for Egypt in 1965, and it is of considerable importance for some countries likeMorocco, Sudan, Tanzania and Zambia.

China offered loans, grants and also experts for African countries. But the Chinese aid could not be compared with that of the U.S.A. or the U.S.S.R. In the end of 1969 its total aid to Africa was about $900 m. covering twenty four African countries. (excluding the Aid for Tanzam Railway). While, it was$ 6800 M. for the U.S,S.R. By the end of 1968, less than $200 m. were cnsumed by Africa, most of the loans resulted for example in construction of light industries, as cigarette, match, textile factories, and instrution on by Chinese experts in soil analysis, irrigation schemes, rice and tea growing. In fact china puts priority to agriculture, wherease the Russian stress on industry.

In the competition between China and U.S.S.R. in aid for Africa, China tries to compensate quantity by quality.China does not charge intrests for the loans it offers, and repayment is distributed on a long period.

Construction of the TanZam Railway is part of president Kuanda's plan to take Zambia out of the South African economic orbit. An appeal both to the world bank and the U.S.S.R. failed in 1964. China offered to undertake the project in 1965, after Nyrer's visit to peking. On September 5, 1967 the railway agreement between Tanzania, China was signed in Peking. The Tanzam railway cost is $ 167 million. Work in this project was inagurated officially on 26 Sept. 1970.

If the Soviet economic achievments in Africa is crowned by the High Dam in Egypt, then the Tanzam railway is the spearhead achievment for China in Africa.

ظهور الصين على المسرح الافريقى

تطورت جمهورية الصين الشعبية فى العشرين عاماً الماضية ، وأصبحت ذات قوة اقتصادية وذات طموح سياسى . وليس من شك فى أن الصين الآن تعتبر من القوى العالمية ، القائمة بذاتها ، بعد أن خرجت من حظيرة الاحتواء السوفيتى وطورت بنجاح تجاربها الذرية ، ومن ثم بعد أن كانت الصين عام ١٩٥٠ قوة إقليمية آسيوية أصبحت فى أوائل السبعينات قوة عالمية ، ولئن اختلف الرأى فى مدى قوتها العالمية فان مساحتها الضخمة وسكانها الذين يربون على السبعمائة مليون ومواردها الطبيعة وأخيراً كانت زيارة الرئيس الأمريكى لأرضها والاعتراف بها فى الأمم المتحدة مما لا يترك مجالا للشك فى تطور أهميتها فى المجال الدولى .

وقد صادف تطور الصين من قوة إقليمية آسيوية إلى قوة عالمية ، تحول الأقطار الإفريقية من التبعية الاستعمارية إلى الإستقلال السياسى ، ومن ثم لم تعد الدول الأفريقية مغلقة أمام التأثيرات الخارجية غير الغربية . فقد كانت إقامة علاقات اقتصادية مع الدول غير الغربية فى حكم العدم . وكانت مصر هى الدولة الوحيدة التى تاجرت مع روسيا فى العشرينات ولكن نظراً لأن بريطانيا كانت مسيطرة على مصر تماماً ، فلم تكن تسمح بطبيعة الحال بعقد اتفاقات تجارية بين القطرين وكان حجم التجارة بينهما صغيراً حتى توقف النبض تماماً قبيل الحرب العالمية الثانية [١] .

---

(1) **Rubinstein, G., «Aspects of Soviet African Economic Relations», Jour. of Modern African Studies, Vol. 5, No. 3, P. 388.**

هكذا كان للتطور السياسى الذى شهدته الأقطار الإفريقية بعد الحرب الثانية أثره فى إمكانها إقامة علاقات سياسية وإقتصادية وفنية مع العالم الاشتراكى ومنه الصين كما كان للتغيرات فى الشئون العالمية منذ أوائل الخمسينات آثارها فى خلق الحوافز والفرص للقاء بين الصين والدول الإفريقية .

ويمكن القول بأن ظهور الصين على المسرح الإفريقى بصورة واضحة يرجع إلى أوائل العقد الماضى وأواخر الخمسينات وبصورة أكثر وضوحاً منذ مؤتمر باندونج فى أبريل ١٩٥٥ الذى كان بداية وافتتاحية لعلاقات صينية إفريقية[1] . ومنذ ذلك التاريخ وتزداد أهمية إفريقية فى السياسة الخارجية الصينية التى تبذل جهداً كبيراً فى كسب الأصدقاء حتى أنه فى عام ١٩٦٩ كانت هناك ثلاثة عشر دولة إفريقية قد اعترفت بالصين ، كما ظهر أثر الصينيين فى تأييد حركات التحرر الإفريقية من ناحية ، وزيادة العون الإقتصادى من ناحية أخرى .

غير أنه لا يمكن فهم الوجود الاقتصادى الصينى فى إفريقية إلا على ضوء الظروف السياسة الدولية ، والدور الذى يلعبه القطبان الكبيران : الولايات المتحدة الإمريكية والإتحاد السوفيتى . فمنذ عام ١٩٥٦ بدأ النشاط الصينى فى أفريقية على المستويين الدبلوماسى والإقتصادى ، ونظراً لأن حركات التحرير لمعظم الدول الإفريقية تأخرت فى معظمها إلى العقد السادس ، ومن ثم كانت أكثر الاتصالات أهمية فى باندونج هى مع مصر التى كانت أول دولة إفريقية اعترفت رسمياً بجمهورية الصين الشعبية .

وكان أساس العلاقات الديبلوماسية بين الصين والدول الإفريقية هى مبادئ التعايش السلمى وهى عدم الاعتداء وعدم التدخل فى الشئون الداخلية للدولة الأخرى والمساواة والمصالح المتبادلة وقد أكد شوابن لاى [2] هذه المبادئ أثناء جولته عام ١٩٦٤ فى افريقية مؤكدا على أربع نقاط وهى : —

---

(1) Tareq, I. «The Peoples Republic of China and Africa», Jour. of Modern African Studies, Vol. 9, No. 4, 1971, P. 507.

(٢) بدأت زيارة شوين لاى لافريقية مصحوبا بوفد مؤلف من ٦٠ صينيا من منتصف ديسمبر عام ١٩٦٠ لمدة شهرين زار فيها عشر دول أفريقية فى شمال وغرب القارة ، راجع :
Scalapino, A.R. «Sino Soviet Competition in Africa», Foreign Affairs, Vol. 47, No. 4, 1964, PP. 641...644.

١ ــ إن الصين قد كسبت نصرها مبكراً عن الدول الافريقية وبالتالى تقوم بواجبها نحو مساندة الدول التى حققته بعد ذلك أى مؤخراً وأن المصالح المتبادلة بين الصين والدول الإفريقية تفسر على أن أى إضعاف للإمبريالية يفيد الصين وأن السياسات الإفريقية التى تقوم على السلم والحياد وعدم الانحياز ذات أهمية للطرفين .

٢ــ إن الصينين يؤيدون الوحدة على مستويات متعددة للأفارقة : وحدة الشعب فى أى قطر من الأقطار للنضال ضد الإتحادات الإمبريالية ، وحدة الأقطار الإفريقية عن طريق ازالة الحدود الصناعية وبالشكل الذى يختارونه لأنفسهم وحدة الشعوب الإفريقية مع الشعوب الآسيوية وشعوب أمريكا اللاتينية فى نضال مشترك .

٣ ــ يؤكد الصينيون مبدأ الاعتماد على النفس كمفتاح للتغلب على التخلف الإقتصادى والفقر ويعارض الصينيون الإعتداء والتدخل فى شئون الدول الأخرى سواء بالقوة أو عن طريق مستتر (المعونة الإقتصادية) .

٤ ــ وعن مشاكل الحدود . أكد شوين لاى « أننا نفضل عدم التدخل للوقوف فى صف أى جانب من الجوانب المعنية ، ومادام الأفارقة أخوة فيجب أن يحلوا مشاكلهم فى سلام .

ويمكن تقسيم مراحل تطور العلاقات الصينية الإفريقية إلى المراحل الآتية(١)

١ ــ الفترة من ١٩٤٩ إلى ١٩٥٥ بعد ظهور الصين الشعبية وخلال هذه الفترة الأولى لم يكن هناك أثر صينى ذو بال فى إفريقية .

٢ ــ الفترة بين مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥ ونهاية العقد وتمثل بداية أو ارهاصات العلاقات الصينية الإفريقية وخلال هذه المرحلة كسبت الصين اعتراف أربع دول أفريقية وهى مصر (١٩٥٦) السودان (١٩٥٨) المغرب (١٩٥٨) غينيا (١٩٥٩) وأقيمت معارض صينية تجارية فى كل من المغرب وتونس وما هو جدير بالذكر فى هذه المرحلة أن الصين كانت البادئة فى مد يدها إلى الدول الإفريقية فقد اعترفت

---

(1) G.T. Yu, « China in Africa », in Year Book of World Affairs, Faculty of Laws, London, 1970, PP. 125—127.

بالسودان المستقل عام ١٩٥٦ ، ورغم ذلك لم تكن هناك استجابة من السودان حتى الحكم العسكرى فى أكتوبر ١٩٥٨ ، وكذلك حضر نائب رئيس الوزراء الصينى احتفالات غانا بالاستقلال ولكن اعتراف غانا الرسمى بالصين تأخر حتى عام ١٩٦٠[1] لما كانت الصين الدولة الأشتراكية الوحيدة التى اعترفت بحكومة الجزائر المؤقتة عندما أعلنت الاستقلال عام ١٩٥٨ وزاد توثق العلاقات بأفريقية نتيجة تأييد الصين لمصر فى أزمة السويس عام ١٩٥٦ وحضور مندوب صينى مؤتمر الوحدة الاسيوية الإفريقية فى القاهرة عام ١٩٥٧ وزيارة وفد جزائرى للصين عام ١٩٥٨ وكذلك زيارة رئيس الكمرون عام ١٩٥٩ . على العموم يمكن تلخيص هذه الفترة فى أنها البداية الفعلية للعلاقة الصينية الإفريقية وأن معظم النشاط الصينى اقتصر على إفريقية شمال الصحراء وعلى القاهرة كقاعدة رئيسية .

٣ — الفترة ما بين عامى ١٩٦٠ — ١٩٦٥ . وهذه مثلت طفرة فى العلاقات الصينية الإفريقية ويرجع هذا النشاط الجم إلى عاملين هامين :

أنه بين أول يناير ١٩٦٠ وآخر ديسمبر ١٩٦٥ حصلت تسع وعشرون مستعمرة إفريقية على إستقلالها فى حين أنه فى الفترة السابقة كانت هناك تسع دول فقط مستقلة ، اعترفت أربع منها بالصين . وهكذا كانت هذه الفترة تمثل قمة أو أوج النشاط الصينى فى أفريقية . وفى أواخر هذه الفترة (٦٤—٦٥) تعددت زيارات شواين لاى وجولاته لا فى شمال أفريقية ، بل فى جنوب الصحراء وقام رؤساء الصومال ومالى وتنزانيا بزيارة بكين ، وكانت ٧٠ ٪ من المساعدات الصينية فى هذه الفترة موجهة نحو إفريقية ، واستطاعت الصين فى هذه الفترة كسب اعتراف إثنى عشر دولة أفريقية من الثمانية والعشرين التى حصلت على استقلالها منذ عام ١٩٦٠ ، وعقدت الصين مع الدول الإفريقية نحو من ست وعشرين معاهده تراوحت ما بين الصداقة مع تنزانيا (١٩٦٥) والتعاون فى حقلى الاذاعة والتليفزيون مع الجزائر (١٩٦٤) واتفاقيات تجارة ودفع مع بوروندى (١٩٦٤) وقروض مع كنغو برازفيل (١٩٦٤) .

بزيادة الصراع السوفيتى الصينى الذى بدأ مع فجر الستينات ، كان هم

(1) Tareq, I, op. cit., P. 057.

الصين تحدى السوفيت على الصعيد العالمى ، وكانت إفريقية ميدانا خصبا للنزال الصينى السوفيتى ، خاصة وأن الصين تتهم الإتحاد السوفيتى بأنه دولة أوربية وليس بآسيوية . وكان هذا واضحا فى موتمر وحدة شعوب آسيا وإفريقيةوأمريكا اللاتينية المنعقد فى هافانا فى يناير ١٩٦٦ .

٤ — الفترة ما بين ١٩٦٥ ، ١٩٧٠ وتمثل مرحلة التركيز دون التعميم ،أو مرحلة تقلص دبلوماسى ، فبينما كانت هناك ثمانى عشر دولة إفريقية لها علاقة مع الصين عام ١٩٦٥ . انخفض الرقم إلى خمسة عشر قطراً عام ١٩٧٠[١] . فقد أنهت العلاقات الدبلوماسية مع غانا وداهومى وجمهورية أفريقية الوسطى ، بل وكان هذا الرقم أسميا لأن بعضها مثل كينيا كانت علاقته بالصين إسمية فقط ، أما العلاقات الفعلية فكانت مع أقل من ست دول وهى كنغو برازافيل ، غينيا ، تنزانيا وزامبيا .

أهمية إفريقية بالنسبة للصين

ذكرنا أن الصين قوة آسيوية بالدرجة الأولى وقوة عالمية بالدرجة الثانية بحيث يمكن إعتبار آسيا المجال الأول للصين بينما تأتى إفريقية بعد آسيا فى الأهمية وتتجلى أهمية أفريقية بالنسبة للصين فى عدة أمور يمكن إجمالها فيما يلى : —

١ — إقامة علاقات دبلوماسية مع عدد ضخم من الدول الإفريقية وبذلك يتحقق عدم انعزال الصين عن أفريقية وهى فى بداية صحوتها . خاصة وأن الدول الإفريقية أصبحت قوة يعمل لحسابها فى الأمم المتحدة فهى تؤلف أكثر من ٣٠ ٪ من أعضاء من المنظمة الدولية .

---

(١) فى أكتوبر —نوفمبر ١٩٧٠ كان التمثيل الدبلوماسى الصينى فى افريقية كالاتى : —

— أفريقية الشمالية : الجزائر — المغرب — السودان — مصر .

— أفريقية الغربية : غينيا الاستوائية — غينيا — مالى — موريتانيا .

— أفريقية الوسطى : كنغو — برازيفيل — زامبيا .

— أفريقية الشرقية : أثيوبيا — كينيا — الصومال — تنزانيا — أوغندا .

مع ملاحظة أن التمثيل الدبلوماسى مع غانا وداهومى كان قد قطع تماما .

٢ – محاولة الوقوف أمام التأثير الامريكى والسوفييتى فى القارة على أساس وحدة نضال الشعوب الآسيوية الإفريقية .

٣ – تنمية التجارة وضمان المواد الأولية والأسواق الإفريقية .

٤ – إجلاء صورة الثورة الصينية أمام الأفارقة والتى حاول المتافسون تشويهها[١] (على حد تعبيرهم) .

واستندت الصين فى هذا المجال إلى أنها صورة مماثلة لدولة نامية لها نفس مشكلات الدول الأفريقية ، وأنها ليست دولة بيضاء كالغرب ، وإنما غير بيضاء كالأفارقة ، ومن ثم تستطيع مساعدة الأفارقة وإنها حاربت وناضلت ومرت بنفس المشكلات التى يواجهها الإفريقيون ومن ثم فالفجوة بين الصين والدول الإفريقية ليست بنفس الأتساع كما هو الحال بين إفريقية والمغرب ؛ ومن هنا يمكن أن تشترك الصين فى نضال الدول الإفريقية ضد التخلف والمساعدة فى التنمية الإقتصادية .

ولاعطاء قوة للعلاقات الصينية الأفريقية كانت الصين سريعة فى استخدام وسائل رسمية تمثلت فى أشكال عديدة من الأتفاقيات مثل الاتفاقيات التقليدية الخاصة بالصداقة والتحالف وهى عادة ما تقوم على أساس مبادئ باندونج لتنمية التضامن والصداقة بين الجانبين على أسس من المساواة والمصالح المشتركة . وهذه الأتفاقيات عادة ما تبرم لمدة عشر سنوات . وفى عام ١٩٦٩ كانت الصين قد عقدت أربع اتفاقيات مع غينيا ١٩٦٠ ، غانا ١٩٦١ ، كنغو برازافيل ١٩٦٤ ، تنزانيا ١٩٦٥ ولم يكن غريبا أن تكون هذه الاتفاقيات مع دول إشتراكية ثورية .

وهناك الإتفاقيات الثقافية وتمثل نوعا آخر يتضمن تبادل الطلبة والمعلمين والصحف والفرق التمثيلية وغيرها من النشاطات التى تقع ضمن هذا المجال . وعقدت الصين ٢٤ إتفاقية من هذا النوع مع إحدى عشر دولة إفريقية حتى عام ١٩٦٨ . أما الإتفاقيات التجارية وعادة ما تعرف باتفاقيات التجارة والدفع ويحدد فيها حجم الصادرات من كل جانب من الجانبين ويعطى لكل جانب معاملة

(1) «Tow Chinas in Africa», The Bulletin, African Institute Bulletin, Preteria, Vol. 8, No. 10, 1970, P. 339.

تفضيلية . والموافقة على إقامة المعارض التجارية . وقد تضم قائمة بالسلع المتبادلة بين الجانبين (فى معظم الأحوال السلع الصناعية الصينية فى مقابل سلع زراعية إفريقية) . وقد عقدت الصين منذ عام ١٩٥٥ حينما وقعت الصين أول إتفاقية تجارية مع دولة أفريقية وهى مصر فى عام ١٩٦٨ ثلاث وعشرين إتفاقية تجارة ودفع مع ستة عشر دولة أفريقية وبطبيعة الحال لم تقتصر الصين فى علاقاتها التجارية على هذه الدول التى عقدت معها أتفاقيات تجارية . ففى عام ١٩٦٧ سجل صندوق النقد الدولى العلاقات التجارية للصين مع ، نحو ثلاثين دولة إفريقية (١) . وكانت الدول الرئيسية ذات العلاقات التجارية هى غانا ، مالى . المغرب ، نيجيريا ، السودان ، تنزانيا ، أوغندا ، مصر .

تجارة الصين الخارجية

ولا يمكن فهم تجارة الصين الخارجية مع إفريقية إلا على ضوء فهم تجارة الصين الخارجية بوجه عام والتى تهدف إلى خلق صين قوية تتبوأ مكانة سياسية واقتصادية عالية . والتجارة الخارجية لاشك موجهة لخدمة هذا الهدف . فمن مبادئ أو أغراض السياسة التجارية الخارجية الصينية أنه لافصل بين السياسة والتجارة . وهذا المبدأ يسرى على معاملتها سواء مع الدول النامية أو الدول المتقدمة ويبدو أن سياسة الصين الإقتصادية مع الدول غير الاشتراكية عامة يتحكم فيها اعتباران هما زيادة التنمية الداخلية للصين ذاتها وخدمة السياسة الخارجية الصينية(٢). وبينما تحاول الصين تحقيق الغرضين معا خلال تجارتها مع الأقطار الأخرى إلا أنه قد يتغلب غرض على آخر حسب الظروف فاذا كان غرض الصين الأول من التجارة هو الحصول على المواد الحيوية كالمعدات الأجهزة والخامات الصناعية . . الخ فان غرضها مع بعض الأقطار الأخرى هو الحصول على العملة الأجنبية لدفع ثمن الواردات كما هو الحال فى تجارتها مع كندا واستراليا وأوربا الغربية بينما تجارتها مع الدول الإفريقية تفسرها الدوافع السياسية فضلا عن أن إفريقية مصدر للمواد الأستراتيجية وسوق للمنتجات الصينية مما سنفصله فيما بعد .

---

(١) International Monetary Fund, Direction of Trade, 1968.

(٢) An Economic Committee of the U.S.A. Congress, Praeger Special Studies Inter national Economics and Development, New York, 1968, P. 589.

وحتى عام ١٩٦٠ كان نمط تجارة الصين يسوده أو يتحكم فيه مبادلة الآلات والمواد الخام بالسلع الصينية الزراعية والمنسوجات التى تصلح لأن تكون قاعدة صينية صناعية وكان اتجاه التجارة أول الأمر مع الدول الإشتراكية نتيجة المقاطعة والحظر اللذين وضعهما الغرب على الصين عام ١٩٥٠ نتيجة تدخلها فى الحرب الكورية ، ومن ثم لم تكن تتعامل مع الدول غير الأشتراكية إلا فى السلع التى لا تجدها فى الدول الإشتراكية، وذلك قبل ١٩٦٠، أما بعد ١٩٦٠ فقد تغير التوزيع الجغرافى لتجارة الصين بصورة واضحة نتيجة نشوب الخلاف الصينى السوفيتى فى أوائل الستينيات حتى أن نصيب الدول الإشتراكية فى تجارة الصين والذى كان يصل إلى ثلثى حجم تجارتها انخفض واصبح العالم الغربى مسئولا عن ٧٠ ٪ من قيمة هذه التجارة. واستمر التركيب السلعى لتجارة الصين الخارجية بعد ١٩٦١ كما هو الحال تقريبا من استيراد المنتجات الزراعية (خاصة القمح والسكر والحوت) ثم الأسمدة الزراعية التى أستمرت تسود الواردات الصينية وكانت مسئولة عن ٤٧ ٪ من قيمة وارداتها عام ١٩٦٥ . وقد كانت هذه الأسمدة والمنتجات الزراعية مسئولة عن ٤ ٪ من مجموع واردات الصين عام ١٩٥٩ كذلك استمرت عملية استيراد الأجهزة والآلات . والاتجاه الواضح فى صادارت الصين منذ عام ١٩٦٣ عودة الصادرات الزراعية إلى الظهور مرة أخرى بعد تخطى الأزمة ولأول مرة فى السنين الأخيرة تعادلت واردات الصين من المواد الغذائية مع صادراتها منها وكان هذا عام ١٩٦٥(١) إذ تصدر الصين المواد الغذائية ذات الطلب الكبير كاللحوم والخضروات والمعلبات الغذائية فى مقابل المواد الغذائية الأقل قيمة كالقمح . وتأتى المنسوجات فى المركز الثانى بعد المواد الغذائية . أما الخامات المعدنية والمعادن بوجه عام فهى فى تناقص ويرجع هذا إلى طبيعة التصنيع الذى تقوم به الصين الآن .

حجم التجارة الصينية الإفريقية وتركيبها السلعى

لم تلق تجارة الصين مع الدول الأقل تقدما بوجه عام إلا نجاحا محدودا سواء فى آسيا أو أمريكا اللاتينية أو أفريقية لأن كل جانب من الجانبين يمثل مجتمعات زراعية

---

(١) Ibid., P. 585.

لها نفس المشكلات ولها نفس المنتجات . وإذا كانت تجارة الصين مع الدول الأقل تقدما قد تضاعفت منذ ١٩٥٦ إلى ١٩٦٥ وبلغت فى التاريخ الأخير ٨٥٢ مليون دولار أو ٢٢ ٪ من مجموع تجارة الصين الخارجية فى ذلك العام ، فان نصف هذه التجارة مع خمسة أقطار هى الأرجنتين وأندونسيا والملايو ومصر وسيلان . وكانت هذه التجارة مع الدول الافريقية للحصول على بعض السلع كالقطن من مصر والسودان وأوغندا والقرنفل من زنجبار . وليس من المحتمل أن تكون الصين مستوردا رئيسيا للبن أو الكاكاو ولكنها قد تصبح مستورداً للمطاط وإن كانت تحصل عليه الآن من مورد أقرب منالا (جنوب آسيا) . ومن حين إلى آخر تعتبر إفريقية مصدرا للحبوب كما هو الحال حين استوردت الصين الذرة العريضة من جنوب إفريقية (وإتحاد روديسيا — نياسالاند)(١) فى موسم ٦٢–١٩٦٣ و كما هو الحال فى استيرادها للذرة من زامبيا كذلك تستورد الفوسفات من المغرب والحرارات من الجزائر والمغرب . ويشير البعض إلى أهمية المواد الاستراتيجية الإفريقية خاصة البترول والذهب والكوبالت واليورانيوم والليثيوم . فقد ازداد انتاج البترول الافريقى فى السنوات الأخيرة حتى بلغت قيمة صادراته ١٤٨٩ مليون دولار عام ١٩٦٥ وبذلك تفوق من حيث القيمة على الذهب والنحاس .

وبلغ انتاج افريقية ٢٧٢ مليون طن عام ١٩٧٠ أو نحو ١٢ ٪ من الإنتاج العالمى فى ذلك العام . ويتميز البترول الإفريقى بانخفاض تكاليف انتاجه فضلا عن ضخامة الفائض للتصدير وإنخفاض نسبة الكبريت سواء كان فى ليبيا أو الجزائر أو نيجيريا وبذلك يعتبر من النفط النادر وتنتج أفريقية ٧٠ ٪ من الذهب العالمى الذى يعتبر أساس النظام النقدى العالمى . ويرتبط اليورانيوم التكوينات الحادية للذهب من ثم بعد أكتشاف أهمية اليورانيوم أصبحت معظم مناجم الذهب تعطى ذهبا ويورانيوم فى آن واحد . وينتج اقليم كاتنجا فى زائرى وحده أكثر من نصف إنتاج العالم (دون السوفييت) من هذا المعدن . وكان كل سلاح ذرى حتى عام ١٩٥٠ يستمد اليورانيوم اللازم من الكنغو وتسهم أفراقيه بنحو ٧٠ ٪ من إنتاج الكوبالت العالمى والذى يستخدم فى تقوية الصلب . ولا تتفوق على زامبيا والكنغو فى إنتاج النحاس سوى

(١) قاطعت الصين التجارة مع جنوب افريقية وروديسيا لاصرارهما على السيطرة البيضاء عدم اتفاق السياسة مع سياسة الصين والدول الافريقية المتحررة .

شيلى فى أمريكا اللاتينية ويقدر أن المغرب باعت للصين شحنتين من الكوبالت عام ١٩٦٠ قدرهما ٣٩٨٥ طنا. ورغم تنبيه الولايات المتحدة الإمريكية للمغرب بعدم بيع الكوبالت للصين فقد تبين إنها باعتها ٤ آلاف طن عام ١٩٦٣ . هذا وقد تضمن الإتفاق مع المغرب عام ١٩٦٤ شراء الصين لخمسة آلاف طن من المعادن غير الفلزية ويرجح أن المقصود بها الكوبالت[١] أما عن اليورانيوم فقد اكتشفت تكويناته فى أراضى الصين وخاصة فى سيكيانج . ورغم أن خبراء البترول الصينين قدزاروا الجزائر عام ١٩٦٤ فما لاشك فيه إنها تهدف إلى الوصول إلى مرحلة الاكتفاء الذاتى البترولى أكثر من التجارة فيه . ويذهب البعض إلى أن بناء خط حديد تنزام هو للوصول إلى نحاس زامبيا . ولكن يذهب البعض إلى أن المعادن الاستراتيجية لا تبدو أهميتها ضخمة لإقامة علاقات إقتصادية مع الدول الإفريقية ، فبحسب تقديرات أيكشتين يبدو أنه حتى بالتقديرات المتحفظة لمعادن الصين وقواها المحركة تمكن قيام مستوى عالى للتصنيع دون حاجة إلى الخارج[٢] . وفى نفس الوقت تعتبر إفريقية سوقا ضخمة للمنسوجات القطنية الصينية إذا استطاعت الصين أن تحتفظ بقوة تنافسية من حيث الجودة والسعر . ومع مرور الزمن فقد تستطيع الصين تصدير السلع الرأسمالية إلى إفريقية .

وإذا كانت تجارة الصين مع الدول النامية قليلة بوجه عام فمما لا شك فيه أيضاً أن تجارتها مع إفريقية تمثل جزءاً متواضعا من هذه التجارة .

وتتدخل بعض العوامل التى تحد من حجم التجارة بين إفريقية والصين . وقد ذكرنا منها طبيعة وحاجات إقتصاد كل من الطرفين وتتمثل فى أن القاعدة الاقتصادية لكل من الصين ومعظم الدول الإفريقية هى أساسا الزراعة . غير أن الظروف السياسية لها شأنها فى هذا السبيل . فعندما كانت العلاقات بين الصين وغانا فى فى ذروتها عام ١٩٦٥ بلغ حجم التجارة بين الجارتين ٢٠,٤ مليون دولار ثم انخفض هذا الرقم إلى ٥مليون دولار عام ١٩٦٧ بعد عزل نكروما وإنهاء العلاقات الدبلوماسية بين البلدين[٣] .

---

(١) Bruse, D. Larkin : « China and Africa, 1949—1970 », University of California Press, Berkly, Los Angelis, 1971, P. 92.

(٢) Eckstein, A., Galeneos, W., Liu, T.C. « The Economic Trends in Communist China» Edinburgh 1968, P. 92.

(٣) Op. cit., P. 133.

ويظهر من جدول تجارة الصين مع دول إفريقية النامية إرتفاع صادرات الصين إلى إفريقية من ٣٣ مليون دولار عام ١٩٥٦ إلى ٣٥ مليون دورلاً عام ١٩٦٦ ومن حيث النسب المئوية لنصيب أفريقية من الصادرات الصينية يظهر أيضاً زيادة هذا النصيب إذ تتراوح النسبة ٩وبـ ١٪ عام ١٩٥٦ ، ٦٪ عام ١٩٦٧ . أما من حيث الواردات الصينية من أفريقية فقد كانت بدورها فى زيادة مع ذبذبات بطبيعة الحال من ٢٨ مليون دولار عام ١٩٥٦ إلى أقصاها ١١٥ مليون دولار عام ١٩٦٥ ثم إنخفض إلى ٨٠ ، ٦٧ مليون دولار عامى ١٩٦٦ . ١٩٦٧ على

تجارة الصين مع دول أفريقية النامية (بالمليون دولار فوب)[1]

	صادرات الصين				واردات الصين	
	مجموع صادرات الصين	صادرات الصين إلى إفريقية	صادرات العالم إلى إفريقية	صادرات العالم إلى الصين	واردات الصين من إفريقية	مجموع الصادرات الإفريقية
١٩٥٥	١٤٢٠	٢٢	٥٠٩٠	١٤٩٠	٢٦	٤٤٣٠
١٩٥٦	١٧١٠	٣٣	٥٤٦	١٦١٠	٢٨	٤٦٤٠
١٩٥٧	١٧١٠	٤٣	٦٠٤٠	١٥٠٠	٤٧	٤٦٢٠
١٩٥٨	١٩٧٠	٤٢	٥٩٨٠	١٩٨٠	٤٤	٤٦٥٠
١٩٥٩	٢٢٣٠	٤٥	٦٠٠٠	٢٩١٠	٤٩	٤٨٢٠
١٩٦٠	٢٠٦٠	٤١	٦٤٧٠	٢٠٩٠	٧٤	٥٣٠٠
١٩٦١	١٦٠٠	٤٦	٦٥٤٠	١٦٠٠	٣٩	٥٤٣٠
١٩٦٢	١٦٨٠	٤٩	٦٢٨٠	١٣٥٠	٣٨	٥٥٤٠
١٩٦٣	١٧٢٠	٥٢	٦٧٦٠	١٤٢٠	٦٢	٦٢٤٠
١٩٦٤	١٨٧٠	٥٨	٧٧٩٠	١٦٤٠	٦٢	٧٢٥٠
١٩٦٥	٢٠١٠	٧٨	٨١٧٠	٢١٢٠	١١٥	٧٦٥٠
١٩٦٦	٢٢٩٠	١٣٥	٨١٨٠	٢٢٩٠	٨٠	٨٢٢٠
١٩٦٧	٢٠٧٠	١٢٥	٨٣٣٠	٢٣٥٠	٢٧	٨٣٣٠

الترتيب أو تراوحت النسبة المئوية بين ١,٧٪ فى العاملين المذكورين مع ذبذبات خلال تلك الفترة . وواضح من الجدول أيضاً أن مجموع قيمة تجارة أفريقية يمثل ما يتراوح بين ثلاث وأربع مرات قدر تجارة الصين ، من ثم فإن هذه التجارة ليست

(١) Bruce, Larkin, P. 91.

على نفس القدر من الأهمية بالنسبة لافريقية قدر أهميتها بالنسبة للصين . ورغم هذه الحقيقة فإن الصين تأخذ نصيبها الهام من صادرات بعض الدول الافريقية فإن الصين على سبيل المثال كان نصيبها ٨,٥ ٪ من صادارات أوغندا عام ١٩٦١ وأكثر من ٧ ٪ من صادرات مصر عام ١٩٦٥ ومن بداية ١٩٦٦ إلى فبراير ١٩٦٧ اشترت الصين ١٠,٥ ٪ من محصول قطن موسم ٦٦-١٩٦٧. هذا ويلاحظ أن أكثر الأقطار الإفريقية تعاملا تجاريا مع الصين هي السودان والمغرب وتنزانيا وزامبيا ونيجيريا .

المعونة الصينية الاقتصادية والفنية لإفريقية

دخلت الصين ميدان المعونات الاقتصادية والفنية سواء من طريق القروض أو المنح أو الخبراء ولكنها في هذا المجال لايمكن أن تقف على قدم المساواة مع الاتحاد السوفيتي أو الولايات المتحدة الإمريكية : فقد بلغ مجموع معونتها المعروفة سواء كانت قروضا أو منحا في نهاية ٦٩ نحو ٩٠٠ مليون دولا وتغطي أربعا وعشرين دولة أفريقية . (هذا الرقم لايشمل قرض تنزانيا – زامبيا) الخاص بمد الخط الحديدي والذي بلغت تقديراته نحو ٤٠٥ مليون دولار (فرغم ضخامة العروض الصينية ، فهي لاتقارن بقروض الاتحاد السوفيتي التي بلغت في ذلك التاريخ ٦٨٠٠ مليون دولار أو عروض دول أوربا الشرقية باستثناء يوغسلافيا وتقدر بنحو ٣٢٠٠ مليون دولار[1] . كما يجب أن نذكر أيضاً أن القروض التي استغلت من جانب الدول الإفريقية أقل من هذا بكثير وبعض هذه القروض لم يستغل على الإطلاق فقد قدرت القروض المستغلة في نهاية ١٩٦٨ بنحو ١٠٠ مليون دولار من مجموع القروض المعروضة في ذلك التاريخ وقيمتها ٨٥٠ مليون دولار فعلى سبيل المثال لم تستغل غانا سوى قدرا ضئيلا من القروض المعروضة عليها ، بينما لم تستغلها كينيا على الإطلاق .

وهذا يعكس مرة أخرى صورة إمكانيات الصين المحدودة إذا ما قورنت بالاتحاد السوفيتي وتتكرر نفس الصورة في مجال المعونة الفنية . فمن مجموع العشرة الآلاف خبير الذين خرجوا من الدول الاشتراكية نجد أن ٧٠ ٪ منهم من

(١) Adie, W.A.C. «The Communist Poawer in Africa», Conflict Studies, London, No. 10, Dec./Jan. 1970/1971.

الاتحادالسوفيتى ، ٢٠٪ من دول شرق أوربا ، ١٠٪ من الصين الشعبية . هذا كما أن برامج الصين للمعونة الفنية أقل انتشارا من تلك الخاصة بالاتحاد السوفيتى . . غير أنه فى مجال المنافسة يحاول الصينيون تعويض النقص أو الضعف الكمى إلى قوة نوعية فبينما نجد أن مساعدات الصين أقل من مساعدات الاتحاد السوفيتى أو الولايات المتحدة الإمريكية فان قروض الصين دون فوائد فى معظمها لأنهم على حد قولهم لا يبغون منها الربح والكسب . كما أنها ترد على أقساط تبدأ بعد مدة كافية كما هو الحال فى خط تنزام الحديدى .

المساعدات الاقتصادية الصينية الإفريقية بالمليون دولار [1]

التاريخ	منح	قروض	القطر الممنوح
١٩٥٦	–	٥	مصر
١٩٥٨	٠.١٧	–	الجزائر
١٩٥٩	١٠	–	الجزائر
١٩٦٠	٢,٨	–	كنغو ستانلى فيل
١٩٦٠	–	١٠	غينيا
٥٩ – ٦٠	لوعية	–	غينيا (١٥ ألف طن من الأرز)
١٩٦١	–	١٩,٦	غانا
١٩٦١	–	١٩,٦	مالى
١٩٦١	٠,٦	–	تونس
١٩٦١	٠,١٣	–	الصومال
١٩٦٢	نوعية	–	الجزائر – (٩ آلاف طن من القمح . ٣ آلاف طن حديد مبروم ٢١١ طن مواد طبية) .
١٩٦٣	٠,١	–	المغرب

(١) منذ عام ١٩٦٦ لم تذكر الصين قيمة المنح والقروض الخارجية ، وكثير من الاشارات الخاصة بالمساعدات لا تميز بين المشروعات التى تستخدم القروض السابقة من تلك التى تستخدم قروضا جديدة .

التاريخ	منح	قروض	القطر الممنوح
١٩٦٣	٣	٢٠	الصومال
١٩٦٣	—	٥٠	الجزائر
١٩٦٣	٠,٠٢	—	الجزائر
١٩٦٤	٠,١	—	الجزائر
١٩٦٤	٠,٥	٢٢,٤	غانا
١٩٦٤	٠,٥	—	زنجبار
١٩٦٤	٢,٨	١٥	كينيا
١٩٦٤	٠,١	—	تنجانيقا
١٩٦٤	—	١٤	زنجبار
١٩٦٤	٢,٨	٤٢	تنزانيا
١٩٦٤	—	٥	كنغو برازافيل
١٩٦٤	٠,٠٢	—	الجزائر
١٩٦٤	—	٤	جمهورية إفريقية الوسطى
١٩٦٤	—	٢٠	كنغو برازافيل
١٩٦٤	—	٨٠	ج.ع.م.
١٩٦٥	٢,٩٩	١٢,٤	أوغندا
١٩٦٦	٢,٨	٥,٦	تنزانيا
١٩٦٦	—	٤	مالى
١٩٦٦	—	٢,١	تنزانيا (لتشغيل خط ملاحى)

الذى يبدأ دفع أقساطه عام ١٩٨٣ لمدة ثلاثين عاماً بمعدل ٦,٦ مليون دولار سنوياً . هذا لما يصر الصينيون على أن يعيش خبراؤهم الذين يقومون ببرامج المعونة الفنية فى نفس مستويات نظرائهم فى الدول النامية . فلا يسمح للخبراء الصينين بطلب أى مزايا خاصة أو التمتع بتسهيلات غير ممنوحة لغيرهم . وقد أشار شوين لاى وأكد فى جولته الإفريقية الشهيرة على مبادئ المعونة الصينية ومنها أن الحكومة

الصينية تحترم تماما سيادة الدولة المستقبلة للمعونة ، ولا تطلب الصين أى امتيازات منها أو تلحق بالمعونة شروطا خاصة وأن الغرض من المعونة الصينية لا أن تعتمد الدولة الممنوحة على الصين بل لمساعدتها لتقف على قدميها وتتجه فى طريق الاعتماد على النفس والإستقلال الإقتصادى خطوة بعد أخرى . كما تتعهد الحكومة الصينية بإرسال أجود المعدات والمواد اللازمة من انتاجها المحلى بأسعار الأسواق الدولية وإذا ثبت أن هذه الآلات دون المواصفات المتفق عليها فان الحكومة الصينية تتعهد باستبدالها [1] .

غير أن هناك فوارق أخرى بين المعونات الإقتصادية اوالفنية الصينية وبين نظائرها فى الدول الأخرى إذ يضع الصينيون الزراعة فى المقدمة على حين يهتم الروس ببرامج التصنيع وحجة الصينيين فى الإهتمام بالزراعة إنها تعطى فرصة أكبر للعمالة والإعتماد على النفس . كما أنها لا تتطلب استثمارات ضخمة بينما تعطى عائداً سريعاً حتى يمكن لحكومة الدولة الممنوحة أن تجمع رأس المال عن طريق زيادة دخلها فى فترة قصيرة . لذلك كثيراً ما تسمع عن معونتهم الفنية فى مجال زراعة الشاى أو تحليل التربة أو تخطيط الرى أو زيادة الأنتاج الرأسى للأرز .ولكن ليس معنى هذا أن مجال المعونة الفنية الصينية يقتصر على الزراعة ، فهم يشتركون فى التصنيع وفى المجالات الأخرى غير الزراعة وخاصة المشروعات الأساسية منها بالنسبة للدول الإفريقية كصناعة النسيج القطنى الذى تتوافر خاماته فى كثير من هذه الدول . ويسهمون فى مشروعات الهياكل الأساسية infastructure .

كالنقل ومشروع الخط الحديدى من زامبيا إلى تنزانيا خير شاهد فى هذا السبيل ، كما كانت الصين قد اتفقت مع مالى قبل عزل موديبو كيتا عام ١٩٦٨ على مد خط حديدى من باماكو (عاصمة مالى) إلى كوناكرى (عاصمة وميناء غينيا) بتكاليف نحو ٢٠ مليون دولار . ومن مشروعاتهم الأخرى فى أفريقية معمل للصباغة فى مالى ومعمل تكرير بترول ومحطة توليد كهرباء فى غينيا ، ومحطة توليد كهرومائية فى كنغو برازافيل وبناء ستاد ومصنع أحذية وورشة آلات

---

(١) Neilsen, W.A., The greatpowers and Africa Pall Mall, 1969, PP. 224...225.

زراعية ودار طباعة فضلا عن المعونة الفنية الطبية فى زنجبار وهذه على حد قول الصينين لاكتساب العقول والقلوب فى آن واحد هذا كما قام الرئيس نيريرى بوضع حجر الأساس عام ١٩٧٠ لتشييد ميناء بحرى آخر بالقرب من دار السلام لاستعمال القوات المسلحة البحرية »(١) .

هذا وتمنح المعونة أولا على هيئة أجهزة كاملة ومعدات فضلا عن المساعدة الفنية مع تحويل ضئيل أو لا تحويل بالعملة الأجنبية، وهذا ليس بغريب فالصين ذاتها دولة نامية مما يجعل عملية تصديرها للعملة الأجنبية أمراً صعبا . فهل يا ترى كانت عدم قدرة الصين على مقابلة احتياجات الدول النامية برؤوس أموال نقدا من الأسباب الرئيسية لعدم نجاح المعونات الاقتصادية الصينية ؟

مصر والصين :

ذكرنا من قبل أن تجارة الصين كانت على نطاق ضئيل مع افريقية قبل عام ١٩٥٥ وكان معظمها أساسه تصدير الصين للشاى الأخضر لكل من مصر والمغرب وتعتبر مصر نقطة البداية للتوسع التجارى والاقتصادى فى القارة ، إذ أن أول مكتب للبعثات التجارية أنشئ فى القارة كان مركزه القاهرة فى أغسطس ١٩٥٥ وقعت الصين أول اتفاق تجارى مع مصر مدته ثلاث سنوات وكانت العلاقات السياسية بين مصر وللقوى الغربية وخاصة بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية تمر بمرحلة نتيجة امتناع الأسواق الغربية عن شراء القطن المصرى بأسعار مقبولة وكان هذا بمثابة ضربة للاقتصاد المصرى الذى كان القطن يمثل عماده . وتقدم الاتحاد السوفيتى والصين للشراء وحضر وفد صينى إلى القاهرة فى ذلك للعام وعقد صفقة قوامها ١٣ ألف طن من القطن المصرى أضيف إليها ألفى طن بعد ذلك . على أن تشترى مصر ٦٠ ألف طن من الحديد المبروم الصينى . وهذا النمو فى العلاقات الاقتصادية له دلالاته السياسية أيضاً ؛ فنزول الصين والاتحاد السوفيتى إلى الميدان وشراء كميات كبيرة من القطن المصرى فى وقت هبطت فيه أسعار القطن معناه مسانده وتدعيم للاقتصاد المصرى فى فترة حرجة ، وزادت العلاقات توتراً بعد أزمة

---

(١) Adie, W.A.C. «China's year in Africa», Africa Contemporary Record, London, 1970/1971, PP. A 55, 57.

السويس واعتراف مصر بالصين الشعبية. فقد عقد إتفاق مقايضة بمقتضاه أن تبادل مصر ٤٥ ألف طن من القطن بالفين وخمسمائة طن من الصلب الصيني ، كما أعلنت الصين عن منحة قدرها ٤,٧ مليون دولار نقداً وقرضا قدره ٢٠مليون فرنك سويسرى بعد أزمة السويس مباشرة [1].

مقارنة بين تجارة كل من الصين والإتحاد السوفييتى مع مصر

بالمليون جنيه مصرى [2]

السنة	واردات مصر من الصين	صادرات مصر إلى الصين	واردات مصر من الإتحاد السوفيتى	صادرات مصر من الإتحاد السوفيتى
١٩٥٥	٠,٣	٨,٥	٢,٣	٧
١٩٥٦	٣,١	٨,٤	٧,٩	٥,٦
١٩٥٧	٧,٢	١٤,٧	١٨,٦	٣٩,٣
١٩٥٨	٨,٧	١٢,١	٣١,٧	٢٨,٦
١٩٥٩	٨,٣	١١,٨	٢٦,٨	٢٨,٣
١٩٦٠	٦,٨	١٥,٥	١٢,٩	٣٠,١
١٩٦١	٦,٦	٥,١	٢٧,٧	٢٥,٤
١٩٦٧	٧,٧	٧,٧	٢٤,٦	٢٤,١
١٩٦٣	٨,٧	٧,١	٢١,٣	٤٤,٢
١٩٦٤	١,٧	٤,٣	٤,٣	١٢,٢
١٩٦٥	١١,٦	١٩,٦	٣٦,٦	٥٦,٧
١٩٦٦	١٧,٥	١٤,١	٤٠,٧	٦٢
١٩٦٧	١٠,١	٨,٢	٧١,٨	٦١,٤
١٩٦٨	٨,٩	٨,٢	٤٦,٢	٧٦

(١) أنظر البنك الأهلى المصرى النشرات الاقتصادية لعامى ١٩٥٦ ، ١٩٥٧ .

(٢) البنك الأهلى المصرى ، النشرة الإقتصادية ، المجلة ٢٣ ، العدد الثانى ١٩٧٠ .

ويتضح من الجدول الخاص بتجارة الصين مع مصر زيادة هذه التجارة من ٢٨ ميلون دولار عام ١٩٥٥ إلى ٣٥ مليون دولار عام ١٩٥٦ ، ٦٣ مليون دولار عام ١٩٥٧ ، وفى عام ١٩٥٨ أصبحت الصين ثانى دوله مستورة للقطن المصرى بعد الإتحاد السوفيتى ولكنها فى عامى ٦٧، ٦٨ انحدرت إلى المكان الحادى عشر(١) وأما من حيث كونها دولة مصدرة إلى مصر فحتى عام ١٩٥٧ عندما كانت فى قمة صادراتها إلى مصر كان ترتيبها التاسع بين الدول المصدرة لمصر .

وقد تعددت الاتفاقيات التجارية بين مصر والصين منها اتفاق فبراير ١٩٦٠ والذى بمقتضاه أن يصد وكل طرف الى الأخر ما قيمته ١٥ مليون جنيه استرليني سنويا وآحر فى فبراير ١٩٦١ بأن يزيد ما يصدره كل طرف إلى الآخر إلى ٣٠ مليون جنيه استرليني فى ذلك العام . وفى عام ١٩٦٣ وقع اتفاق ثالث لصادرات بين الطرفين قيمتها ١٥ مليون جنيه .

وفى عام ١٩٦٤ وافق الصينيون على أن يمدوا مصر بمعونة لتنفيذ برامج التصنيع وتعهدت الصين بمد مصر بمعدات صناعية قيمتها ٨٠ مليون دولار على مدى عشر سنوات وبدون فوائد على أن يتم السداد على عشرة أقساط إبتداء من عام ١٩٧٢ . وكانت القائمة تشمل مصانع للنسيج والورق وتكرير السكر ومعدات أخرى للصناعات الخفيفة .

وتطورت الواردات المصرية من الصين وكذلك الصادرات المصرية إليها ، فى عام ١٩٦٤ نص الاتفاق على أن تستورد مصر المحولات الكهربائية ومعدات التعدين والأجهزة اللاسلكية فى مقابل أن تصدر مصر إلى الصين القطن والمنسوجات والأحذية وإطارات السيارات والآلات الكاتبة والأثاث المعدنى . وفى الحادى عشر من يونيه ١٩٦٧ منحت الصين مصر ١٥٠ ألف طن من القمح فضلا عما قيمته عشرة ملايين دولار من العملة الصعبة دون فوائد أو تحديد ميعاد الدفع(١) .

---

(١) البنك الأهلى المصرى ، المجلد ٢٣ ، العدد الثانى ، ١٩٧٠ ، جدول ٢ ب .
(٢) الاهرام فى ١١ يونيه ١٩٦٧ .

وفى يوليو ١٩٦٨ وقعت الصين مع مصر إتفاق تجارة لمد الصين بالقطن الخام والأرز والمنسوجات الكيماوية وزيت الديزل فى مقابل الشاى والبن واللحوم المحفوظة والأخشاب والآلات المعدنية وقطع الغيار وقيمة هذا الاتفاق الأخير ٣٠ مليون جنيه .

خط جديد تنزام أو تنزانيا – زامبيا والصين :

لما كانت هناك عدة برامج للتنمية الاقتصادية اشتركت فيها الصين الشعبية فى أفريقية فان مشروع خط حديد تنزام قد غطى على هذه المشروعات جميعاً بالنسبة لضخامة الإستثمار الصينى فيه ، إذ تقدر تكاليفه بنحو ٤٠٥ مليون دولار .

وفى الحق لقد تشابكت الظروف السياسية والاقتصادية على أبراز هذا المشروع إلى الوجود من ناحية،وعلى اشتراك الصين فيه من ناحية أخرى ، ذلك أن استقلال تنزانيا ، وروديسيا الشمالية (زامبيا) عامى ١٩٦١ ، ١٩٦٤ غير من الأنماط السياسية والاقتصادية فى جنوب وشرق القارة ، بتحول هذه المستعمرات إلى أقطار مستقلة تنتهج سياسات مغايرة للسياسات التى كانت تتبعها القوى الاستعمارية السابقة . وفى نفس الوقت كان الإعلان غير الشرعى لإستقلال روديسيا عام ١٩٦٥ بواسطة الأقلية البيضاء مما أدى إلى تدهور العلاقات بين زامبيا وروديسيا وكانت هناك فكرة توجيه زامبيا نحو الشمال أى نحو تنزانيا التى تتفق معها فى سياستها التحررية واللاعنصرية بدلا من الاتجاه التقليدى نحو الجنوب أى نحو رودبسيا . ولا يمكن فهم هذه الحقيقة إلا على ضوء الوضع الجغرافى لزامبيا دولة حبيسة Landlockd States لامنفذ لها على البحر إلا عن طريق روديسيا وموزمبيق ، ذلك أن نحاس زامبيا كان يجد طريقه إلى البحر عبر هذين البلدين حيث يصدر من ميناء Beira فى موزمبيق البرتغالية . ولما كان النحاس يمثل ٩٦٪ من قيمة صادرات زامبيا ، كان معنى هذا أنه فى إمكان رودوسيا والبرتغال التحكم فى اقتصاد زامبيا بعدد أن اتجهت اتجاهات معادية لهما أى اتجاهات تحررية .

(٢) Tan Zam هى الحروف الأولى من تنزانيا Tanzania وزامبيا Zambia

وقد ثبت أنه لالقاء بين حكام روديسيا أو جنوب أفريقيا مع زامبيا وتنزانيا على شعار « أفريقية للافريقيين » من ثم كان خط تنزام للخلاص من هذا الوضع الذى يشل يدها تماما عن القيام بأى دور سياسى فى المنطقة ، وبالنسبة لتنزانيا يعتبر المشروع مفيدا لها اقتصاديا لأنه سيوجه تجارة زامبيا نحوها ونحو مينائها دار السلام مما يقويهمامعا أمام جبهة الأقلية البيضاء فى جنوب القارة . ذلك أن الخط الحديدى سيمتد من نطاق النحاس فى زامبيا إلى ميناء دار السلام بطول نحو ١٢٠٠ ميل .

وقد مر هذا المشروع بنفس المشكلات التى مربها مشروع السد العالى فى مصر حتى أنه يمكن القول فعلا ما أشبه اليوم بالبارحه ، فلم تتقدم الدول الغربية للمساعدة حينما أعلن المشروع ، بل ورفض البنك الدولى للانشاء والتعمير الاقراض عليه على اعتبار أنه مشروع غير اقتصادى ، رغم أن عمليات المسح وتقدير التكاليف قام بها كونسرتيوم من حكومتى المملكة المتحدة وكندا [1] وأشار الكونسرتيوم إلى أن المشروع اقتصادى حتى ولو مد طريق سيارات إلى جواره . ومن هنا حينما عرضت الصين القيام بالمشروع رحبت الحكومتان فى تنزانيا وزامبيا بهذا العرض لأن الصين حولت الحلم الذى احبطه الغرب إلى حقيقه . وكانت البداية الرسمية لتحقيق الحلم فى الخامس من سبتمبر عام ١٩٦٧ حين وقع الاتفاق المبدئى بين الصين وتنزانيا وزمبيا فى بكين وبدأت احتفالات مد الخط رسميا فى ٢٦ أكتوبر ١٩٧٠ [2] وكان من ضمن مشكلات المشروع النفقات الداخلية للمشروع كله رواتب الخبراء والذين وراء المعدات المتطورة محليا . ولكن الصين حلت المشكلات عن طريق التجارة بالاتفاق مع حكومة البلدين على أن تصدرلها سنويا سلعا تباع فى الجمعيات التعاونية الحكومية وتستخدم ارباحها فى تمويل التكاليف المحلية وفى هذا المجال ربطت الصين بين التجارة والمعونة . على العموم لقد بدأ المشروع الذى يعتبره الغرب أكبر استعراض لكفاءة الصين الاقتصادية والفنية خارج حدود أراضيها .

(1) Africa, An International Business, Economic. Monthly, London, No. 3/1971, P. 50.

(2) W. O. Adie, «China's year in Africa» Africa contemp. Record, 1970/1971, P. A 98.

« أفريقيا الاستوائية »

« دراسة فى علاقة السكان بالتنمية الاقتصاديه »

د . السعيد البدوى

EQUATORIAL AFRICA

THE RELATION BETWEEN POPULATION AND ECONOMIC DEVELOPMENT

by

S. EL BADAWY

This is the second paper in this series related to Equatorial Africa. Itdeals with the racial groups, the distribution of population and their densities. The main purpose of this paper is to throw lights upon population increase and its reflections on economic development. The principal conclusion is that economic development in this area is not impeded by overpopulation, as it is underpopulated area, but the main reasons for that are :-the rarity of skilled labour and experts, absence of scientific organisations, insufficient capitals, in addition to the absence of comprehensive studies related to the area.

فى مقال سابق تناولنا الظروف الجغرافية الطبيعية فى أفريقيا الاستوائيةوانعكاسها على النواحى الاقتصادية والإجتماعية فى هذه المنطقة [١] .

وفى هذا المقال نتناول دراسة علاقة السكان بالتنمية الاقتصادية فى هذه المنطقة . وفى هذا الاطار سوف نركز على النقطتين الاساسيتين الآتيتين :

أولا : الظروف الجغرافية العامة فى المنطقة وانعكاسها على توزيع السكان سلاليا وكميا .

ثانيا : السكان والتنمية الاقتصادية .

---

(١) مجلة الدراسات الافريقية – العدد الثانى . أفريقيا الاستوائية – دراسة فى الجغرافيا الطبيعية .

وبادىء ذى بدأ ، وكما سبق أن أشرنا فى المقال السابق فإن أفريقيا الاستوائية وأفريقيا المتوسطة من الألفاظ الشائعة والتى يختلف فى تحديد مجالها كثير من الباحثين وكذلك التنظيمات الاقليمية والعالمية . ولذا فان دراستنا لهذه المنطقة تركز على التحديد الجغرافى ، ومن هنا فإن الدول التى يشملها مجال دراستنا هى :

الكنغو (زائير) ، الكنغو الشعبى (برازافيل) ، **جابون** ، **الكمرون** ، **أفريقيا الوسطى** ، **غينيا الاستوائية** . على اعتبار أن هذه الدول هى التى تسود فيها الظروف الاستوائية على وجه الخصوص [1] .

أولا — الظروف الجغرافية وتأثيرها على السكان

هذه المنطقة الاستوائية المشار إليها تبدو كما لو كانت دائرة مركزها الرئيسى حوض الكنغو . وهى تبدأ فى الغرب بمنطقة ساحلية سهلية رملية تنتشر بها المستنقعات الساحلية بالإضافة إلى الغابات التى تعوق التوغل الأرضى داخل القارة . وينفتح هذا الساحل على المحيط الأطلنطى الذى ظل غير معروف حتى القرن الخامس عشر وكان يعتبر فى ذلك الوقت نهاية العالم La limite du monde وقد أقام الأوربيون على هذا الساحل مجموعة من المراكز التموينية Enterpot فى طريقهم إلى جزر الهند الشرقية وكانت هذه المراكز التموينية أو المخازن بمثابة مواطىء أقدام ساحلية وليس بقصد التوغل فى القارة التى كانت فى ذلك الوقت غامضة وموحشة .

أما الجزء الأوسط من هذه المنطقة فيوجد حوض ضخم تشغله الغابات الكثيفة المظلمة . وتجرى به المجارى المائية التى تعترضها بين آونة وأخرى المساقط المائية التى تعرقل التوغل النهرى إلى داخل القارة . ولكن فى نفس الوقت توجد مسافات من هذه الأنهار صالحة للملاحة تربط المناطق الداخلية بعضها ببعض ولكنها فى نفس الوقت لا تساعد على حركة الاتصال العام من وإلى الداخل . أما فى الشرق والشمال والجنوب فتوجد حافات هضبية ذات شكل شبه دائرى hémicycle de hauts plateaux

(١) تذكر بعض المؤلفات الاقليمية والدولية أن أفريقيا الوسطى Central Africa تضم جانب هذه الدول المذكورة كلا من تشاد — أنجولا — رواندا — بوروندى — أنظر فى هذا الصدد :
Survey of Economic Conditions in Africa 1971
United Nations (EcA).

حيث توجد التربة الصلدة وشبه العارية ولكن هذه المنطقة لاتشكل عقبة حقيقية أمام الاتصالات أو التعمير خصوصاً فى الأجزاء الشرقية حيث اتصلت بالمحيط الهندى والبحر الأحمر وبالتالى غرب آسيا والبحر المتوسط منذ قديم الزمن .

ومما سبق يتضح أنه توجد فى هذه المنطقة الاستوائية ثلاثة أجزاء متميزة لكل منها صفاتها الذاتية المنفردة داخل الاطار العام الاستوائى هى : الساحل الغربى ، الحوض الداخلى ، المرتفعات المحيطة ونكاد تغلق الحوض تماما .

ونتيجة لهذه الظروف الجغرافية التضاريسية أساساً والتى تنعكس على الظروف الطبيعية الأخرى فأن حركة السكان داخل هذه المنطقة لم تكن سهلة وفى نفس الوقت كان التعمير صعبا أيضاً حيث أتت الغزاوت البشرية من الخارج وعلى وجه الخصوص من الشمال والشرق . كما أن هذه الظروف الجغرافية تفسر أيضا التوزيع الحالى للجماعات البشرية داخل المنطقة حيث أتت الموجات البشرية المتواترة والتى كانت تزيح عناصر السكان الأقدم نحو مناطق العزلة فى الغابات والمرتفعات النائية . وأخيراً فإن هذه الظروف تفسر تلك المحاولات الحضاريه التى اتجهت نحو سكان الغابة المنعزلين . وتركزت هذه المحاولات فى نقطتين :

الأولى : فى الهضاب الشمالية والشرقية المرتبطة بالحضارات الآسيوية .

الثانية : الساحل الأطلنطى حيث بدأت محاولات الاوربيين أولا عن طريق مراكز التموين الساحلية ثم بعد ذلك بالتغلغل داخل القارة [1] .

وإذا ما حاولنا تتبع مسار حركات التعمير البشرى السلالى داخل هذه المنطقة منذ القدم فانه لا توجد لدينا أدلة ثابتة كافية توضح لنا ظروف الاستقرار والتحركات البشرية فى عصر ما قبل التاريخ ولكن هناك بعض الشواهد التى توضح لنا الموقف الحالى للسكان الوطنيين Auto-chtones فى أفريقيا الاستوائية .

فبالنسبة لأصل الأقزام Negrilles أو Pygmés بصفاتهم الجسدية المعروفة كانوا يشغلون كل المنطقة ذات المناخ الاستوائى من الهضاب التى تقع إلى الشمال من نهر أوبانجى (الرافد الشمالى لنهر الكنغو) إلى منطقة كاتنجا فى الجنوب وكانت لهم

(١) Ggeog. Universelle. Tome XII. Afrique centrale et oriontale ; Publie sous la direction de P.V. de la Blache et I. cgallois paris 1938 P. 38.

أسماء مختلفة مثل أكا Akka ، تيكى تيكى Tikki-Tikki ، مامبوتى Mamboutti باتوا Batoua . . . الخ وقد طاردت هذه الجماعات القزمية عناصر قزمية أصلية أيضاً فى كاتنجا وطردتها إلى الجنوب من كاتنجا ، ومن هنا فقد احتلوا فى جماعات مبعثرة أنحاء أفريقيا الوسطى الاستوائية .

وفى هذا الوقت كان يسكن شمال أفريقيا **جماعات** زنجية Negritiens بصفاتهم الجسدية المعروفة وقد بدأت هذه الجماعات الزنجية السوداء تتجه نحو الجنوب والغرب عندما بدأت الجماعات الحامية القادمة من آسيا إلى أفريقيا الشرقية — والذين أصبحوا فيما بعد يعرفون بالأحباش Abyssinians — أو جماعات البربر الحامية التى كانت تضغط من الشمال . وقد اختلط بعض الزنوج بهذه الجماعات الحامية خصوصاً فى الشرق وقد أعطى هذا الخليط عنصر الاثيوبيين Ethiopians وبناء على هذه الضغوط اتجهت الجماعات الزنجية من الشمال نحو الجنوب أو من الشمال الشرقى نحو الجنوب الغربى حيث ظهروا على الهضاب فى أفريقيا الاستوائية وكذلك فى الغابات الوسطى عن الأنهار الموجوده بها . وقد اختلط هؤلاء الزنوج مع الأقزام وكونوا فيما بعد الجنس الذى يعرف **بالبانتو** الذى يسكن الآن الجزء الأعظم من أفريقيا الاستوائية . ويذكر هنا أن هذه الجماعات نقلوا من آسيا بلا شك بعض الحاصلات إلى موطنهم الجديد فى أفريقيا وأهمها الموز الذى أصبح المحصول الغذائى الرئيسى فى هذه المنطقة أما بالنسبة للأقزام الذين لم يختلطوا بالزنوج فقد انعزلوا فى أعماق الغابات الوسطى واعتمدوا على الجمع والالتقاط مكونين جماعات منعزلة بائسة .

وجدير بالذكر فى هذا المجال أن البانتو — العنصر السائد فى هذه المنطقة — لا يكونون جنسا قائما بذاته ومتجانس Race homogène خصوصاً فى الأجزاء الهامشية من المنطقة حيث يختلطون فى الشمال مع الزنوج الخاص True Negros الذين ظلوا على نقائهم العنصرى نسبياً . وفى الشرق اختلطوا مع الحاميين أو مع أشقائهم الزنوج الذين اكتسبوا صفات حامية ويطلق عليهم أشباه الزنوج مثل الجالا والموسى . هذا فى حين أن مناطق الغابات يوجد بها عنصر البانتو الذى اختلط بالأقزام عبر آلاف السنين . ولكل جماعة من هذه الجماعات البانتوية صفاتها الجسدية والثقافية الخاصة حتى أن لفظ (بانتو) نفسه يعنى « الناس » دون تحديد إلى أى

جنس ينتمى هؤلاء الناس . وفى داخل هذه الجماعات البانتويه توجد صفات متنوعة ضمن الاطار العام للعنصر البانتوى(١) .

وفى شمال المنطقة وعلى حدود النطاق السودانى نجد سفانا الهضاب التى يعيش فيها **الزنوج** سواء السودانيون أو **النيلوتيون** الذين اختلطوا بدرجة أو بأخرى بالبانتو . نجد مثل هذا الخليط فى الكمرون وفى أجزاء من أعالى نهر سنجا Sanga وخصوصاً فى المنطقة التى تقع إلى الشمال من نهرى الأوبانجى ، أو يلى حتى حوض النيل الأعلى حيث يعيش الأزاندى والمانجبتو ؛ وهنا نجد صفات خاصة بالزنوج حيث السيقان الطويلة وكذلك القامة والفك البارز وقد نقلوا صفاتهم هذه إلى القبائل البانتوية التى اختلطوا بها . وقد توقف تقدم الزنوج على حواف المنطقة الاستوائية الأصلية بين خطى عرض ٤ ، ٥°شمالا . وربما يرجع هذا إلى أن السكان الذين كانوا يعيشون فى هذه المناطق كانوا أقل من أن يستغلوا المنطقة التى يعيشون فيها ولم تكن لديهم قدرة كافية على المقاومة . والمرجع أن ذلك يرجع إلى أن هؤلاء الزنوج لم يجدوا فى الجنوب أكثر من منطقتهم الحالية الظروف الطبيعية الملائمة لزراعة الحبوب التى يعيشون عليها فتركوا المناطق الاستوائية للبانتو الذين يزرعون المانيوق ولذا يذكر فى هذا المجال أن أهل الذرة العويجة تركوا المكان لأهل المانيوق «Les peuples du mil» laissaient la place aux peuples du manioc».

وبدون شك فاننا نجد حداً طبيعياً مشابهاً لذلك فى الأجزاء الشرقية من أفريقيا الوسطى الاستوائية حيث نجد الهضاب المرتفعة فى شرق أفريقيا . وهنا نجد اختلاطاً بين بانتو أفريقيا الاستوائية وبانتو الشرق حيث تبدو هنا القامة أكثر طولا والتقاطيع أكثر دقة واللون أقل قتامة ، وقد تسربت هذه الصفات من العناصر الحامية .

وقد انعكست هذه الظرروف الجغرافية على النواحى السيكلوجية للسكان سواء هؤلاء البانتو الذين يعيشون فى الغابات أو هؤلاء الذين يعيشون فى السفانا .

---

(١) أنظر فى هذا الصدد : geog. Universelle op. cit. pp. 29, 42...44

وكذلك Murdock, g.p. : Africa, its peoples & their culture history London 1959. pp. 271, 272...278.

وكذلك Denis, J., Vennetier, P., wilmet, J. : L'Afrique centrale et orientale paris 1971. PP. 72...74.

وكذلك . د . محمد عوض محمد : الشعوب والسلالات الافريقية ص ٧١ – ص ٨٦ .

فرجل البانتو فى الغابة يعيش فى بيئة كلها غابات كثيفة والطرق فيها صعبة بل حتى ضوء الشمس لا يصل إلى الأرض إلا قليلا . . كل هذا جعل انسان البانتو فى الغابة إنسان حذر يشك فى كل غريب كما أنه بالتالى عدوانى أمام الغرباء لأن الظروف الطبيعية القاسية حتمت عليه أن يكون كذلك . هذا فى حين أن إنسان البانتو فى مناطق السفانا يعيش فى ظروف جغرافية أكثر يسرا وسهولة ، فالبيئة مفتوحة والجو صحو والشمس تظهر كل شىء – هنا الإنسان أكثر هدوءا وأقل ريبة وشكا كما أنه يتصف بالمرح ويتعاون مع جيرانه الأمر الذى ينعكس على تقبله للجديد والغرباء والتأثيرات الخارجية .

أما عن حيث التأثيرات الخارجية على هؤلاء السكان الوطنيين فليس لهـا تأثير واضح ، إذ أنهم ظلوا دون تغيير يذكر فى تكوينهم السلالى composition ethnique حتى الوقت الراهن . ولكن هذا لا يمنع من وجود بعض التأثيرات الأجنبية فى بعض المواقع بعد كشف القارة سواء بسبب التبادل التجارى أو التطور السياسى ، وقد كان هذا التأثير من جهتين المحيط الهندى من ناحية والأطلنطى من ناحية أخرى . فبالنسبة للمحيط الأطلنطى جاء البرتغاليون إلى هذه المنطقة سواء قبل « دى جاما » أو بعده وأنشأوا المراكز البحرية كنقط للوصول إلى الهند . ثم جاء بعد ذلك الأسبان وأنشأوا لهم مراكز بحرية أيضاً ثم أقاموا لهم امبراطورية فى أمريكا الجنوبية وزرعوا مناطق واسعة منها وكان ذلك يستدعى أيدى عاملة كثيرة ومن ثم فقد اتجهوا نحو أفريقيا . ومن هنا بدأت تجارة الرقيق حيث قام زعماء القبائل الأفريقية الذين كانوا يوردون المطاط والذهب والعاج وغيرها بتوريد العمال الأفريقيين سواء من شاطىء أنجولا أو ساحل موزمبيق . وقد كان للبرتغال تأثير واضح فى هذا الصدد فى منطقة الهضاب الوسطى بين الكنغو والزمبيزى .

ومن المحيط الهندى مارس العرب نفس الدور أولا بالتجارة وبعد ذلك بالتعاقد وقد جاء هؤلاء العرب من الشرق والشمال الشرقى عبر النيل . وكانوا وسطاء تجارة بين آسيا وأفريقيا حتى أنهم وصلوا إلى مناطق أعالى الأوبانجى وأراضى الأزاندى والمنجبتو Mangbettou أما فى الشرق فقد بدأ نفوذ العرب من سلطنة زنجبار (أرض الزنج) تلك السلطنة التى ظلت تابعة لسلطنة عمان حتى عام ١٨٦١ وامتدت فى شرق أفريقيا حتى نهر لوالابا ورافده لومامى فى شرق

الكنغو ، وفى عام ١٨٦٨ أنشأت مستعمرة على نهر لوالابا فى منطقة Nyangoué وامتد نفوذها نحو الجنوب أيضاً حتى وصل إلى أعالى نهر لوالابا فى الجزء الشرقى من هضبة الكنغو — الزمبيزى وإلى بحيرة بنجويلو وبالتالى سيطرت على جزء كبير من كاتنجا . وقد أقام العرب سلطنات لهم بجانت الممالك الوطنية أو بينها ، وكان بداية التأثير العربى بالتجارة فى منتجات البلاد المحلية وأهمها العاج ثم بحثوا عن العمال الذين يحملون هذه البضائع الثقيلة نحو الساحل وأخيراً أصبحت تجارة الرقيق جزءاً من نشاطهم — ومن هنا فقد سيطر العرب — والبرتغاليون حتى نهاية القرن التاسع عشر على تجارة الرقيق فى أفريقيا الاستوائية الممتدة من الأوبانجى شمالا حتى كاتنجا جنوباً ومن الأخيرة حتى نهر الكنغو الأدنى . ونتيجة لكل هذا تغيرت الملامح « السياسية » فى المنطقة حيث بدأت تتكون ممالك قويه تشابه تلك الممالك السودانية فى الشمال . ومن هذه الممالك القوية مملكة لوانجو Loango عند مصب نهر الكنغو . وممالك بالوندا . باروتزى . كاتنجا فى الجنوب . وممالك أوروورا Ouroua أوانيما Ouanyema باتشمبا Bachimba . رواندا . أوروندى . أونيامويزى فى الشرق . إلا أن القضاء على تجارة الرقيق سرعان ما أدى إلى إنهيار هذه الممالك لأن هذه التجارة كانت سبب وجودها وبقائها Raison d'être ومن ثم فقد أرتدت البلاد مرة أخرى إلى قبائل عديدة ومفككة أو ما يطلق عليه « دتراب القبائل Poussière de tribus ». ولقد كان لهذا النظام انعكاساته الاقتصادية والاجتماعية على هذه المنطقة حيث جاءت محصولات من أمريكا وآسيا وفى نفس الوقت كانت هذه التجارة «الآدمية» ذات تأثير مدمر على السكان الوطنيين (١) .

وكما أن لهذه الظروف الجغرافية تأثيراتها على التوزيع السلالى للسكان والتأثيرات الخارجية التى طرأت عليهم فان لها أيضاً تأثيرها الواضح على توزيع السكان من حيث الكثافة . إذ أن الطبيعة هيأت بعض الأماكن التى يستطيع فيها السكان المعيشة بيسر وسهولة وفى نفس الوقت أوجدت الأجزاء الصعبة التى ينفر منها السكان ولا يعيش فيها إلا قليل . ومن المعروف أن الكثافة العامة فى القارة الأفريقية منخفضة بصفة عامة عن غيرها من القارات إذ أنها لا تزيد عن ١٢ نسمة فى الكيلو متر المربع وفقاً لاحصائيات

(١) Geog. Univ. Op. cit. p. 40

وبالنسبة لتأثير تجارة الرقيق أنظر Denis : L'Afrique centrale op. cit p. 79.

الأمم المتحدة (عام ١٩٧٠)[١] . ولكن الكثافة فى أفريقيا الأستوائية أقل بكثير من هذا المتوسط العام للقارة الأفريقية الذى يعتبر منخفضا بالنسبة للقارات الأخرى ، إذ أن سكان هذه المنطقة يعتبروا أقلية بالنسبة للمساحة الضخمة التى يعيشون عليها ولذلك يطلق عليها بعض الكتاب « عالم المداريات الشاغر monde de tropiques vide ومع ذلك فانه داخل هذه المنطقة توجد أختلافات واضحة فى الكثافة . مثلا فى الكنغو الشعبى (برازافيل) ، جابون وجمهورية أفريقيا نجد أن الكثافة ٢ نسمة فقط فى الكم ٢ ، وفى الكنغو زائير تصل الكثافة ٧ نسمة فى الكم ٢ . فى حين أننا لو قارنا ذلك بشرق أفريقيا نلاحظ أن الكثافة فى كينيا ١٨ وفى أثيوبيا ٢٠ وفى أوغندا ٣٤ أما فى بوروندى فان الكثافة تصل إلى ١٢٢ نسمة وتصل الذروة فى رواندا ١٢٩ — نسمة . وفيما يلى بيان يوضح إختلاف الكثافة بين دول أفريقيا الوسطى وغيرها (عام ١٩٦٨) [٢]

أفريقيا الإستوائية				دول أخرى للمقارنة	
الدولة	المساحة بالكم٢	السكان	الكثافة فى الكم٢	الدولة	الكثافة
الكمرون	٤٧٥،٤٤٢	٥،٥٦٢،٠٠٠٠	١٢	رواندا	١٢٩
غينيا الاستوائية	٢٨،٠٥١	٨٧١،٠٠٠	١٠	بوروندى	١٢٢
الكنغو زائير	٢،٣٤٥،٤٠٩	١٦،٧٣٠،٠٠٠	٧	أوغندا	٣٤
الكنغو (برازا)	٣٤٢،٠٠٠	٧٨٠،٠٠٠	٣	كينيا	١٨
جابون	٢٦٧،٦٦٧	٤٨٠،٠٠٠	٢	تنزانيا	١٣
أفريقيا الوسطى	٦٢٢،٩٨٤	١،٤٨٨،٠٠٠	٢	أثيوبيا	٢٠
جزيرتا)				الصومال	٤
ساوتومى وبرنسيب	٩٦٤	٦٥،٠٠٠	٦٧	أقليم آفار وعيسى	٤

الكثافة العامة فى أفريقيا المتوسطة التى تضم كل الدول والمناطق المذكوره =١،٠٦

(١) Survey of Ecomomic conditions in Africa 1971. U.N. (ECA) P. 18.

(٢) Denis : L'Afrique centrale op-cit p. 78.

Caldwell J.c. & Olonjo, c. (editors) : The population of tropical Africa Longman 3*d* 1969 P. 188...9.

والواضح مما سبق أن كثافة السكان فى أفريقيا الوسطى الأستوائية منخفضة بصفة عامة فيما عدا الجزر الساحلية وأهمها برنسيب وساوتومى البرتغاليتين حيث تصل الكثافة فيهما أقصاها (٦٧ نسمة) نتيجة للمشروعات الزراعية الضخمة القائمة عليها بسبب خصوبة التربة البركانية الأمر الذى يؤدى إلى استجلاب العمال من المناطق المجاورة من جانب الشركات الأوربية التى تستغل هذه الجزر .وإنخفاض كثافة السكان فى المنطقة يرجع إلى الظروف الصحية غير المناسبة التى تؤدى إلى ارتفاع نسبة الوفيات بشكل واضح ، بالأضافة إلى كثافة الغابات الموجودة فى المنطقة وبصفة عامة فان تجمعات السكان تتركز حول المجارى المائية رغم إنتشار ذبابة تسى تسى ، لأن هذه المجارى المائية تعتبر وسيلة المواصلات الهامة فى هذه المنطقة ، وفى نفس الوقت تعتبر همزه الوصل بالنسبة لانتقال السكان من حقل إلى آخر ، أما بالنسبة للغابات التى توجد فى المناطق التى تقع بين المجارى المائية وبعضها فانها أقل من حيث توطن السكان وتقتصر السكنى فيها على الأقزام أما البانتو فنادرا ما يستقرون كما أسلفنا . أما فى المناطق الهضبية التى تختلط فيها الأشجار بالسفانا فى الأجزاء المجاورة لحوض الكنغو نفسه فان لها نظاما خاصا فى الشمال والشرق والجنوب من الحوض . فبالنسبة لهضاب الأوبانجى والكنغو الأوسط فانها مأهولة نسبياً بعكس تلك الهضاب التى توجد فى الشرق بين بحيرتى ألبرت وادوارد ، وبحيرة ألبرت ونهولوالابا ، كما أن المناطق التى توجد فى الجنوب فى كاتنجا وأنجولا مخلخلة السكان بشكل لا يتلاءم مع ظروفها الطبيعية الجيدة ، ويلاحظ أن مناطق إنخفاض السكان فى هذه المناطق تتطابق مع تلك التى مارس فيها البرتغاليون والعرب تجارة الرقيق نظراً لأن السكان كانوا يهربوا نحو الداخل فى الغابات خوفاً من إقتيادهم كرقيق ، ولكن بعد إنتهاء هذه التجارة عاد السكان إلى التوطن مرة أخرى فى هذه المناطق الهامشية من حوض الكنغو خصوصاً فى منطقة كاتنجا التى جذبت إليها السكان لاستغلال الموارد المعدنية الموجودة بها . ولذا فان أفريقيا الأستوائية تحتاج فى الوقت الراهن إلى تحسين الظروف الصحية والمعيشية للسكان بقصد استغلال الإمكانات الأقتصادية الموجودة بها إستغلالا أمثل لصالح السكان (١) .

(١) geog Univers. Op. cit. P. 41...2.

ولكن هذه الكثافة العامة لا تنطبق على جميع أجزاء المنطقة بالطبع إذ أن السكان يتركزون فى المناطق الملائمة للاستغلال خصوصاً فى المناطق الملائمة للزراعة ويبدو ذلك من الجدول الآتى : (١) الذى يوضح عدد السكان الكلى وعددهم فى الكم ٢ فى الأراضى القابلة للزراعة بما فيها الأراضى المزروعة بالمحصولات الدائمة والكثافة الريفية (١٩٧٠) .

الدولة	(١) عدد السكان بالألف	(٢) عدد كثافة السكان فى الكم٢ فى الأراضى القابلة للزراعة	
		(أ) كل السكان	(ب) فى الريف
الكمرون	٥,٨٣٦	٨٠	٧٥
أفريقيا الوسطى	١,٦٠٠	٢٧	٢٤
الكنغو الشعبى	١,٠٢٠	١٦٢	١٢٤
غينيا الأستوائية	٢٨٥	١٢٩	٥٣
جابون	٥٠٠	٣٩٤	٣٦٤
زائير	٢٠,٦٣٨	. . .	. . .
كل السكان	٣٠,٦٧٩		

هذا فى حين أننا لو قارنا هذه الأرقام بالدول الأخرى فى أفريقيا فاننا نجد مثلا أن عدد السكان فى **مصر** فى بند ٢ أ = ١,١٦٧ نسمة وفى البند ٢ب =٧٠٠ وفى **الجزائر** ٢٠٢ ، ١٤٠ على التوالى وهما مثالان من أفريقيا الشمالية أما فى أفريقيا الغربية فان **نيجيريا** ٣٠٤ ، ٢٤٨ على التوالى **وفولتا العايا** ٦٢ ، ٥٩ على التوالى وفى **أثيوبيا** ١٩٤ ، ١٨٣ ، **وتنزانيا** ١١٣ ، ١٠٨ على التوالى وهما من شرق أفريقيا . ويتضح مما سبق أن ضغط السكان population pressure على الأراضى الزراعية فى أفريقيا الوسطى الأستوائية غير وارد ومعنى ذلك أن هذه الأراضى الزراعية تستطيع أن تتحمل أعدادا أخرى دون أن يتأثر إنتاجها

(١) Economic Survey op. cit. p. 21.

وذلك يستدعى فى نفس الوقت تحسين وسائل الأنتاج الزراعى وترشيد الأنتاج نفسه وفى نفس الوقت المحافظة على التربة . وسوف نشير فى ذلك فيما بعد عند دراسة التنمية الزراعية وعلاقة ذلك بالنمو السكانى .

ثانياً — السكان والتنمية الاقتصادية

فى دراسة هذه النقطة يمكن تناول ثلاثة محاور فرعية :

الأول : نمو السكان فى المنطقة والعوامل المؤثرة فى هذا النمو .

الثانى : النمو الأقتصادى فى المنطقة بفروعه المختلفة .

الثالث : علاقة السكان بالتنمية الأقتصادية .

١ — النمو السكانى

تعتبر قارة أفريقيا من مناطق الزيادة السريعة فى السكان فى العالم. وليس أدل على ذلك من أن عدد السكان بها بلغ فى منتصف عام ١٩٧٠ حوالى ٣٦٠ مليون نسمة أى حوالى ١٠ ٪ من سكان العالم وقد وصلت القارة إلى هذاالرقم الكبير فى فترة وجيزة حيث أن نسبة السكان بها فى عام ١٩٢٠ لم تكن تتجاوز ٧,٥ ٪ بالنسبة لسكان العالم ورغم هذه الزيادة الواضحة فى عدد السكان فى القارة إلا أنها مازالت من مناطق العالم القليلة السكان بالنسبة للمساحة ؛ إذ أن الكثافة العامة حوالى ١٢ نسمة فقط فى الكم ٢ (١٩٧٠) . هذا فى حين أن الكثافة فى القارة الأسيوية حوالى ٦٨ نسمة فى الكم ٢ .

وقد قدرت نسبة **الزيادة السنوية** فى القارة الأفريقية فى عام ١٩٧٠ بحوالى ٢,٥ ٪ بمعدل مواليد مرتفع نسبياً يصل حوالى ٤٦ فى الألف ومعدل وفيات يصل ٢١ فى الألف . وهذان المعدلان يرتفعان عن أى مكان آخر فى العالم . ولكن نسبة الزيادة الطبيعية فى السكان فى القارة لا تأتى فى المرتبة الأولى وإنما تحتل المكانة

الثانية بعد أمريكا اللاتينية التى وصل معدل المواليد بها فى نهاية الستينات حوالى ٤٠ فى الألف ومعدل الوفيات ١١ فى الألف [١] .

وإذا كان معدل الزيادة الطبيعية للسكان فى قارة أفريقيا مرتفعا بصفة عامة فانه فى المناطق المدارية منها أكثر وضوحاً فى الإرتفاع وذلك لارتفاع نسبة المواليد بشكل واضح . إذ أنه من الملامح البارزة فى مجال النمو السكانى فى أفريقيا المدارية بصفة عامة ارتفـاع نسبـة الخصوبة Fertity rate فى معظم دول هذه المنطقة بشكل واضح . ورغم أن نسبة الوفيات مازالت مرتفعة بالمقاييس العالمية إلا أنها تتناقص بسرعة . ولهذا فان الزيادة الطبيعية فى معظم الحالات تبلغ ضعف ما شهدته أوربا فى عهد التصنيع فى القرن التاسع عشر . فنسبة المواليد فى أفريقيا المدارية أعظم إرتفاعا من تلك الموجودة فى العالم الغربى . كما أنه من المستطاع فى عديد من دول هذه المنطقة أن تخفض نسبة الوفيات بدرجة ملحوظة فى فترة زمنية محدودة [٢] وفى داخل هذه المنطقة المدارية الافريقية توجد أفريقيا الوسطى الأستوائية التى تختلف فيها معدل المواليد والوفيات . ولو أنهما بصفة عامة مرتفعين الأمر الذى يؤدى إلى أرتفاع نسبة الزيادة الطبيعية . ففى الكامرون يصل معدل النمو ٢,١ ٪ وكذلك فى جمهورية أفريقيا الوسطى أما فى الكنغو الشعبى فإن معدل النمو ينخفض إلى ١,٧ ٪ فقط وفى غينيا الأستوائية ١,٤ ٪ فقط ثم ينخفض أكثر فى جابون ١,٢ ٪ أما فى زائير فان النسبة ترتفع إلى ٣ ٪ وهى أعلى نسبة فى أفريقيا الأستوائية كلها . والملاحظ أنه لا يصل إلى هذا المعدل المرتفع فى القارة كلها سوى ليبيا (٣,٨ ٪) وساحل العاج (٣ ٪) وليبيريا (٣ ٪) وبتسوانا (٣ ٪) ومالاوى (٣,٣ ٪) تنزانيا (٣ ٪) [٣] .

ويرجع التزايد السريع فى نمو السكان فى عديد من الأقطار (النامية) ومنها أفريقيا الوسطى إلى التطبيق الناجح للوسائل الصحية الحديثة . كما أن ذلك

---

(١) Survery of Economic conditions in Africa P. 17.

(٢) Caldwell & Okonjo : The population of tropical Africa. P. 333.

(٣) Survey of Economic conditions op. cit. p. 17...18.

يرجع فى نفس الوقت إلى ارتفاع نسبة الخصوبة فى هذه المنطقة إذ أن معدل الخصوبة يتراوح بين ١٥٠ ، ٢٠٠ فى الألف ويصل فى بعض الأحيان إلى ١٦٠ فى الألف وفيما يلى بيان يوضح معدلات الخصوبة والوفاه فى بعض دول المنطقة (١) Measutes of fertility and mortality .

الدولة	معدلات الخصوبة			معدلات الوفاة	
	معدل المواليد الأصلى	معدل الخصوبة العام	معدل إعادة الأنتاج	معدل الوفاة الأصلى	معدل وفيات الأطفال
	بالألف	بالالاف	الكلى	بالألف	بالألف
زائير	٤٣	١٥٦	٢,٤	٢٠	١٠٤
الكمرون	٣٧	١٣٢	٣,٢	١٨	٧٦
أفريقيا اوسطى	٤٨	١٥٧	٢,٥	٢٦	١٩٠
الكنغو الشعبي	٤١	١٤٩	٢,٥	٢٤	١٨٠
جابون	٣٥	١١٦	٢,١	٣٠	٢٢٩
ساوتومى وبرنسيب	٥١	٢٦٠	. . .	١٨,٤	١٤٠

ملحوظة : هذه الأرقام تقديرات لسنوات مختلفة ، والقصد منها الأشارة وليس التحديد .

وتعطى هذه الأرقام دلالات واضحة على ارتفاع نسبة **الخصوبة** فى دول هذه المنطقة الأمر الذى ينعكس على معدل المواليد وكذلك على نسبة إعادة الأنتاج Reproduction (ويقصد بذلك عدد البنات الأحياء لكل سيدة) وتعطى هذه النسبة الأخيرة مؤشرات هامة للحيوية الديموجرافية وتوقعات الزيادة فى فى المستقبل حيث أن المعدل العام فى المنطقة كلها يتراوح بين ١,٤ ، ٣,٢ وينخفض المعدل فى جابون إلى أدناه فيصل ٢,١ ورغم وجود بعض التقديرات الأخرى التى تعطى

(١) Calwell. Popul. of tropical Africa. P. 194.

نسبا أقل لاعادة الإنتاج فى دول المنطقة وتجعلها تتراوح بين ١,٤ — ١,٧ ، إلا أن إختلاف الأرقام لا يغير إلا التفاصيل وتظل الدلالة واضحة وهى إرتفاع نسبة الخصوبة وكذلك نسبة أعادة الإنتاج (١) .

هذا هو الأطار العام لمعدلات المواليد والوفيات والخصوبة واعادة الإنتاج ولكن فى داخل هذا الأطار العام توجد تفصيلات كثيرة داخل دول المنطقة المدروسة منها نسبة العقم المرتفعة الموجودة فى بعض أجزاء المنطقة فقد بينت الدراسة التفصيلية لديموجرافية زائير أن المتوسط العام للمواليد ٤٥ فى الألف فى حين أنه توجد أختلافات إقليمية واسعة فهى فى أويلى الأدنى Bas uele ٢٠ فقط . أما فى شمال وجنوب كيفو فتصل إلى ٦٠ فى حين أن درجة العقم بالنسبة للنساء فوق سن ٤٥ سنة اللاتى لم يحملن مطلقا تتباين بين ٥٪ (كيفو) إلى ٥٠ ٪ فى أويلى الأدنى والمتوسط العام للدولة ٢٠ فى المائة . وهناك منطقة واسعة تبدو فيها إنخفاض نسبة الخصوبة فى أواسط الكنغو على طول النهر وروافده وتتفق هذه المنطقة مع توزيع جماعة المونجو Mongo وهى مجموعة يزيد عدد سكانها على مليون نسمة . وهناك منطقة أخرى تبدو فيها ظاهرة إنخفاض الخصوبة واضحة جدا وتقع فى الجزء الشمالى الشرقى من الكنغو على طول نهر أويلى ويعيش فيها حوالى مليون نسمة من الأزاندى والمونجبتو Mongbetu . ونظرا لانخفاض نسبة الخصوبة بشكل واضح لدرجة أنها لا تستطيع أن تعطى نسبة الوفيات العالية فى هذه المنطقة فان تناقص السكان هنا depopulation يشكل خطرا يواجه هذه المنطقة وعموما فان حوالى نصف سكان الكنغو زائير يعانون من إنخفاض نسبة الخصوبة بشكل ما فهناك حوالى ٢٢٪ من السكان نسبة المواليد لديهم أقل من ٣٥٪ فى الألف وحوالى ٧٪ من السكان نسبة المواليد عندهم أقل من ٢٥ فى الألف . وتقابل نفس المشكلة جمهورية أفريقية الوسطى حيث أنه وفقاً للدراسات التفصيلية التى أجريت تبين أن نسبة المواليد انخفضت فى مناطق Baya, Sara, M'Boum Mandjia . وغيرها من أكثر من ٥٥ فى الألف إلى ٢٠ فى الألف فقط فى منطقة Mzakara ويعيش فى هذه المنطقة الأخيرة سكان يمتون بصلة إلى الأزاندى الذين يعيشون فى الكنغو والسودان

(١) Denis et wilmet : L'Afrique centrale P. 81.

وترتفع بينهم نسبة العقم . وتتأثر أجزاء من جابون والكمرون كذلك بانخفاض نسبة الخصوبة فقد تبين من دراسة شمال الكمرون أن نسبة المواليد بين المسلمين ٢٩ فى الألف فقط .وأن نسبة النساء فى سن٢٥ـ ٤٥ اللاتى ليس لديهن أطفال Childesness حوالى ٣٥ ٪ كما أن دراسة أخرى أجريت على منطقة الكمرون البريطانى(سابقاً) على جماعة Bakwari أظهرت أن نسبة العقم بينها واضحة(١) .

ومن هذا العرض المفصل تمكن استخلاص بعض الملامح منها أن انخفاض نسبة الخصوبة توجد فى بعض مناطق أفريقيا المدارية بصفة عامة ، وأن هناك علاقة ما بين الموضع الجغرافى geogr. position والتعرض للاحتكاك الخارجى والموقع الجغرافى Location مثل القرب من نهرى الكنغو وأويلى أو بحيرة فكتوريا وبين انخفاض نسبة الخصوبة . إلا أنه بدون المعلومات التفصيلية لا يمكن أن نصل إلى الفهم الكامل (لمكانيزم)انخفاض الخصوبة فى بعض الأجزاء والعوامل المؤثرة فيها . ولكن هناك بعض الترجيحات التى تعطى كعوامل لوجود العقم فى بعض المناطق منها العوامل الفسيولوجية خصوصاً الأمراض التناسلية والعوامل الاجتماعية مثل طرق الزواج والعوامل المرتبطة بأمراض سوء التغذية(١) (يقصد بمعدل الخصوبة العام عدد المواليد بالنسبة لكل ١٠٠٠ سيدة فى سن ١٥ ـ ٤٥ سنة) .

أما بالنسبة للوفيات فانها مازالت مرتفعة كما سبق أن أشرنا ولكنها مرتفعة بصفة خاصة بين الأطفال فهى فى الكنغو (براز) ١٨٠ فى الألف وفى جابون ٢٢٩ فى الألف . وبصفة عامة فان نسبة الأطفال الذين يبلغون سن الخامسة لا يتجاوز الثلث فقط . ولا يدخل فى هذا المجال الحالات الاستثنائية كالأوبئة والمجاعات والحروب كما حدث مثلا فى منطقة كويلو Kwilu بالكنغو زائير فى الفترة من ٦٣ حتى ١٩٦٥ حيث انسحب الناس إلى الغابات وقت القلاقل والاضطرابات ثم عادوا بعد ذلك إلى قراهم القديمة وقد قدرت نسبة الأطفال الذين ماتوا حوالى ٥٪ من عدد الأطفال الذين ولدوا خارج منطقتهم الأصلية أى أثناء وجودهم

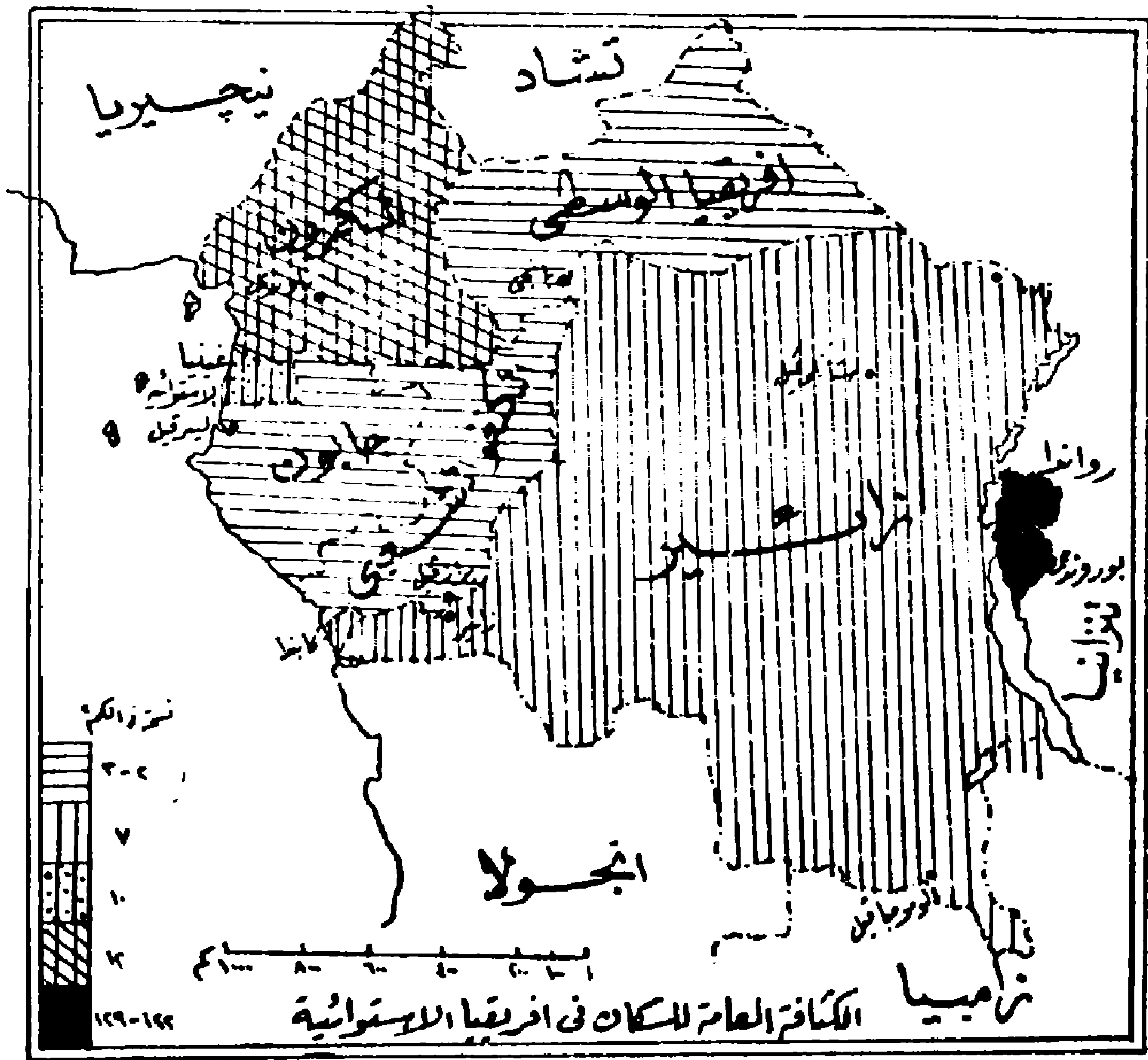
---

(١) The population of Tropical Africa op. cit. p. 215.

(٢) Ibid. pp. 220, 222, 223, 216.

فى الغابات ، وتثبت الدراسة التى أجراها J. Mcgregor فى غمبيا أن الفترة الحرجة فى وفيات الأطفال هى من ٩ — ١٤ شهراً وليس كل الفترة الأولى من حياتهم .

ويفسر ارتفاع نسبة وفيات الأطفال متوسط السن المنخفض بصفة عامة والذى يتراوح بين ٢٧ ـ ٣٥ عاماً ولكن هذا لا يمنع من وجود أناس على قيد الحياة وهم فى سن الثمانين(١) . ولهذا ينبغى الاهتمام بالأطفال والنساء الحوامل فى هذه المنطقة بصفة أولى . إذ أن ذلك لا يؤدى فقط إلى انخفاض نسبة الوفيات ولكن يؤدى فى نفس الوقت إلى أن الأطفال الذين يعيشون يتمتعون بصحة طيبة تنعكس على الإنتاج والتعليم ومجالات الحياة المختلفة بعد ذلك كذلك فان الأطفال فى هذه الأقطار تحت سن ١٤ سنة تصل نسبتهم إلى حوالى النصف وهذا يحتاج إلى الاهتمام بهم بشكل واضح ، وبصفة خاصة ينبغى القضاء على الأمراض



(١) Denis. L'Afrique centrale. P. 82.

الوبائية التي تؤثر على الأطفال وأهمها الملاريا . هذا بالإضافة إلى الاهتمام بترقية الأحوال الصحية بصفة عامة . ولهذا ينبغي على السياسة الصحية أن تهدف إلى تحسين صحة كل المجتمع ، مع وضع أولويات مختارة على نطاق واسع ولكن ليس بصفة مطلقة تؤدى إلى اخطار ، فمبدأ الأطفال والنساء الحوامل أولاً لا ينبغى أن يستحوذ على كل المزايا وإنما ينبغي أن يكون الهدف مزدوجا بحيث يؤدى إلى تقليل نسبة الوفيات فى الجماعة المعرضة للخطر بصفة عالية High risk group وفى نفس الوقت لتقليل نسبة الأمراض واعتلال الصحة بالنسبة للجماعات المنتجة اقتصاديا . ومثل هذه السياسة المتوازنة تؤدى إلى تخفيف حدة الضغط الناتج عن زيادة السكان على التنمية الاقتصادية وذلك عن طريق تعويض ذلك بالكفاءة الاقتصادية التي يقوم بها السكان الذين هم فى سن العمل والإنتاج (٢) .

ورغم ارتفاع نسبة الوفيات فان الزيادة الطبيعية مرتفعة وتتراوح بين ١,٥ — ٣ ٪ سنويا . ويتراوح المعدل فى الغالب بين ٢ ، ٢,٥٪ وإذا كان المعدل ٢ ٪فان السكان يمكن أن يتضاعفوا خلال ٣٦ عاما . أما إذا كان المعدل ٢,٥ ٪ فان السكان يتضاعفوا خلال ٢٧ أو ٢٨ عاما . وإذا عرفنا أن متوسط وفيات الأطفال على وجه الخصوص يمكن أن تنخفض بشكل واضح فان معدل المواليد سوف يظل كما هو لفترة طويلة وبالتالى نعرف مدى سرعة نمو السكان (١) أى أن عدد سكان المنطقة الذين يبلغ عددهم الآن حوالى ٣٢ مليون نسمة يمكن أن يصبحوا عام ٢٠٠٠ حوالى ٦٤ مليون نسمة . ولكن رغم ذلك فان المنطقة تستطيع أن تتحمل هذا العدد من السكان خصوصا وأن الكثافة هنا منخفضة كما سبق أن أشرنا ومن ثم فانه لا يتبقى خلال فترة الأنفجار السكانى الحالية إلا أن يعمل الشباب بكل قواهم لرفع مستوى المعيشة أذ أن زيادة السكان الواضحة تلتهم التقدم الأقتصادى البطئ .

وجدير بالذكر فى نهاية هذا الموضوع أن نشير إلى الهجرة سواء أكانت جبراً أو إختيارا فقد حدثت فى الماضى جبرا من أفريقيا إلى أمريكا . كذلك هناك الهجرة

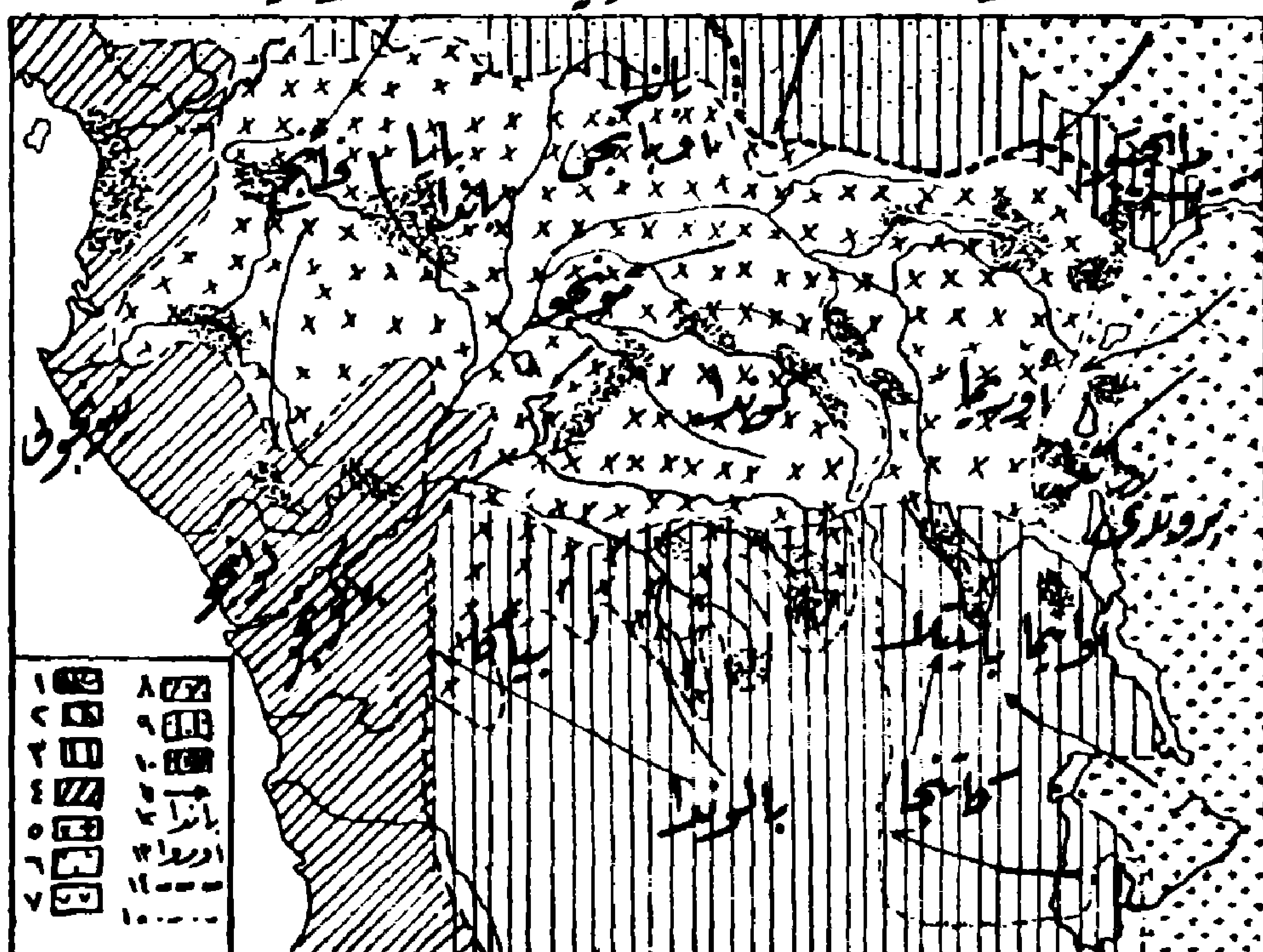
---

(١) Pop. of tropical Africa PP. 377...8.

(٢) L'Afrique centrrle et orientale pp. 82—3.

الداخلية فهناك النيلوتيون والحاميون الذين اتجهوا نحو الجنوب حيث الرعي والمتكلمين بالبانتوية الذين احتموا بالغابات واشتغلوا بالزراعة . وفى نفس الوقت نجد فى الوقت الحالى هجرة فصلية أو دائمة من مناطق إرتفاع الكثافة نحو مناطق أقل كثافة من رواندا إلى كيفو وأوغندا والكنغو كذلك هناك هجرة من مناطق منخفضة الكثافة ولكنهـا فقيرة إلى مناطق اغنى رغم أنها عاليـة الكثافة من ذلك هجـرة البندى pende والسوكو Suku والـ Tshokwe من جنوب كوانجو Kwango نحـو منطقة كويلو Kwilu الغنية . ولكن هـذه الهجرات المحليـة

عناصر السكان فى افريقيا الاستوائية



١ - الأقزام . ٢ - بانتو الغابات . ٣ - بانتو السفانا . ٤ - بانتو الأطلنطى
٥ - بانتو افريقيا الشرقية - ٦ - زنوج . ٧ - نيلوتيون . ٨ - خليط من بانتو الأطلنطى والزنوج - ٩ - خليط من بانتو السفانا والزنوج - ١٠ - خليط من بانتو الغابات وبانتو السفانا . ١١ - الاتجاهات الرئيسية للهجرات القبلية
١٢ - أسماء القبائل الكبرى . ١٣ - القبائل التى كانت فى الماضى مركز الممالك
١٤ - حد التوسع التجارى للعرب - النوبيين Nubo-arab. (١٨٧٠ - ١٨٨٠)
١٥ - حد التوسع التجارى لعرب زنجبار (١٨٧٥ - ١٨٩٢)

ليس لها تأثير واضح على ظهور مشكلة تكدس فى المناطق التى يتجهون إليها بل أنها تؤدى إلى استغلال الموارد الاقتصادية الموجودة بها ، ولا يتبقى بعد هذا إلا الاسراع فى التنمية الاقتصادية لمقابلة زيادة السكان المرتفعة .

٢ – التنمية الاقتصادية

كان النمو **الاقتصادى** فى أفريقيا فى عامى ٦٩ ، ١٩٧٠ معتدلا أو متوسطا فقد كان نمو الناتج المحلى الكلى Gross domestic product وفقا للاسعار السائدة٤,٢٪ وفى عام ١٩٧١ قدر أن معدل النمو سيكون حوالى ٤٪ وكان من الواضح أن أفريقيا الشمالية هى المنطقة الوحيدة فى أفريقيا « النامية » developing Africa [١]التى ترتفع فيها معدلات النمو فى الناتج المحلى الكلى . هذا فى حين أننا نجد أن فى أفريقيا الوسطى إنخفض معدل النمو فى خمس من دولها – فى الناتج المحلى الكلى فى عامى ٦٩٪ ١٩٧٠ عما سبق . وان كانت زائير التى تعتبر الدولة الضخمة سواء بالمساحة أو السكان فى هذه المنطقة قد سجلت زيادة فى النمو وصلت إلى ١٢,٤٪ . الأمر الذى رفع من نسبة النمو العام داخل المنطقة ككل وأصبح معدل النمو العام بها ٦٪ ويوضح الجدول الآتى مقارنة بين أقاليم أفريقيا (٦٩–١٩٧٠) فى معدل النمو فى الناتج المحلى الكلى[٢].

عدد الدول ومعدل نمو الناتج المحلى الكلى بها

المنطقة	بالسلب	١ وإلى ٢٪	٢,١ إلى ٤٪	٤,١ إلى ٦٪	٦,١ أو أكثر
أفريقيا الشمالية	—	—	٢	٣	١
أفريقيا الغربية	٢	٢	٣	٣	٤
أفريقيا الوسطى[٣]	٥	١	—	٢	١
أفريقيا الشرقية	٣	١	٢	٤	٢
المجموع	١٠	٤	٧	١٢	٨

(١) يقصد بافريقيا النامية كل دول أفريقيا ماعدا جمهورية جنوب أفريقيا.

(٢) Survey of Economic conditions op. cit. p. 1.

(٣) يقصد بأفريقيا الوسطى هنا كل من : بوروندى ، رواندى ، رواندا ، زائير ، جابون ، غينيا الاستوائية ، تشاد ، جمهورية أفريقيا الوسطى ، الكرون ، الكنغو الشعبى (برازا) .

وفى عام ١٩٧١ قدر النمو بالسلب بالنسبة للفترة السابقة فى أربع من دول أفريقيا الوسطى فى الناتج المحلى الكلى وفى دولة واحدة يزيد عن ٤٪ .

والواضح أن معدل التنمية فى أفريقيا فى ١٩٧٠ ، ١٩٧١ لا تختلف عنها فى الستينات ، إذ أن معدل النمو فى معظم الدول حول ٤٪ ولا يزيد عن ذلك فى نصف عدد دول أفريقيا فقط . ويرجع هذا فى بعض الأحيان إلى الظروف غير الملائمة كالجفاف أو ظروف تجارة الخام وخصوصاً المعادن فى الاسواق الدولية . كما حدث بالنسبة للزراعة فى عام ١٩٧١ وما بعدها إذ أنه رغم أن الزيادة فى هذا القطاع كانت ٣,٩ ٪ بدلا من ٢ ٪ فى عام ١٩٧٠ إلا أن سيادة الجفاف فى بعض الدول خفض النسبة العامة للنمو فى القارة ككل . كذلك نجد أن تقلبات الأسعار العالمية أثرت على العائد من المعادن مثل النحاس الذى إنخفض سعره فى عام ١٩٧١ وأثر ذلك على زائير بشكل واضح . هذا فى حين أن الدول المنتجة للبترول استفادت فى خلال هذا العام والأعوام التالية نتيجة لضغط منظمة (الأوبك) على الشركات الأجنبية المنتجة للبترول[١] .

وإذا ما قارنا الناتج المحلى الكلى بالنسبة للفرد فى بعض أقطار أفريقيا الاستوائية بغيره من الأقطار الافريقية أو غير الافريقية فإننا سوف نجد تباينا واضحا كما يبدو فى الجدول الآتى : (بالدولار الامريكى) عام ١٩٦٦ [٢].

بعض دول أفريقيا الاستوائية	الدخل الفردى	بعض دول أخرى أفريقية	الدخل الفردى	دول غير أفريقية	الدخل الفردى
جابون	٤٨٩	مصر	١٩٠	الولايات المتحدة	٣٩٣٩
الكنغو الشعبى	٢٠٤	زامبيا	٢٨٦	المملكة المتحدة	١٩٠٨
الكمرون	١٤٧	ج. جنوب أفريقيا	٦٤٥	الاتحاد السوفيتى	٩٨٩
ج أفريقيا الوسطى	١٣٧	ليبيا	١١٠٩		
زائير	٩٢	ساحل العاج	٢٦٦		
		تونس	٢١٥		

(١) Survey of Economic conditions op. cit. 1971, p. 2.
(٢) « « « « « « 1968, p. 5.

والملمح الواضح فى التنمية الاقتصادية فى أفريقيا بصفة عامة إنخفاض المستوى ليس فى النواحى الاقتصادية فقط ولكن أيضاً فى مستويات التنمية بصفة عامة والتى يمكن أن يطلق عليها مختلف العناصر الخاصة (بالنظام الاجتماعى) بمعنى أن تحسن الظروف الصحية والتعليمية سوف يؤدى إلى المساهمة فى تحسين أوضاع أخرى تؤدى إلى زيادة «الانجاز» وترشيده .more Efficent work performance and incerased ouput

وتوضح الأرقام الواردة فى البيان السابق الإنخفاض العام لمستويات التنمية فى القارة الأفريقية إذا ما قورنت بغيرها من الدول كما أن هناك اختلافات تفصيلية داخل أفريقيا نفسها كما رأينا بالنسبة لبعض دول أفريقيا الوسطى وغيرها من الدول .

ومن ناحية أخرى توضح الاحصائيات أن النمو فى الأنتاج الحقيقى للفرد growth of real product يسير ببطء شديد . إذ أن الأنتاج الفردى كان فى عام ١٩٦٠ = ٥٠ دولارا فقط فى إحدى وعشرين دولة أفريقية . ١٥٠ دولار فى ستة عشر دولة ، ٢٥٠ فى ست دول فقط . وكان متوسط الزيادة السنوية للنمو فى الفترة من ١٨٦٠ — ١٩٦٠ أى خلال قرن من الزمان ١٠, — فقط وفى المجموعة الثانية ١,٢١ أما الثالثة فكان ١,٧٢ . هذا فى حين أننا لو قارنا ذلك ببريطانيا فى الفترة من ١٧٨٠ حتى ١٧٨١ نجد أنه كان ١,٧٢ وكان النمو فى الاتحاد السوفيتى فى الفترة من ١٩١٣ حتى ١٩٥٨ = ٢,٧٠٪ .

أما فى الفترة من ١٩٦٠—١٩٦٦ فكان معدل النمو فى الأنتاج الكلى بالنسبة للفرد بطيئا ومنخفضا فى ٤٣ دولة إفريقية . وفى خمس دول لا نستطيع أن نطلق عليها أن تقدمها كان سريعا وإنما هى فى مرحلة انتقالية [1] .

وتوضح الاحصائيات أن النشاط الزراعى يكون النسبة الكبرى فى الأنتاج الكلى القومى كما يبدو من الجدول الآتى : (وفقاً لاسعار ١٩٦٦) [2] .

---

(١) Survey of Economic conditions 1968. p. 7.

(٢) Ibid p. 8.

الدولة	الزراعة	التعدين	الصناعة التحويلية
الكمرون	٪٤٣,٩	٪١,٠	٪ ٨,٥
ج أفريقيا الوسطى	٥١,٧	٥,٧	٩,١
جابون	٢٦,٧	٢٢,٤	٥,٩
الكنغو الشعبى	٣٤,٨	,٦	٩,٥
الكنغو زائير	٢١,٥	٦,٤	١٦,٩

ورغم اعتماد الأنتاج القومى على النشاط الزراعى فى هذه الدول إلا أن الوسائل المستخدمة فى الزراعة وكذلك الطرق التى تمارس بها مازالت بدائية ويضاف إلى ذلك تعرض هذا الأنتاج للأوبئة الأمر الذى يودى فى كثير من الأحيان إلى إنخفاض الأنتاج بشكل واضح . ومن ناحية أخرى فان الاعتماد على محصول واحد أو محصولين له أخطار متعددة بالنسبة للدخل القومى وذلك بسبب إنخفاض الأسعار العالمية وذبذبتها من عام لآخر وينطبق هذا أيضاً على المواد الخام المعدنية التى تصدر إلى الخارج [١] .

ونتيجة للأسباب السابقة فان نمو الأنتاج الزراعى فى أفريقيا بصفة عامة وأفريقيا المدارية بصفة خاصة بطىء ومنخفض فى نفس الوقت . ولقد كانت نسبة النمو فى عام ١٩٧٠ فى الانتاج الزراعى لا تتجاوز ٢٪ فى القارة الأفريقية (النامية) وكان هذا العام سيئا بصفة عامة فى الأنتاج الزراعى إذ أن النمو فى هذا القطاع فى العام السابق له (١٩٦٩) كانت ٤٪ . ورغم ذلك فلقد كانت أفريقيا الشمالية ذات نمو زراعى معقول حيث كانت نسبة النمو بها ٣,٤٪ هذا فى حين أن نسبة النمو فى أفريقيا الاستوائية منخفضة بشكل واضح . وفيما يلى بيان يوضح حجم الانتاج الزراعى فى أجزاء أفريقيا المختلفة من ١٩٦٧ . إلى ١٩٧٠ (مع اعتبار أن الفترة ٥٢ . ١٩٥٦ ـــ ١٠٠) [٢] .

---

(١) أنظر فى هذا الاقتصاد الافريقى والتجارة الخارجية – د . محمد سعودى ص ٣٥٥ – ٤٠٠ .

وكذلك Hance, W. = The geography of modern Africa. New York, 1965, P. 26.

المنطقة	١٩٦٧	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠	نسبة النمو من ٦٩ حتى ١٩٧٠
أفريقيا الشمالية	١٣٣	١٤٨	١٤٨	١٥٣	٣٫٤٪
أفريقيا الغربية	١٤٩	١٤٣	١٥٤	١٥٦	١٫٣٪
أفريقيا الوسطى	١٣٣	١٣٩	١٤٤	١٤٦	١٫٤٪
أفريقيا الشرقية والجنوبية(١)	١٤٥	١٤٧	١٥٥	١٥٨	١٫٩٪
أفريقيا النامية	١٤٠	١٤٥	١٥١	١٥٤	—٢٪

ومن المقدر أن يكون عام ١٩٧١ أفضل من العام السابق فى الأنتاج الزراعى وقدرت نسبة النمو بحوالى ٣٫٩ ٪ فى افريقيا (النامية) .

أما بالنسبة للأنتاج الزراعى للفرد فأنها بطيئة النمو للأنتاج الزراعى بصفة عامة . إذ أنه إذا اعتبرنا الفترة من ٥٢ — ١٩٥٦ — ١٠٠ فأن النمو فى الأنتاج الزراعى فى أفريقيا الوسطى فى عام ١٩٦٧ = ١٠٤ فقط أرتفعت فى عام ١٩٦٨ إلى ١٠٧ وفى عام ١٩٦٩ = ١٠٩ ثم إنخفضت فى عام ١٩٧٠ إلى ١٠٨ فقط . أما بالنسبة للأنتاج الغذائى فكانت النسب على التوالى ٩٣ ثم ٩٦ ثم ٩٧ فى عامى ١٩٦٩ ، ١٩٧٠ ومعنى ذلك أن الأنتاج الفردى فى المحصولات الغذائية قد تناقص عن سنة الاساس ولم يكن هذا فى أفريقيا الوسطى فقط ولكن أيضاً فى أفريقيا الغربية أما أفريقيا الشرقية والجنوبية فكان هناك نمو ضئيل وفى أفريقيا الشمالية كان هناك نمو ضئيل فى عام ١٩٦٨ وتناقص فى عامى ١٩٦٧ ، ١٩٦٩ أما فى عام ١٩٧٠ فكانت النسبة ١٠١ فقط(١) .

وإذا ما استعرضنا بالتفصيل **الانتاج الزراعى** فى أفريقيا الاستوائية فى خلال الفترة القليلة الماضية ونسبة التغير سواء بالنقص أو بالايجاب فأننا نورد الجدول الآتى(٢):

---

(١) الدول النامية فقط .

(٢) Survey of Economic Op. cit. P. 67.

(٣) جدول تجميعى من Ibid PP. 254...261.

الدولة أو المنطقة والمحصول	١٩٦٧	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠	نسبة التغير ٪ ١٩٧٠/٦٩
(١) زيت النخيل					
(بالالف طن مترى)					
الكمرون	٦٠	٤٦	٣٥	٤٩	–١٤٪
زائير	٢٠٣	٢٤٤	٢٢٤	١٩٧	–١٢٪
كل أفريقيا الوسطى	٢٧٥	٣٠٢	٢٧١	٢٤٩	–٨٪
(٢) المطاط					
(بالالف طن مترى)					
زائير	٣٢	٤٠	٤١	٤٣	٥ ٪
الكمرون	٢١	١٣	١٢	١٣	٨ ٪
كل أفريقيا الوسطى	٥٤	٥٤	٥٤	٥٧	٦ ٪
(٣) الكاكاو					
(بالالف طن مترى)	٩٣	١٠٢	١١٠	١٠٥	٥٪
غينيا الاستوائية	٣٤	٣٢	٣٠	٣٥	١٧ ٪
كل أفريقيا الوسطى	١٣٨	١٤٥	١٥١	١٥١	صفر
(٤) البن					
(ألف طن مترى)					
زائير	٦٠	٦٠	٦٦	٧٢	٩
الكمرون	٨٠	٨٢	٨٨	٩٠	٢
كل أفريقيا الوسطى	١٩٠	١٩١	٢٠٣	٢١٧	٧

تابع الجدول السابق :

الدولة أو المنطقة والمحصول	١٩٦٧	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠	نسبة التغير ٪ ١٩٧٠/٦٩
(٥) القطن					
(بالألف طن مترى)					
ج. أفريقيا الوسطى	١٨	٢٢	٢٢	١٧	— ٢٣ ٪
زائير	٨	١٢	٢٠	١٥	— ٢٥ ٪
الكمرون	١٨	٢٥	٣٤	١٤	— ٥٩ ٪
كل أفريقيا الوسطى	٨٦	١١٩	١١٩	٨١	— ٣٢ ٪
(٦) الفول السودانى					
(بالألف طن مترى)					
الكمرون	١٩٨	٢٠	١٨٨	١٩٥	٤
زائير	١٦٨	٢٠٠	٢٠٠	٢٠٠	صفر
كل أفريقيا الوسطى	٥٥٦	٦٢٩	٦١١	٦٢٨	٣
(٧) البطاطا واليام					
(بالألف طن مترى)					
أفريقيا الوسطى	١,٧٩٩	١,٨١٨	٢,٠١٧	٢,٢٩٦	١٤
(٨) الكسافا					
(ألف طن مترى)					
أفريقيا الوسطى	١٠,٣٧٨	١١,٩٠٩	١٤,١٢١	١٤,٧٣٦	٤

وواضح من الجدول السابق أن النمو فى بعض المحصولات الزراعية ضئيل فى خلال هذه الفترة الماضية كما أن بعض المحصولات الأخرى نموها بالسلب نتيجة للظروف الطبيعية والبشرية التى سبق أن أشرنا إليها . وفى الحقيقة فانه يمكن أن يقال أنه بدون أجراء تحسين أساسى فى الزراعة التقليدية **Traditional agri.** بقصد مساهمة هذا النوع من الإنتاج فى التطور الصناعى فى الداخل والتصدير نحو الخارج وبحيث تشكل هذه السياسة العنصر الأساسى فى استراتيجية التنمية والتطوير فى أفريقيا بصفة عامة فانه من الصعوبة تطور الإقتصاد الوطنى ككل .

ولا شك أن ظروف كل دولة فى الإنتاج الزراعى تختلف عن الأخرى الا أنه ينبغى الاهتمام بتخصيص جزء مناسب من الميزانية العامة للدولة لتطوير الإنتاج الزراعى ، وأول الأمور التى ينبغى الاهتمام بها هى (تحسين المعلومات) improvement of knowledge بمعنى التعرف على المعلومات الايكلوجية والسيكلوجية والاقتصادية عن المنطقة المدروسة ، إذ أنه عند تطوير الزراعة التقليدية ينبغى أن ندرس المحصولات التى يمكن أن تزرع والأسواق المتاحة لها والعمالة وأثرها ، فإن هذه المعلومات هامة ، ضمن أشياء أخرى لتحديد الحدود التى ينبغى أن يصل إليها التوسع فى خطوط الإنتاج الزراعى القائم ولوضع السياسة اللازمة الملائمة لا نتقال العمل والأسعار المتغيرة ، وذلك كله سوف يصحب التطوير الزراعى إن عاجلا أو آجلا.

ويمكن تطوير الإنتاج الزراعى عن طريق تنويع المحصولات الزراعية القائمة ومدها بر أستمال والوسائل الفنية المتقدمة ويمكن استيعاب العمالة الزائدة عن الزراعة فى القوى العاملة فى المدن . كذلك ينبغى الاهتمام بجانب ذلك بالخدمات اللازمة مثل البذور المنتقاه والأسمدة والقروض والتسويق وجعل المزارع على أتصال مباشر بالاقتصاد الواسع المفتوح wider economy . كذلك ينبغى إعطاء الحوافز للمزارع عن طريق تسويق الفائض عن حاجته وتسهيل حصول المزارع التقليدى على السلع العادية ولا يتأتى ذلك ألا عن طريق تدعيم شبكة المواصلات العامة والفرعية . فالاساس الأول الذى ينبغى للحكومات أن تقوم به هو ترغيب المزارع العادى فى تحسين وسيلته فى الزراعة مع تزويده بالارشادات اللازمة لتحسين هذه الوسائل . ويرتبط هذا بعملية الأصلاح الزراعى Land reform وذلك بتجميع الملكيات الصغيرة فى وحدة كبيرة نسبيا ذات حجم اقتصادى معقول مع تأمين ملكية المزارعين ولكن ليس معنى الأهتمام بتطوير الزراعة التقليدية اهمال المشروعات الزراعية الكبيرة ولكن يجب بها الأهتمام بسبب ما تضيفه من إنتاج زراعى وأثرها المنعكس على قطاع الزراعة بصفة عامة . فينبغى أن تقام المشروعات الكبيرة على الأنهار ويؤدى هذا إلى خلق التعاون بين أكثر من دولة ، كذلك ينبغى أن يؤدى هذا وغيره من الأجراءات إلى زيادة التجارة بين الدول الأفريقية فى المحصولات والخامات الزراعية حتى يتسع السوق المحلى وبالتالى يتطلب هذا زيادة فى الإنتاج(١) .

---

(١) Economic Survey 1968, PP. 42...3.

أما فيما يتعلق **بالانتاج الحيوانى** فانه رغم وجود ثروة حيوانية فى المنطقة الا أن الظروف الطبيعية وما ينعكس نتيجة لها على وجود الحشرات الضارة بالحيوان خصوصاً ذبابة تسى تسى وكذلك الظروف البشرية وخصوصاً تلك المتعلقة بتربية الحيوان والعادات والتقاليد المرتبطة بها لا تجعل من هذه الثروة قوة أقتصادية ذات تأثير على الهيكل الإقتصادى ، حيث توضح الإحصائيات أن الزيادة السنوية فى اللحوم والألبان فى أفريقيا الأستوائية حوالى ١٪ ، ٢-٢,٥٪ فقط على التوالى بينما نلاحظ أن زيادة السكان ٢٤٪ سنوياً . ويظهر ذلك فى الجدول الآتى :

(بالألاف طن) فى أفريقيا الوسطى

النوع	١٩٦٧	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠	نسبة التغير فى ٦٩ - ٧٠
اللحوم	٣٥٢	٣٦٤	٣٦٦	٣٧٠	+١
الألبان	٣٧١	٣٧٢	٣٧٨	٣٨٧	+٢
البيض	١٤	١٦	١٦	١٧	+٦

وإذا قارنا هذه النسب فى أفريقيا الوسطى بغيرها من مناطق أفريقيا فاننا نلاحظ أن كلا من أفريقيا الشمالية والغربية يتفوقان عليها فى مجال اللحوم (٢ ، ٣٪ على التوالى) أما أفريقيا الشرقية فانها مساوية لها . أما فى الألبان فان أفريقيا الشمالية ٤٪ وكل من أفريقيا الغربية والشرقية ١٪ فقط . أما بالنسبة للبيض فان أفريقيا الوسطى تأتى فى المقدمة (١) . وكذلك الحال بالنسبة **للثروة السمكية** حيث أن الزيادة السنوية فيها ضئيل فقد كانت الكميات المستغلة من هذه الثروة فى عام ١٩٦٧ -٢٩٨ ألف طن ارتفعت فى عام ١٩٦٨ إلى ٣٢٢ وفى ١٩٦٨ إلى ٣٢٧ وفى عام ١٩٧٠ إلى ٣٥٣ ويعتبر الكنغو الشعبي على رأس الدول المنتجة للاسماك فى أفريقيا الاستوائية (١٢٢ ألف طن عام ١٩٧٠) وذلك إذا ما أعتبرنا أن تشاد خارج دول هذه المنطقة ثم يليها بعد ذلك الكمرون حوالى ٧١ ألف ثم زائير (١٥ ألف) ثم جابون (حوالى ١٣ ألف) .

(١) Survey of Economic conditions 1972 pp. 71...2.

أما فيما يتعلق **بالموارد المعدنية** فى المنطقة فانها غنية خصوصاً فى النحاس والماس والكوبالت والزنك والرصاص والقصدير والمنجنيز والبترول الخام ، وقد بلغت قيمة الإنتاج المعدنى فى جابون فى عام ١٩٧٠ — ٩٦,٦ مليون دولار — أمريكى وبما يعادل ٣٢,٢ ٪ من مجموع الدخل القومى الكلى . وفى زائير بلغت قيمة الإنتاج المعدنى ١٥١ مليون دولار وبما يعادل ٧,٥٪ من مجموع الدخل القومى . وأهم الدول المنتجة للبترول الخام هى جابون (حوالى ٥,٥ ، مليون طن عام ١٩٧٠) والكنغو الشعبى بكميات ضئيلة (١٩ ألف فى نفس العام) أما الغاز الطبيعى فتنتج جابون ٣٢ ألف متر ٣ أما الذهب فأهم منتج له فى المنطقة زائير (٥,٥ طن عام ١٩٧٠) أما النحاس فتنتج زائير ١٨٥ ألف طن مترى (١٩٧٠) كذلك تحتل زائير المرتبة الأولى فى إنتاج الماس (١٤مليون قيراط مترى عام ١٩٧٠) وبناء على ذلك فان دول أفريقيا الأستوائية غنية فى بعض المواد المعدنية وفقيرة فى بعض المعادن الأخرى . أما بالنسبة للطاقة الأولية فان المنطقة غنية بها خصوصاً فى مجال توليد الكهرباء من المساقط المائية فتوضح الإحصائيات أن مجموع الطاقة المولدة من هذا النوع فى عام ١٩٧٠ — ٢,٠٩٧,٠٠٠ بما يوازى طن الفحم ، ٧,٠٧١,٠٠٠ — البترول الخام أما الفحم والغاز الطبيعى فان المنطقة فقيرة فيهما — وقد سبق أن أشرنا إلى تقلبات الأسعار فى المواد الخام سواء الزارعية أو المعدنية وأنعكس ذلك على الدخل القومى .

وبالنسبة **للصناعة التحويلية** فان أفريقيا الأستوائية من المناطق المتخلفة فى هذا المجال ، وأن كانت هناك بعض الصناعات القائمة على الإنتاج المحلى المعدنى والزراعى ففى الكمرون توجد صناعات السكر والأخشاب والأسمنت والزجاج أما فى الكنغو الشعبى فان أهم الصناعات النسيج والأسمنت وفى جابون تكرير البترول والنسيج والأخشاب — ويلاحظ أن نسبة النمو السنوى فى المجال الصناعى بطيئة أيضاً كما هو الحال فى مجال التنمية الزراعية .

ويوضح الجدول التالى مدى مساهمة كل قطاع فى الناتج القومى الكلى فى الفترة من ٦٨ — ١٩٧٠ بالمليون دولار أمريكى وفقاً لعامل التكاليف الجارية at current factor cost. [1] .

---

(١) Survey of Economic 1972 op. cit. p. 236.

الدولة والسنة	الزراعة	التعدين	الصناعة[1] التحويلية	الأنشاءات	التجارة	النقل	المجموع وغيره
الكمرون :							
١٩٦٨	٢٩٩,٧	٢,—	١١٧	٥٠	١٣٨	٤٤	٧٨١
١٩٦٩	٣٣٤	٢,—	١٣٠	٥٦	١٥٤	٤٨	٨٦٥
١٩٧٠	٣٠٦	٢,—	١٤١	٦٢	١٧٤	٥٣	٨٩٥
ج.أفريقيا الوسطى							
١٩٦٨	٦٦	١١	٢٦	٥	٢٣	٤	١٧٥
١٩٦٩	٦٧	١٠	٢	٥	٢٦	٤	١٧٤
١٩٧٠	٥٩	٨	٢٦	٥	٢٩	٥	١٧٠
الكنغو الشعبي							
١٩٦٨	٢٨	٢,—	٢,—	٢١	٥٣	٢٧	٢٠٠
١٩٦٩	٢٨	١,—	٢٦	٢١	٥٦	٢٩	٢١٤
١٩٧٠	٢٣	١٠,—	٢٧	١٦	٥٨	٣٠	٣٢٠
جابون							
٢٩٦٨	٤٤,١	٨١	١٨,٣	١٥,٨	٤٢,٨	١٣,٧	٢٥١,٦
١٩٦٩	٤٨,٥	٩٤,٧	١٩,٦	١٧,٧	٤٦,٢	١٥,—	٣٨١,٣
١٩٧٠	٥٠,٣	٩٦,٦	٢١٥	١٩,٧	٥٠,—	١٦,٣	٣٠٠,٤
غينيا الأستوائية							
١٩٦٨	٤٣	—	٣,—	٤	٤	١,—	٦٤
١٩٦٩	٤٦	—	٣,—	٤	٥	١,—	٦٩
١٩٧٠	٤٩	—	٢,—	٤	٥	١,—	٧٤
زائير							
١٩٦٨	٣٧٤,٦	١١٨,٦	٢٩٨,٣	٦٢,٢	٢٦٢,٦	١٠٤,٤	١٦٧٦,٣
١٩٦٩	٣٦٤,٢	١٢٦,٩	٣٣٠,٩	٨١,٧	٢٨٧,٩	١١٣,٣	١٧٨٥,٧
١٩٧٠	٤٢٧,—	١٥١,—	٣٧٩,—	١٠١,—	٣٢٠,—	٣٢٠,—	٢٠٠٧

(١) الانتاج الصناعي التحويل والصناعة والكهرباء.

ويتضح من الجدول السابق الملاحظات الآتية :

١ ــ الزيادة المستمرة فى الإنتاج وإن كانت ضئيلة إلى حد ما فى معظم القطاعات .

٢ ــ إنخفاض الناتج الزراعى خلال عام ١٩٧٠ فى كل من الكمرون وأفريقيا الوسطى والكنغو الشعبي عن السنتين السابقتين .

٣ ــ إنخفاض الأنتاج التعدينى فى عام ١٩٧٠ فى افريقيا الوسطى وفى عام ١٩٦٩ فى الكنغو الشعبي .

٤ ــ إنخفاض الناتج من القطاع الصناعى فى أفريقيا الوسطى فى عام ١٩٧٠ .

٥ ــ تمثل جمهورية زائير منطقة اقتصادية تتمتع باقتصاد متوازن فى القطاعات المختلفة كما أنها تمثل أكبر دولة فى المنطقة فى كل قطاع من هذه القطاعات.

٣ ــ علاقة السكان بالتنمية الاقتصادية

أشرنا فيما سبق إلى معدلات زيادة السكان وكذلك معدلات النمو الاقتصادى ولا حظنا أن معدل المواليد مرتفع وفى نفس الوقت فأن معدل الوفيات فى إنخفاض مستمر نتيجة للتقدم فى الخدمات الصحية العامة الأمر الذى يؤدى فى النهاية إلى إرتفاع معدل الزيادة الطبيعية باستمرار ، خصوصاً وأنه لا توجد حركة تهجير خارج القارة كما حدث مثلا بالنسبة لاوربا خلال فترة الانفجار السكانى التى مرت بها .

أما فيما يتعلق بالعلاقة بين السكان والتنمية الاقتصادية فأنها قوية واضحة سواء بالنسبة لعدد السكان بالموارد الطبيعية المتاحة ، أو بالنسبة لنوع السكان ومدى استغلالهم لهذه الموارد .

وبادىء ذى بدء فأن أفريقيا الاستوائية تضم امكانات واسعة سواء معدنية أو غابية أو زراعية ولكن هذه الامكانات تحتاج إلى الاستغلال المنظم الرشيد [1] أى أن

---

(١) أنظر فى هذا الصدد مقالة للمؤلف العدد الثانى من مجلة الدراسات الأفريقية عن : أفريقيا الاستوائية دراسة فى الجغرافيا الطبيعية .

هذه المنطقة ما زالت غير مستغلة استغلالا كافيا Under utilize ومن ناحية أخرى فان إنخفاض الدخل الفردى يعوق تكوين رأس المال الداخلى الذى عن طريقه يمكن استغلال هذه الموارد خصوصاً وأن هناك عيوبا ومخاطر لرأس المال الأجنبى ، وهناك بالاضافة إلى هذا عديد من المشكلات التى يمكن سردها ولكنها كلها تصب فى محور واحد هو أن أفريقيا يمكن أن تكون أغنى وأكثر تقدما إذا ما وجدت القوى العاملة الفنية ورأس المال ووسائل التكنولوجيا المتقدمة . . . الخ المطلوبة للسيطرة ولاستغلال هذه الموارد الطبيعية (١) .

ونظراً لأن أفريقيا الاستوائية لا تعتبر من المناطق الأفريقية أو غير الأفريقية كثيفة السكان ، فان السكان من الناحية الكمية لا يشكلون عقبة أمام التنمية الاقتصادية . ومن هنا فان المشكلة الحقيقية هى فى العلاقة بين بطء نمو التنمية الاقتصادية أمام سرعة نمو السكان كما سبق أن أشرنا . كذلك فان المشكلة تتركز أيضاً فى عدم وجود الخبرة الفنية اللازمة لاستغلال الموارد ورغم أن الحكومات الأفريقية اتجهت فى الفترة الأخيرة إلى الإهتمام بالتوسع فى التعليم والتدريب إلا أنه يقابلها مشكلة عدم وجود الأماكن اللازمة للتعليم والتدريب نتيجة لنقص رؤس الأموال وقلة الخبرة الفنية اللازمة للتدريس والتدريب من ناحية أخرى . وتوضح الإحصاءات أن نسبة النمو السنوى فى المستويات التعليمية المختلفة فى أفريقيا الاستوائية (الوسطى) كانت كالتالى :

	١٩٦٠ — ١٩٦٥	١٩٦٥ — ١٩٧٠
إبتدائى	٧,٣٪	٨,١٪
ثانوى	١٦,٥٪	١٨,—٪
عالى	٩,٥٪	٢٠,١٪

وإذا ما قارنا ذلك بالعدد الكلى للسكان فاننا نجد أنه فى المرحلة — الإبتدائية حوالى ١٤٪ وفى الثانوى ١,١٪ وفى التعليم العالى ٠,٠٥٪ فقط وذلك فى خلال عام ١٩٧٠ (٢) وتوضح لنا هذه النسب إلى أى مدى تنخفض نسبة التعليم فى هذه

(١) Survey of Economic. 1972. op. cit. p. 27.

(٢) Survey of Economic. op. cit. p. 42.

المنطقة فى جميع المستويات بسبب الصعوبات التى سبق أن – أشرنا إليها . وينعكس النقص فى عدد المتعلمين على النظم العلمية الموجودة فى المنطقة حيث تفتقر إلى الكفاءات العلمية اللازمة لتطوير الإمكانيات الموجودة بها الأمر الذى يؤدى إلى عدم وجود الأجهزة العلمية المتخصصة سواء فى الزراعة أو الصناعة أو غيرهما فمثلا لا نجد بحوث زراعية سوى فى زائير فقط ولا نجد بحوث صناعية فى كل دول المنطقة وكذلك البحوث الطبية كذلك لا نجد تخطيط علمى عام سوى فى الكمرون وزائير فقط . . . ألخ كذلك لا توجد معاهد للتعليم العالى فى كل من أفريقيا الوسطى وغينيا الاستوائية أما فى الكمرون فيوجد ستة وزائير ١٥ وجابون والكنغو الشعبى واحد لكل منهما ، أما عدد الباحثين فانه ضئيل فى جميع النواحى إذ أنه لا يزيد فى المنطقة كلها عن ٦٤٠ باحثا (كل الوقت) و ٣٤٥ باحثا (بعض الوقت) ولو قارنا هذه المنطقة بأفريقيا الشمالية مثلا نجد اختلافاً واضحاً – ٢١١٠ ، ٢٣٨١ على التوالى مع ملاحظة أن أفريقيا الشمالية تعتبر فى عداد الدول (النامية) أيضاً .

وهناك مشكلات أخرى خاصة بالتنمية الاقتصادية وعلاقتها بالسكان منها الهجرة من الريف إلى المدن خصوصاً العواصم نتيجة لوجود خدمات أفضل وفرص أكبر للعمل فيها الأمر الذى يؤدى فى النهاية إلى تضخم هذه العواصم أكثر من اللازم وفى نفس الوقت إلى خلق المشكلات المتراكمة سواء تلك الخاصة بالإسكان أو – الخدمات الصحية أو العمل [1] . . الخ هذا فى حين أن الريف يحتاج إلى أيدى عاملة إذ ما تم تطوير الإنتاج الزراعى سواء عن طريق التوسع فى الزراعة رأسياً أو أفقياً واستخدام الوسائل الحديثة فى الإنتاج . ونتيجة لتكدس السكان فى مناطق معينة أكثر من اللازم تتولد **البطالة** سواء الظاهرة أو المقنعة رغم انخفاض عدد السكان بصفة عامة بالنسبة للموارد المتاحة ، إذ أن نسبة البطالة فى أفريقيا الوسطى بالقياس بالقوى العاملة فى عام ١٩٧٠ – ١٠,١٪ وهذه نسبة مرتفعة فى مجتمع لا توجد لديه حتى الآن المؤسسات الاجتماعية اللازمة للتأمينات ضد البطالة ، ومن المقدر أن تكون هذه النسبة فى عام ١٩٨٠ حوالى ٨,٣٪ وهى نسبة مرتفعة أيضاً [2] .

(١) أنظر فى هذا المجال – جمال حمدان – أفريقيا الجديدة ص ١٥٧ حجم العواصم .

(٢) Survey of Economic op. cit. p. 38.

ونتيجة لهذه المشكلات الاقتصادية والاجتماعية بدأت الدول الأفريقية فى وضع الخطط الشاملة منذ العقد الماضى فمثلا وضعت حكومة الكنغو زائير خطة من ٦٤ – ٦٩ تستهدف رفع الدخل القومى بنسبة ٨,٢ تحقق منها فى الفترة من ٦٤ ٪ ١٩٦٧ رفع الدخل بنسبة ٢١٣٪ وكان معدل الإنجاز خلال هذه الفترة الأخيرة ٢٨٪ فقط . وفى الكنغو الشعبى وضعت خطة ٦٣ – ١٩٦٨ لرفع الدخل القومى بمعدل ٧,٢٪ تحقق منها فى الفترة من ٦٣ إلى ١٩٦٧ ٢,٤٪ – بمعدل إنجاز ٣٣٪فقط . ويلاحظ من هذا إنخفاض نسبة النمو الفعلية فى الدخل القومى بالإضافة إلى إنخفاض معدل الإنجاز حتى إذا قارنا ذلك بدولة أفريقية أخرى هى مصر إذ كانت الخطة من ٥٩–٦٠ إلى ٦٤–٦٥ تستهدف رفع الدخل القومى بنسبة ٦,٨٪ وتحقق فعلا خلال هذه الخطة رفع الدخل بنسبة ٧٪ وكانت نسبة الإنجاز ١٠٣٪ ويرجع هذا اختلاف ظروف كل دولة عن الأخرى فى النظام الإدارى والكادر العلمى والفنى ونوعية تكوين رأس المال إذ أن التخطيط المؤثر والفعال يعتمد على الكفاءة الإدارية المتقدمة Highly developed administrative capacity بالإضافة إلى المعرفة الكاملة والتفهم الشامل للاقتصاد الأفريقى ، ويعتمد بجانب ذلك على تحديد وتقييم وإنجاز المشروعات النوعية individual projects بطريقة متكاملة وهذه المتطلبات تعتمد بلا شك على الحكومات ، كما أنها تحتاج أيضاً إلى الأفراد المتخصصين فى هذا المجال . وقد أشرنا إلى تخلف أفريقيا بصفة عامة وأفريقيا الاستوائية بصفة خاصة فى الخبرة الفنية ولهذا لا نندهش إذا ما تم تنفيذ هذه المشروعات بطريقة خاطئة أو غير كاملة ، ولكن هذا لا يمنع من القول من أن التخطيط خدم مجالات متعددة سواء فى التعليم أو الخبرة العملية التى تعتبر من الأسس الهامة فى أى ظروف من الظروف للتنمية الشاملة . ويعاب على الخطط الأفريقية أنها ذات مراحل طويلة كما أنها طموحة أكثر من اللازم ولذا فانه ينبغى أن تكون الخطط قصيرة ولكن ذات معدل نمو مرتفع وفى نفس الوقت تؤدى إلى نمو سريع وقوى فى المدى الطويل .

وتعطى الدراسة السريعة **للخطط الافريقية** إنطباعاً بأن الزراعة فيها لا تحظى بما ينبغى أن يكون لها ، إذ أنه بالرغم من أن هناك بنود تشير إلى أنها خاصة بالزراعة إلا أنه بمراجعة الاستثمارات الفعلية نجد أن الزراعة لا يخصها جزء

ملائم ، مع أن الزراعة فى أفريقيا عموما هى الأساس الاقتصادى كما سبق أن أشرنا . هذا فى حين أن الصناعة تحظى بنصيب كبير ، ومن هنا نأتى إلى النقطة الأساسية وهى تحسين المعلومات أو المعرفة — الاقتصادية العامة عن الظروف الاقتصادية والاجتماعية فى كل دولة improving general econmic knowledge إذ أنه على الرغم من أن الإنتاج الزراعى ما زال يكون الجزء الأعظم من الدخل القومى الكلى وكذلك فى قيمة الصادرات فى معظم الدول الأفريقية إلا أن الدخل الفردى فى المناطق الريفية ما زال منخفضاً للغاية ، ولهذا نخلص إلى النتيجة الهامة الآتية وهى أنه بالرغم من عديد المشروعات التى يجرى تنفيذها الآن أو التى اكتملت فان التقدم الريفى ما زال أقل مما ينبغى أن يكون لحل المشكلات المرتبطة به . وقد حدد مؤتمر التنمية الريفية الذى انعقد فى غرب أفريقيا ، بعد مؤتمر مماثل خاص بدول أفريقيا الوسطى ، فى عام ١٩٧٠ بأن التنمية الريفية Rural development يقصد بها (عملية ايجاد تغيرات كمية ونوعية بين سكان منطقة ريفية تؤدى إلى تحسين ظروف الحياة للسكان عن طريق كفاءة إنتاجية متزايدة) وهذه التغيرات الكمية والنوعية هى التى تحاول الحكومات الأفريقية فى الوقت الحالى تنفيذها فى المناطق الريفية ولكن هذه المحاولة ينبغى أن تكثف وتزداد مع إيجاد المشاركة الفعالة من جانب السكان لتحقيقها . مع مراعاة أن تكون هذه المشروعات والبرامج متكاملة وليست منعزلة Integrate Rural development لكى تؤتى ثمارها المطلوبة .

وإذا كان هذا الاتجاه يمكن تنفيذه فى مناطق محددة ومحدودة إلا أنه من الصعب تنفيذه على مستوى الدولة بأكملها ولذا فان الاتجاه الأمثل فى هذا المجال هو اتباع مبدأ المشروعات الشاملة Overall projects مع التركيز على التطوير الريفى فى نفس الوقت . وبلا شك فان هذا التطوير سوف تنعكس فائدته على نواحى الحياة المختلفة وكذلك على السكان الذين يعيشون فى المنطقة بحيث تتغير المفاهيم الاجتماعية السائدة لديهم ، وخصوصا مفهوم الأسرة القليلة العدد المتقدمة اقتصاديا واجتماعياً . وأنه لمن الواضح أنه سوف يأتى قريباً ذلك اليوم الذى تجعل فيه الدول الأفريقية اتجاهات السكان الموضوع الأساسى والشامل

فى التخطيط الاقتصادى والاجتماعى وليس مجرد بند يؤخذ فى الاعتبار فى خططها، وهناك دول عديدة فى العالم تتبنى الآن هذا الاتجاه خصوصاً وأنه من ضمن قرارات المجلس الاقتصادى والاجتماعى التابع للأمم المتحدة أنها أعطت للأمم المتحدة إمكانية تقديم الخدمات المعاونة والتدريب على إنشاء البرامج فى مجال السكان إذا ما طلبت الدول التى تحتاج إلى معونات فى هذا المجال [1] .

د . السعيد البدوى

أنظر التفصيل فى هذا المجال فى :

(1) The population of trop.
Afric pp. 197, 333, 360.

وكذلك

Survey of Economic P. 210.

أضواء جديدة على تاريخ مدينة قسنطينة

(في ضوء ثلاث مخطوطات ـ بدار الوثائق بالرباط)

للدكتور شوقي عطا الله الجمل

THE HISTORY OF CONSTANTINE IN THE LIGHT OF THREE MANUSCRIPTS IN THE ARCHIEVE DEPARTMENT-RABAT MOROCO.

By

Dr. SHAWKY EL GAMAL

Constantine is one of the most important towns in Algeria because of its strategic situation.

It was always in the way of the political waves that blew upon that part of Africa.

Its history thus is a vital picture of the accidents that took place in North Africa.

This paper is based on three manuscripts in the archieve Department in Rabat, Moroco.

1. El' Antary, Mohamed Saleh :
   The events of the Turkish occupation to constantine.
2. Ibn Saleh Bay, Ahmed Ibn Ismail :
   A short account about the days of Saleh Bay El Azmerly.
3. Ibn El 'Anttari, Ahmad Ibn El Mobarek :
   The history of the town of Constantine.

The three manuscripts are dealing with the history of Constantine during the Turkish Rule and the beginning of the French occupation to Algeria (1518—1847).

The three Authors had their own parts in the events of that period.

This paper gives an analytic study to three worth manuscripts related to a Critical period in the history of North Africa, specially that of the City of Constantine, documented and interpreted by three maps and reproduced specimens of the said manuscripts.

أولا – لمحة عن تاريخ قسنطينة

مدينة قسنطينة من المدن الجزائرية التى احتفظت أكثر من غيرها بطابعها الإسلامى ومظهرها العربى، ولأهميتها التاريخية، والاستراتيجية اختارها كما نعلم الزعيم الفرنسي (ديجول) لإلقاء خطابه الذى أعلن فيه مخططه الجزائرى الإقتصادى الذى ارتبط منذ ذلك التاريخ باسم قسنطينة فأصبح يعرف باسم (مشروع قسنطينة)(١)

ولموقعها الحصين هذا ولقربها من المغرب الأدنى كانت دائماً فى مهب التيارات السياسية المختلفة التى هبت على المنطقة كلها، كما كانت مثاراً للتنافس بين الأسر الحاكمة فى المغرب الأدنى، والأوسط بل والأقصى أيضاً – فتاريخها فى الواقع صورة صادقة للأحداث التى ألمت بالشمال الأفريقى كله.

تمتد جذور هذا التاريخ إلى النفوذ الفينيقى فى الشمال الأفريقى، كما شهدت قسنطينة صوراً من الكفاح بين القرطاجنيين والرومان، ذلك الكفاح الذى استمر، أكثر من قرن من الزمن، وانتهى بالقضاء على السلطان السياسى للفينيقيين وإحراق (قرطاج) نفسها عام ١٤٦ ق. م. وإن كان الأثر الفينيقى الحضارى لم ينمح من شمال أفريقيا قط.

وأصبحت قسنطينة عاصمة لولاية (نوميدية)، واهتم الرومان بإعداد وتمهيد الطريق ما بين مدينة (قرطاج) ووادى (شليف) ماراً بقسنطينة، وسطيف، فسور الغزلان التى تطلق عليها المراجع الأجنبية اسم أومال Aumale (٢)

وانتقلت المسيحية إلى هذه البلاد وانتشرت بها كما فى غيرها من بلدان الشمال الأفريقى التى وجد سكانها فى مبادىء الديانة المسيحية مايكفل لهم حياة أفضل وحقوقاً

---

(١) يشير أحمد بن المبارك العطار (الملقب بالقسنطينى) فى مخطوطه تاريخ بلاد قسنطينة الى الخلاف حول الشخصية التى بنت (قسنطينة)، وسنوضح هذه النقطة فى حينها عند دراستنا المخطوط.

(٢) للدراسة التفصيلية انظر: جوليان، شارل اندرى: تاريخ أفريقيا الشمالية (تعريب مزالى، بن سلامه (تونس ١٩٦٩) ص ١٤٦ وما بعدها » و نفس المرجع عن تأسيس مدن سطيف (stifis) واومال (أوزيه) ص ٣٢، ١٨٠.

كانت تحرمهم روما منها ،ولكن قاومت روما هذه الحركة الجديدة ، وقد أوقفت حركة الاضطهاد الديني حين اعتنق الأمبراطور قسطنطين المسيحية (٣٠٥م) .

لكن عاد الإضطهاد على أشـــده بسبب الخلاف الذى حدث بين كنيسة روما والكنيسة الأفريقية .

وأدى ضعف سلطة الرومان بشمال أفريقيا إلى أن طمع الفندال فى أملاكهم بهذه الجهات فاكتسحوا الشمال الأفريقي وقضوا على الإمبراطورية الرومانية ومدوا نفوذهم في عام (٤٣٠ م) حتى مدينة (عنابة) ثم سقطت (قرطاج) بعد ذلك فى أيديهم .

وقد عاشت الإمبراطورية الفندالية ما يقرب من قرن من الزمان ثم استولى البيزنطيون على الشمال الأفريقي فكان بمثابة إرجاع لسلطة روما على هذه البلاد ، وقد أرهق البيزنطيون الأهالى بالضرائب الباهظة بالإضافة إلى الاضطهاد الديني لإجبارهم على أعتناق المذهب الكاثوليكي — مما أدى لاشتعال نار الثورة ضدهم خاصة فى الأماكن الصحراوية البعيدة .

وكان استيلاء المسلمين على مصر عام (٦٤١) م إيذانا بامتداد سلطانهم غرباً صوب بلاد الشمال الأفريقي ، فتوالت حملاتهم على هذه البلاد .

وكان أول غزو لأفريقية (تونس) فى عهد عثمان بن عفان . فقد أرسلت حملة بقيادة (عبدالله بن سعد بن أبي سرح) عامل مصر ، واستطاعت هذه الحملة أن توقع الهزيمة بجيوش قرطاج ، وتم الصلح بين الطرفين بعد أن غنم المسلمون غنائم كثيرة .

وفى خلافة معاوية بن أبي سفيان — جهز جيشاً ضخماً من عشرة آلاف مقاتل التقى (بالبربر) والبزنطيين وتوغل الجيش الإسلامى فى تونس .

وفى عام (٦٦٦)م أعطيت قيادة الجيش فى الشمال الأفريقي (لعقبة بن نافع الفهرى) فبنى مدينة (القيروان) فى قلب البلاد التونسية ، وذلك ليطبع الفتح بطابع الاستقرار فكانت هذه بمثابة الخطوة الأولى نحو ظهور ولاية إسلامية بهذه البلاد[1] .

---

(١) الجيلالى ، عبد الرحمن بن محمد : تاريخ الجزائر العام (الجزائر ١٩٥٤) جـ ١ ص ١٤٨ ، ١٤٩ .

وفى خلافة يزيد بن معاوية – أنتدب (عقبة بن نافع) مرة أخرى سنة (٦٨١ م) لإمارة أفريقية فأخذ يعد العدة للاستيلاء على الشمال الأفريقى كله ، فسار فى فتوحه صوب المغرب الأقصى ، وعرّج فى طريقه على (تلمسان) ودخل (طنجة) واحتل مدن المغرب ، وتقدم إلى التخوم حتى بلغ المحيط الأطلسى ، فبلغ عقبة بن نافع فى غزواته إلى (السوس الأدنى) و (السوس الأقصى) ، ويقال إنه أدخل فرسه حتى بلغ الماء لب الفرس ، وشهر القائد سيفه ورفع بصره إلى السماء وهو يقول : «اللهم لولا هذا البحر لبقيت فى البلاد أقاتل الكفر حتى لا يعبد أحد سواك» (١).

ولكن حدث فى أثناء عودة عقبة وبعض رجاله – وكانوا زهاء ثلاثمائة من كبار الصحابة والتابعين – أن ثار عليهم البيزنطيون والبربر ، وعلى رأسهم زعيمهم (كسيلة) فأوقعوا بهم عند مدينة (تهوده) بالقرب من (مسكره) وقتلوهم ، وكان ذلك فى عام (٦٣ هـ - ٦٨٢ م) ودفن عقبة هناك ولا يزال قبره – كما يقول ابن خلدون – قائماً الى الجنوب الشرقى من مدينة بسكرة يزوره الناس لليوم تبركاً ، وبعد هذه الوقعة سار (كسيلة) إلى القيروان فاستولى عليها وقامت دولة بربرية جديدة استمرت حوالى ست سنوات (٢).

وفى عهد الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان – أرسلت حملة استطاعت أن تقضى على (كسيلة) الزعيم البربرى ، وأرسل عبد الملك بن مروان فى عام (٧٦ هـ – ٦٩٥ م) حملة أخرى بقيادة (حسان بن النعمان) لمتابعة الفتح (٣).

وسار (حسان بن النعمان) الى (القيروان) ثم هاجم (قرطاج) براً ، وبحراً واستولى عليها ، لكن اصطدمت قوات حسان بقوات البربر عند (واد سكتانة) بعمالة قسنطينة بزعامة امرأة بربرية تدعى (الكاهنة) (٤).

---

(١) الجيلالى : مرجع سابق جـ ١ ص ١٥٢ – وكذلك الرقيق القيروانى : تاريخ أفريقيه والمغرب (قطعة منه حققها المنجى الكعبى) (تونس ١٩٦٨) ص ٤٤ ومابعدها .

(٢) ابن خلدون جـ ٦ ص ١٤٧ .

(٣) اختلف المؤرخون العرب فى تحديد تاريخ هذه الحملة ، فبعض الكتب العربية ترجعها إلى عام ٧٣هـ ، وبعضها ترجعها إلى ٧٩ هـ ، ولكن الراجح أنها ترجع لعام ٧٦ هـ حسبما جاء فى أغلب ما كتبه مؤرخو الروم .

(٤) ابن عذارى المراكشى : البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب جـ ١ ص ٢١ (نشردوزى) =

وقصة هذا الصدام بين المسلمين والكاهنة ، وما أصاب البلاد من تخريب وتدمير على أيديها يرويها لنا أيضاً الحاج أحمد بن المبارك العطار فى مخطوطه وسنشير لذلك عند معالجتنا للمخطوط المذكور (١).

وانتهى أمر الكاهنة بقتلها — كما سنوضح ودخل البربر بعد ذلك فى الاسلام وكان منهم اثنا عشر ألف مجاهد مع جيوش المسلمين ، وعقد لإبن الكاهنة الأكبر على قومه من (جراوة) الى جبل (أوراس) ، وكان ذلك فى رمضان سنة (٨٢ هـ — ٧٠١ م) (٢).

= وابن عذارى المراكشى الذى يفصل لنا احداث هذه الفترة – هو ابو العباس أحمد بن محمد وقد عاش سنة (٧١٢ هـ – ١٣١٢ م) .

وقد نشر دوزى الجزء الأول من الكتاب المتعلق بتاريخ المغرب إلى قيام دولة المرابطين ،ونشر الجزء الثانى (القسم الأول منه الخاص ببلاد الأندلس حتى وفاة ابن ابى عامر وهو جزء مبتور) بليدن فيما بين عامى ١٨٤٨ ، ١٨٤٩ ، كما نشرت فى بيروت سنة ١٩٥٠ طبعة سقيمة .

ونشر (ليفى بروفنسال و كولان ، جورج) جـ ١ ، جـ ٢ بليدن مصححاً من مخطوط مغربى عثر عليه أما جـ ٣ (قطعة أخرى) فقد نشرها بروفنسال من مخطوط بفاس ، وقد ظن بروفنسال إنها الجزء الثالث ، وهى خاصة بتاريخ الأندلس من موت ابن ابى عامر إلى ٤٦٠ هـ بينما يذكر المؤلف أنه وصل حتى ٤٧٨ هـ فلا تزال إذا (١٨) سنة ناقصة .

وفيما بين ١٩٦٠ ، ١٩٦٩ نشرت كلية الآداب بالرباط الجزء الثالث المتعلق بتاريخ الأندلس والمغرب العربى من انتهاء دولة المرابطين إلى عام (٦١٧) بعناية المستشرق امبروسى وثى مراندا ومحمد بن تاويت ، ومحمد ابراهيم الكتانى من مخطوط عثر عليها الكتانى فى زاوية تامكروت الناصرية .

(١) أحمد بن المبارك العطار : تاريخ بلد قسنطينة (المخطوط ص ٢٥٨) .

(٢) تاريخ ابن خلدون جـ ٦ ص ١٠٩ .

المنجى الكعبى : تحقيق الرقيق القيروانى – قطعة من كتاب تاريخ أفريقية والمغرب (تونس ١٩٦٨) ص (٦٤) .

ملاحظة : كان للكاهنة ولدان هما (قويدر) ، (يابين) . وقد إنفرد بذكر إسمهما الرقيق القيروانى . . أنظر : الرقيق القيروانى : تاريخ أفريقية والمغرب (قطعة محققة بمعرفة المنجى الكعبى تونس ١٩٦٨) ص ٥٨ . والمعروف أن كتاب الرقيق القيروانى الذى أصبح منذ القرن السادس عمدة المؤرخين عن أخبار شمال أفريقية والمغرب ، والذى نقل منه ابن عذارى ، والنويرى ، وابن خلدون ، والحسن الوزان ، والتيجانى وغيرهم – قد فقد بعد القرن الثامن الهجرى .

والقيروانى اشتغل بديوان الرسائل فى البلاط الصنهاجى مدى نيف وعشرين سنة (انظر مقدمة القطعة المنشورة من كتابه) .

الأندلس
البحر المتوسط
الجزائر
تونس
بجاية
عنابة
قسنطينة
المدية
أشير
قلعة بني حماد
المملكة الحمادية
القيروان
صفاقس
طرابلس
المملكة الزيرية
حملة بني هلال
وهران
تلمسان
سبتة
طنجة
فاس
مواطن زناتة
سجلماسة

المغرب الإسلامى

من أواسط القرن الرابع الى القرن السادس الهجرى

شكل (١)

هذا وقد تأثر مسلمو الشمال الأفريقي بالأحداث التي ألمت بالعالم الإسلامي بعد مقتل الخليفتين عثمان وعلي – خاصة بعد أن فر فريق من الخوارج إلى الشمال الأفريقي فأخذوا يبثون أفكارهم بين البربر ، وكانت أكثر مذاهب الخوارج انتشاراً في هذه البلاد مذهب (الصفرية) و (الاباضية) ، وقد استقلت بعض القبائل الجزائرية تحت إمارات أباضية تمركزت في بعض مدن وفيافي الجزائر [1] .

ولما زالت دولة بني أمية – وآلت الخلافة إلى بني العباس – أدى هذا الإنقلاب إلى خروج الشمال الأفريقي كله من نفوذ الخلافة العباسية باستثناء تونس التي أصبحت تحت سيطرة الأغالبة (١٨٤ – ٢٩٦ هـ) (٨٠٠ – ٩٠٩ م) [2] .

ووجدت الدعوة الشيعية بيئة صالحة للظهور ، فقامت (دولة الأدارسة) العلوية بالمغرب الأقصى ، وبايعت قبائل (زناتة) إدريس الأول بالإمامة في ٤ رمضان سنة (١٧٢ هـ – ٧٨٩ م) في بلده (وليلى) [3] .

وبعد أن أستقر الأمر للأدراسة بالمغرب الأقصى – زحفوا على المغرب الأوسط (الجزائر) فدانت لهم ، وأسس الأدراسة مدينة (فاس) واتخذوها عاصمة لهم [4] .

---

(١) الصفرية : أتباع زياد بن الأصفر ، والبعض يرجع التسمية إلى صناعة الصفر ، أي النحاس أما الاباضية : فهم اتباع عبد الله اباض التميمي ، والبعض يرجع نسبهم إلى (أباض) وهي قرية بأرض اليمامة .

(٢) سالم : المغرب الكبير جـ ٢ ص ٣٦٤ وما بعدها ، ابن خلدون – جـ ٤ ص ٤١٩ .

ملاحظة : اتخذ إبراهيم بن الأغلب مدينة (القيروان) عاصمة لولايته ، لكنه أسس سنة ١٨٥٠ جنوب القيروان مدينة سماها (العباسية) وانتقل إليها بأهله وذلك تعبيراً عن ولائه للعباسيين .

أنظر سالم : المغرب الكبير جـ ٢ ص ٣٧٥ .

(٣) ابن عذارى جـ ١ ص ١٠١ ، الاستقصاء جـ ١ ص ١٥٢ .

(٤) اختلفت الاراء حول تأسيس مدينة فاس وتاريخ هذا العمل .

وقد جمع Blachere كل بيانات الجغرافيين عن فاس في مقال بعنوان « فاس عند الجغرافيين العرب – في العصور الوسطى » في مجلة Hesperis الجزء الثامن عشر سنة ١٩٣٤ ص ٤١ إلى ٤٨ .

وقد أفاض في ذلك علي بن ابي زرع الفاسي : الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس (الرباط ١٩٧٣) .

ويبدو أن (فاس) مدينتان احداهما بناها إدريس الأول سنة ١٧٢ هـ والأخرى بناها إدريس الثاني بالقرب من المدينة الأولى وأصبح إسم (فاس) يطلق على المدينتين معاً .

وقد ظهرت على مسرح الأحداث بالشمال الأفريقى دولة شيعية جديدة هى (الدولة العبيدية – الفاطمية) التى تنسب إلى عبيد الله المهدى الشيعى مؤسس هذه الدولة بالمغرب، وكان ابتداء ظهور هذه الدعوة الشيعية بالجزائر حوالى سنة (٢٧٩هـ – ٨٩٢ م) بواسطة الدعاة الذين كان ظهورهم لأول مرة بناحية قسنطينة (فج الأخيار)، وقد استطاع أبو عبد الله المحتسب الصنعانى الشيعى الداعية الأكبر لهذه الدعوة الشيعية أن يوقع بالأغالبة فاستولى على سطيف وقسنطينة وسائر بلاد الجزائر الشرقية[1] .

واحتل القيروان سنة (٨٩٦ هـ – ٩٠٩ م) وتقدم إلى (رقادة) عاصمة الأغالبة فاستولى عليها وقضى على دولة الأغالبة ، وجاء عبيد الله المهدى فاختار مكاناً حصيناً على الشاطىء الشرقى فى تونس حيث بنى عاصمة ملكه التى سماها (المهدية) [2] .

واستطاع العبيديون بعد ذلك فتح الجزائر الغربية، كما استطاعوا إخماد الثورة التى اشعلتها قبيلة (زناته) التى ساءها اعتماد أبو عبد الله على قبيلتى (كتامة) و(صنهاجة) وتميزه لها – إلا أن العبيديين اتجهوا بانظارهم نحو الشرق فاستولوا على مصر وبنوا مدينة (القاهرة) .

وفى ٥ رمضان ٣٦٢ هـ (٩ يونيه ٩٧٣ م) دخل الخليفة الفاطمى المعز لدين الله القاهرة – بينما ترك الأمر فى الشمال الأفريقى للصنهاجيين الموالين جزاء مساعدتهم للفاطميين فعهد الفاطميون (لبلكين بن زيرى بن مغار الصنهاجى) بالإمارة على

---

(١) ابو عبيد الله الصنعانى – سمى بالمحتسب لأنه كان ولى الحسبة ، و الصنعانى لأنه جاء من اليمن .
وفج (الاخيار) المكان الذى اختاره قرب قسنطينة لجمع الاتباع ، خاصة من قبيلة كتامة التى عرفت بكثرة عددها وصلابة عودها – لعله مكان حصين فى الجبال المحيطة بقسنطينة ، وكذا اطلق عليه (دار الهجرة) .
أنظر البكرى : المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب (باريس ١٩١١) ص ٦١ ، ٦٤ ، حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٤٩ .

(٢) رقادة : بناها إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب فى جنوب القيروان (٢٦٣ هـ – ٨٧٦م)
أنظر – ابن الخطيب : أعمال الأعلام القسم الثالث (تحقيق العبادى ، و إبراهيم الكتانى) ص٢٦ ، ٤٥ .

المغرب باستثناء طرابلس ، ومضارب قبيلة (كتامة) التى كانت هى الأخرى موالية للفاطميين ، وكانت مدينة (سطيف) هى أكبر مراكز هذه القبيلة ،ولقبه الخليفة بلقب (سيف الدولة) وكان ذلك يوم (٢٥ ذى الحجة ٣٦١هـ - ٤ أكتوبر ٩٧٢ م) وكانت هذه بداية الدولة الزيرية الصنهاجية بهذه الجهات .

وحين ثارت قبيلة (كتامة) التى كانت ترى أنها أولى من (صنهاجة) فى أخذ الإمارة لما قدمته للدولة الفاطمية من خدمات ، لم يتأخر (المنصور بن بلكين) الذى أخذ الأمارة بعد وفاة والده فى عام (٣٧٣ هـ - ٩٨٤ م) - عن مقاتلتها ، فحاصر أتباعها فى مدينة (ميله) القريبة من قسطينة ، كما دخل (سطيف)أكبر مراكز كتامة وعين بكل من المدينتين خليفة عنه .

على أن الدولة الزيرية الصنهاجية لم تلبث أن انقسمت الى إمارتين إحداهما شرقية قاعدتها (القيروان) والأخرى غربية كانت (لبنى حماد بن بلكين بن زيرى الصنهاجى) وقاعدتها (القلعة) التى أنشأها حماد فى عام (٣٩٨ هـ - ١٠٠٧ م) وقد شملت هذه الدولة الغربية تقريباً حدود عمالتى الجزائر وقسطينة المعهودة اليوم .

وقد تعرضت قسطينة للنهب والتخريب بسبب غارات (بنى هلال) ، وكان الخليفة المستنصر الفاطمى قد شجع هذه القبائل من (بنى هلال) و(بنى سليم)على الهجرة الى المغرب وعقد لرؤسائهم على أمصار البلاد وثغورها .

ورغم أن الزحف الهلالى كان موجهاً أصلا صوب تونس فقد امتدت موجة الزحف وحاصروا قسطينة وأستولوا عليها وعلى (القلعة) ونهبوا هذه البلاد وخربوها[1] . وقد تأثرت الدولة الحمادية - بقيام دولة المرابطين (أو الملثمين) التى أسسها (يوسف بن تاشفين) فى المغرب الأقصى ، والمغرب الأوسط حتى مدينة (الجزائر) وأسس مدينة (مراكش) سنة (١٠٦٩م) واتخذها عاصمة له، هذا على أن اتجاه المرابطين لاسبانية قد أتاح فرصة لبقاء الدولة الحمادية حتى أنتهى أمرها على يد الموحدين فى (٥٤٦ هـ - ١١٥٣ م)[2] .

---

(١) يقال أن هذه القبائل وزعت على الجهات المختلفة بسبب إغاراتها وتعدياتها المستمرة . أنظر-حسن إبراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والإجتماعى (١٩٦٨) جـ٤ ص ٦٢٨ .

(٢) للدراسة التفصيلية للمرابطين ، ونشاطهم فى شمال أفريقيا .
أنظر- محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس (القاهرة ١٩٦٤) .

ويرجع تأسيس الدولة الموحدية الى (محمد بن تومرت) المغربى الذى ادعى أنه (المهدى المنتظر) ، ودعا الى تخليص الدين من الشوائب ، وخلفه تلميذه (عبد المؤمن بن على) فى رمضان سنة ٥٢٤ هـ[1] .

وبعد أن ثبتت أقدام عبد المؤمن فى الملك شرع فى بسط نفوذه على أنحاء المغرب الأوسط ، فاستولى على ولاية (تلمسان) بعد أن هزم جيش المرابطين بها ، ثم تقدم نحو الشرق ، فاستولى على ولاية (بجاية) ، ثم اتجه إلى قسنطينة وحاصرها فاستسلم يحيى بن العزيز آخر ملوك بنى حماد فى عام (٥٤٨ هـ – ١١٥٣ م) .

وفى عام (١١٥٦) سقط ميناء بونة (عنابة) ، وبذلك بسط الموحدون نفوذهم على الجزائر كلها ، ثم مدوا نفوذهم إلى تونس ، وقد قام أحد الموالين للمرابطين ويدعى (ابن غانية) بحركة مناوئة للموحدين فى الجزائر الشرقية ، وتونس وحاصر هذا الثائر قسنطينة لكنه لم يقو على فتحها ، وتمكن (يعقوب المنصور) الموحدى أن يهزمه . على أن وفاة يعقوب المنصور سنة ١١٩٨ ثم هزيمة المسلمين فى (وقعة العقاب) بالأندلس سنة (٦٠٩ هـ – ١٢١٢ م) كانت إيذانا بانهيار الدولة الموحدية التى ظلت تمثل وحدة الشمال الأفريقى طيلة قرن ونصف قرن تقريبا .

وكان ذلك ايذانا بتفتيت المغرب فظهرت ثلاث دول هى :

الدولة المرينية – فى المغرب الأقصى[2]

الدولة الزيانية – فى المغرب الأوسط

الدولة الحفصية – فى تونس[3]

---

(١) تضاربت الروايات حول ظروف تولية (عبد المؤمن)
أنظر – محمد عبد الله عنان : المرجع السابق القسم الأول ص ٢١٩ ما بعدها .

(٢) بنو مرين : هم فخذ من بطون قبيلة زناتة البربرية .

(٣) الحفصيون (٦٢٥ – ٩٤١ هـ) (١٢٢٨ – ١٥٣٤ م) ع هم فرع من الموحدين ، ينتسبون إلى الشيخ ابى حفص يحيى بن عمر ، وكان للشيخ ابى حفص دور فى نشر دعوة المهدى محمد بن تومرت
أنظر – الجيلالى : مرجع سابق جـ ٢ ص (٧ – ٦٨) .

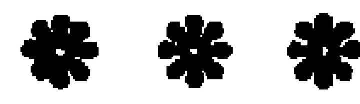

الأندلس
البحر المتوسط
طنجة
العرائش
سبتة
سلا
مليلة
فاس
أزمور
مراكش
تلمسان
وهران
الجزائر
بجاية
القل
قسنطينة
بسكرة
عنابة
تونس
القيروان
المهدية
صفاقص
بنو مرين
بنو عبد الواد
بنو حفص
المغرب الإسلامي
من القرن السابع الى العاشر الهجري

شكل (٢)

وقد استطاع الحفصيون أن يبسطوا نفوذهم على المقاطعات الجزائرية المجاورة لهم غربا على أن الأمر لم يستقر للحفصيين وحدهم ، فقد نازعهم المرينيون أيضاً فى السلطان على المغرب الأوسط .

وهكذا أصبحت هذه المقاطعات بحكم موقعها تارة تابعه لتونس وأخرى تتبع المغرب الأقصى ، وينتخب البلد الذى تتبع له أمير آخاضعاله بحكمها — ودامت كذلك حتى الحكم العثمانى .

وقد أشار الشيخ الحاج أحمد بن المبارك العطار فى مخطوطه إلى هذه الظاهرة (1) وارجع إليها سبب عدم التقدم أو التجديد فى الجزائر — كما ستوضح بعد .



وقد أدى الضعف والتفكك الذى أصاب المسلمين فى الشمال الأفريقى إلى أن أصبحت هذه البلاد مطمعا للدول الأجنبية التى اتجهت أنظارها إليها لموقعها الهام (البرتغال والأسبان على وجه الخصوص) .

وحين أصبح (عروج) صاحب النفوذ فى الجزائر ، مد نفوذه إلى امارة (تلمسان) ، الزيانية عام ١٥١٧ . فأثار ذلك الأسبان الذين كانت انظارهم متجهة إلى هذه المناطق الحيوية فقامت حروب حامية بين الطرفين انتهت بقتل عروج سنة (١٥١٨) فتولى الأمر من بعده أخوه خير الدين الذى اشتهر بلقب (بارباروس)(2) .

ورأى خير الدين أن يعلن ولاءه للسلطان العثمانى الذى كان فى ذلك الوقت يمثل القوة العظمى فى العالم الإسلامى ، وانعم عليه السلطان بلقب بكلاربك (أمير الأمراء) فكان هذا بداية لصفحة جديدة فى تاريخ شمال أفريقيا كله (3).

وأصبح خير الدين صاحب النفوذ الحقيقى فى البحر المتوسط ، وقد استدعاه السلطان سليم بعد ذلك وولاه إمارة الأسطول العثمانى بالإضافة إلى وظيفته فى الجزائر وانعم عليه بلقب باشا ، ومن ذلك التاريخ أصبح معظم (البكلربكوات) يجمعون بين وظيفتهم فى الجزائر ومنصب قبطان الأسطول العثمانى ، ولذا كانوا

---

(١) أحمد بن المبارك العطار : تاريخ بلد قسنطينة (المخطوط) ص ٢٥٩ .

(٢) هناك غموض واختلاف فيما يتعلق بتاريخهما المبكر لكنهما بعد ذلك مارسا القرصنة فى البحر المتوسط ضد السفن المسيحية .

(٣) فارس ، محمد خير : تاريخ الجزائر الحديث (بيروت ١٩٦٩) ص ٢٣ .

يمارسون سلطتهم فى الجزائر بانفسهم مباشرة أو عن طريق بعض اعوانهم [1] .

وبعد سنة (١٥٨٧) ، أخذت استانبول ترسل إلى الجزائر ولاةبلقب (باشا) وكانت مدة حكم الباشا ثلاث سنوات ويعاونه فى الحكم (الديوان) الذى كان يتألف من رؤساء الجند ، لكن حين ضعفت الدولة العثمانية وأصبحت السلطة فيها بيد الجنود (الانكشارية) انتقلت هذه الفوضى إلى الشمال الأفريقى فأصبحت السلطة بيد رؤساء الأغوات الذين كانوا منذ عام (١٦٥٩) يختارون أحدهم ليحكم لفترة معينة ثم بعد ذلك يعينون واحدا بدلا منه .

وقد وضع رؤساء الجند حداً لهذه الفوضى فاستولوا على السلطة ، ونصبوا واحداً منهم واليا على البلاد بلقب (داى) وأكتفت الدولة العثمانية بإرسال الخلع للداى ، وكانت تمنحه لقب باشا باعتباره ممثلا لها ، وكان الداى ينتخب لمدى الحياة ، ويساعده فى الحكم مجلس استشارى من كبار الموظفين .

وقد أطلق على هذا المجلس اسم (الديوان) [2] .

وهكذا يمكن تقسيم تاريخ الجزائر فى ظل الحكم العثمانى إلى اربع مراحل :

١ -- مرحلة البكلربكوات من ١٥١٨ إلى ١٥٨٧

٢ -- مرحلة الباشوات من ١٥٨٧ إلى ١٦٥٩

٣ -- مرحلة الأغوات من ١٦٥٩ إلى ١٦٧١

٤ -- مرحلة الدايات من ١٦٧١ إلى ١٨٣٠

وكانت الجزائر مقسمة الى ثلاث ولايات (بيكليات) على كل منها حاكم (باى) يعينه الداى -- وهذه (البيلكيات) هى :

---

(١) ابن ابى الضياف ، أحمد : اتحاف أهل الزمان باخبار ملوك تونس وعهد الامان (تونس ١٩٦٧) حـ ٣ ص ٣ .

ملاحظة : أحمد بن ابى الضياف وزير تونسى ، تولى عدة وظائف فكان وزيراً القلم ومن أعضاء مجلس الشورى . واعتمد عليه (محمد الصادق باى) فى شرح القانون الأساسى المسمى بعهد الأمان -- واشتهر بغزارة علمه ، فؤلفه هذا من أحسن وأدق ما كتب فى مجاله حيث أنه كان معاصراً للأحداث وشارك فيها وقد توفى فى ١٢٩١ هـ .

(٢) كلمة (داى) معناها الامير وهى لفظ يشير للتعظيم .

انظر - ابن ابى الضياف ، احمد : مرجع سابق حـ٣ ص ١٧ .

بايلك الشرق – مركزه قسنطينة ويمتد حتى حدود تونس .
بايلك الغرب – مركزه المعسكر ثم نقلت العاصمة الى وهران
بايلك تيطرى – مركزه المدية .

والبيلك يضم عادة عدة قبائل على رأسها (قواد) بينهم (الباى) ، وهم يعينون بدورهم (الشيوخ) المكلفين بإدارة شؤون القبيلة .

هذا ونشير الى أنه أنتشرت فى الجزائر فى هذه الحقبه – الطرق الدينية (القادرية) بالذات كما انتشرت القرصنة فى البحر المتوسط وأصبحت تمثل مورداً هاما من موارد الدولة اذ كان للدولة نصيب من دخل القراصنة ، كما نشير أيضاً لتكون الصورة كاملة – الى أنه كان بها (أى بالجزائر) عدد كبير من اليهود وكانوا يحتكرون التجارة الداخلية وغيرها من الأنشطة الأقتصادية فى البلد .

ودراستنا هذة قائمة على أساس ثلاث مخطوطات هامة تناولت الحديث عن قسنطينه[1]

ثانياً – تعريف بالمخطوطات الثلاثة التى تناولت تاريخ قسنطينة

١ – مخطوط ابن العنترى

محمد الصالح بن العنترى : الأخبار المبينة لإستيلاء الترك على قسنطينة وهو فى ٢٠٧ من القطع المتوسط .

والكاتب يعرف بنفسه فى ص ١٠٣ من المخطوط المذكور ، فوالده (محمد بن العنترى) كان كاتبا لدى الحاجا حمد باى قسنطينة وقت غزو الفرنسيين للجزائر ، فلما تقدم الفرنسيون من (عنابة) صوب قسنطينة ، ارسلوا (ولد بوجناح) [2] من

(١) المخطوطات الثلاثة فى دار الوثائق بالرباط ، وقد جمعت فى مجلد واحد إذ أن الدار اتبعت عند تصنيف وثائقها هذه الطريقة (طريقة المجاميع) فتجمع الوثائق التى يكتشف انها تتناول موضوع واحد فى مجموعة واحدة .

وقد رقمت الوثائق الثلاث بأرقام مسلسله هى التى أشرنا إليها ، هنا هذا على الرغم من أن الوثائق الثلاثة كتاب مختلفين وبخطوط مختلفة متباينة كل التباين من ناحية الكتابة ونوع الحبر وجودة الخط ، والميل للتأنق والزخرفة فى الكتابة من عدمها .

وفى المجلد ترجمة فرنسية خطية لبعض أجزاء هذه المخطوطات ، بعضها للأسف عملت مع هوامش المخطوط بطريقة أساءت إليه .

(٢) ورد الأسم هكذا فى المخطوط لكن بعض الكتاب الفرنسيين كتبوه بوشناخ (Bushnach) – أنظر julien, Charles- André ; Histoire de l'Algerie Contemporaine p. p. 11,12

كبار يهود الجزائر للباى بقسنطينة يدعونه للتسليم والصلح ، فأوفد كاتبه (محمد بن العنترى) ليتحدث مع الفرنسيين ، وفى نفس الوقت يأتيه بالأخبار، وانتهى الأمر — كما سنفصل فى حينه — بأن أتهم اتباع الباى هذا الكاتب بعد عودته بأنه يتحدث عن قوة الفرنسيين ليرهب الناس ويخيفهم لانه أخذ رشوة من الأعداء فمات مسموماً .

أما الكاتب نفسه فقد كان أثناء كتابته لمؤلفه هذا يشغل وظيفة كاتب فى الإدارة الفرنسية بقسنطينة ، ولاه إياها القبطان (بوسنة) الذى كان يشغل وظيفة (متولى أمور العرب) بقسنطينة، وهكذا فان الكاتب كان مطلعا على الكثير من الأحداث التى ألمت بقسنطينة بحكم الوظيفة التى تقلدها أبوه ثم التى تقلدها هو فيما بعد ، كما يخبرنا أنه فى مؤلفه هذا « رجع إلى عقود الأملاك والظهورات من دار سيدى الشيخ إبن الفكون ، ومن دار إبن كجك على ، وعلى يد سى الحاج أحمد بن المبارك المفتى . وعلى يد أولاد سيدى معمر وغير ذلك» (١) .

ويلاحظ أن الشيخ (ابن الفكون) كان من العلماء الذين عاصروا أحداث هذه الفترة وشاركوا فيها ، فقد كان الملجأ الذى يركض إليه الأهالى عندما كانت تنزل بهم نازلة ليسترشدوا برأية وليجدوا عنده الحـــل لكل مشكله تعرض لهم (٢) .

أما الفترة الزمنية التى يتناولها الكاتب فى حديثه فهى تبدأ من بداية الحكم التركى فى هذه البلاد وتنتهى بعام ١٨٤٦ — وكان يشرف على شؤون قسنطينة فى ذلك الوقت الجنرال بيدو الفرنسي (Bedeau) ، والمعروف أن هذا الجنرال قضى فى شمال أفريقيا من عام ١٨٣٧ إلى عام ١٨٤٧ (٣) .

---

(١) المخطوط ص ١٩٨ .

(٢) سنتعرض عند تحليلنا للمخطوط للمواقف المختلفة التى وقفها الشيخ (ابن الفكون) . ويشير الشيخ (أحمد بن المبارك العطار) فى مخطوطه عن تاريخ قسنطينة الذى سنتعرض له هنا إلى أنه حين دخل الأتراك قسنطينة كان أمير ركب الحجاز هو سيدى عبد المؤمن لكنه رفض هو وأهل حومة باب الجابية الخضوع للأتراك ، وظل كذلك ثلاث سنين حتى تحايلوا عليه بالمكر والخداع وتمكنوا منه وقتلوه وردوا المشيخة إلى الشيخ (ابن الفكون)فكان يمشى بالركب كما كان يمشى سلفه . وجعلوا له مكانه عظيمة وميزات أصبح يتمتع بها هو وذريته من بعده .

(٣) Julein, Charles André : op. cit., P. 326.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الاحد . الذى لم يتخذ صاحبة ولا ولد . مالك
الملك بقدرته ومكون الاكوان بارادته ومرسل الرسل
لارشاد عبيده . سبحانه جل وعلا في ملكوته . لا رب غيره
ولا معبود سواه . واليه يرجع الامر كله ولما
كانت الاخبار الشائقه والاثار الرائقه يرتاح كل اللبيب
الحاذق اليها ويشتاق الذكى الفاهم لمطالعتها اقتضى
الحال لذلك ترجمة لطيفه ونبذة مستحسنة ظريفه لمن
اراد من ذوي العقول الراجحه وجلساء السلاطين *
والملوك الفاخره . فالزمت نفسي لفرع هذا الباب
واستعملت فكري بما رضيه من لايكذب الاحباب وسميتها

الصفحة الأولى من مخطوط ابن العنترى

٢ - مخطوط أحمد بن اسماعيل بن صالح باى

أحمد بن اسماعيل بن صالح باى: ذكر طرف يسير يتعلق بأيام صالح باى الازميرلى بولاية الجزائر .

هذا المخطوط يشغل الصفحات التى رقمت فى هذه المجموعة من ص ٢٠٩ إلى ٢٢٢ وتلى ذلك ترجمة فرنسية خطية تستغرق الصفحات حتى ٢٤٠، والمترجم للمخطوط غير مذكور اسمه .

والمخطوط بخط مغربى ، وعلى هوامش المخطوط ذاته ترجمة فرنسية خطية لبعض عباراته لعلها بخط المترجم الفرنسى الذى جمعها فى نهاية المخطوط .

وصالح باى الازميرلى المذكور كان قد قلده الداى محمد عثمان باشا وظيفة باى على قسنطينة سنة (١١٨٥ هـ - ١٧٧١ م) واستمر فيها إلى أن عزل بأمر داى الجزائر الجديد فى عام (١٢٠٦ هـ). وعين مكانه (إبراهيم باى بوصبع) ، ولكن صالح باى استطاع أن يوقع بالباى الجديد ويقتله ومن قدم معه من (الجزائر) ، لكن باشا الجزائر لما وصله الخبر ارسل باياً آخر هو (حسين باى ابن حسن باشا بوحنك) فتمكن من قتل صالح باى ، وكانت مدة ولايه (صالح باى) فى قسنطينة أثنين وعشرين عاما ، وهذا يوضح أهمية الفترة التى حكم فيها (صالح باى) فى تاريخ قسنطينة [١] .

ولم يشر كاتب المخطوط عن دوافع تسجيله لهذه الأحداث أو عن المصدر الذى استقى منه معلوماته - لكن يبدو من أسمه أن الأمر يتعلق بجده (صالح باى) .

وأهمية المخطوط ترجع إلى أنه يعطى صورة واضحة عن كثير من الأحداث المتعلقه بولاية قسنطينة فى ذلك العهد ، وما كان يتبع عند توليه باى جديد ، وعلاقة بايات قسنطينة بباشا الجزائر

---

(١) يشير المخطوط إلى الظروف التى أحاطت بعزل (صالح بأى) وقتله وسنوضحها فيما بعد لاهميتها فى اعطاء صورة عن النظام الادارى فى هذه الفترات وما أرتبط به من أحداث أو إلى اضطراب حبل الأمن والنظام .

الصفحة الأولى من مخطوط احمد بن اسماعيل بن صالح باى

ولنحاول تحليل بعض الأحداث التى أشار إليها المخطوط :

ـ الحدود بين تونس والجزائر : يشير إلى أن المناوشات والمنازعات كانت مستمرة بين البلدين لعدم وجود حدود طبيعية فاصله بينهما ، ولأن القبائل الضاربة على الحدود لم تكن تعترف بالفواصل المصطنعة ، فقد كانت بعض القبائل تهرب من قسنطينة لتونس لسبب أو لأخر ، و لذلك فقد نزل (صالح باى) إلى الأقاليم الفاصلة بين تونس وقسنطينة ليتعقب الذين فروا من وطنه ، ولما وصل ذلك إلى علم (باى تونس) أرسل كاتبه (إبن عبد العزيز) ليجتمع مع صالح باى ليعرف سبب قدومه .

وقد ارسل (صالح باى) مبعوثاً من طرفه (محمد خوجه) لاسترجاع الفارين إلى تونس . ويعطى لنا كاتب المخطوط صورة عن الدار التى نزل بها هذا المبعوث فى تونس ، كيف أنها كانت مفروشة (بالزرابى) والوسائد المذهبة ومعدة بأوانى النحاس والفضة للشرب وغسل اليدين ، وكيف يسر له والى تونس مهمته ، وأنه فى نهاية الزيارة زوده بهدية ثمينة له وأخرى لصالح باى .

لكنه يشير إلى شئ طريف ، وهو أن (محمد خوجه) هذا كان يتصف بالطمع ففى أثناء عودته جمع ما فى دار الضيافة هذه من الألات والأدوات والفرش وحمله على بغال ورجع إلى بلده [1] .

ـ الظروف التى تحيط بتوليه بايات قسنطينة : أطنب الكاتب فى شرح الظروف التى أحاطت بعزل (صالح باى) ثم قتله ، وفى أثناء حديثه هذا أشار إلى أشياء كثيرة هامة منها إشارته إلى (الدنوش) ويقصد به إتجاه الباى للجزائر لتقديم المال اللازم (للخزينة) العامة هناك (اللزمة) أى المال الملتزم به الباى وما يتبع ذلك من التزامات أخرى ، وقد أشار إلى هذا الأمر كل من تعرض للحديث عن قسنطينة وسنشرحه بالتفصيل عند تحليلنا لمخطوط ابن العنترى [2] .

ويتحدث أحمد بن إسماعيل بن صالح باى عما حدث من خلاف بين (صالح باى)

(١) المخطوط ص ٢٠٩ - ٢١٢ .
هذا ويذكر ابن العنترى أن باى تونس كان يتسلم القفطان (شارات الحكم) من باى قسنطينة ، بعد أن يقع عليه الاختيار من باشا الجزائر - أنظر مخطوط ابن العنترى : ص ١٠٠ .
(٢) أنظر مخطوط ابن العنترى (ص ١٩) وكذلك تحليلنا للمخطوط المذكور .

و (الخزناجى) أى المسؤول عن الخزنة فى الجزائر وما ترتب على ذلك من أحداث .

فيذكر أن (صالح باى) توجه للجزائر (بالدنوش) فسلم (اللزمة) ثم ما يتبعها من متعلقات دار السلطان ، ثم شرع فى تفريق (العوائد) لأرباب الدولة أى ما اعتادوا أخذه ، ويعدد ما قدمه فى ذلك الوقت للخزناجى (خمسة آلاف محبوب ، وحصان ، وبغال جيده ، وتمر ، وسمن ، وبرانس ، وسبح مرجان ، وعنبر ، وعطر ، وملابس محلاة بالذهب) لكنه اعتبرها أقل من الواجب تقديمه فرفضها فشكاه صالح باى لباشا الجزائر فأمر بضم هذه الهدايا للخزينة الأميرية — وبعد ذلك ورد لصالح باى مندوب من طرف باشا الجزائر ينبئه بأن الباشا أمر بقتل (الخزناجى) وتولية غيره مكانه .

هذا أمر كان عاديا عندهم كما ذكرنا ، وكانوا يمارسونه بيسر مع كل شخص غير مرضى عنه . كما يعطى صورة عما يتبع عند توليه باشا جديد فى الجزائر إذ يلزم أن يتوجه الباى للتهنئة ، فلما ذهب صالح باى رحب به وألبس (عمامة) وقدمت له هدايا ، وبعد ذلك ذهب صالح باى لمختلف الجهات التابعة له لجمع (البايلك) أى المال المطلوب لتصريف شؤون الولاية ، كما ذهب للتفتيش على البنائين الذين استجلبهم لبناء القنطرة .

— ويوضح أن الوضع تغير بالنسبة لصالح باى بعد أن تولى باشا آخر فى الجزائر وأنه بلغه أن إبراهيم (قائد الزمالة) (٢) ، قد عين بدله بايا على قسنطينة فخشى أن يصل لقسنطينة ويقتله بأمر باشا الجزائر كما كان معتاداً فاختبأ .

— ويشرح لنا المخطوط ما كان يتبع عند وصول (باى) جديد : إذ يجتمع بالديوان ويطلعهم على خطاب باشا الجزائر بتعيينه ، ثم يذهب إلى الدار المخصصة للبايات ، ويدخل عليه أرباب الدولة ووجوهها لتهنئته .

ويشرح كيف دبر صالح باى حيلة قضى بها على (إبراهيم باى) بواسطة

(١) المخطوط ص ٢١٣ .

(٢) هو المتولى الشؤون المتعلقة بالعرب ، ويصحب الباى فى تنقلاته — أنظر مخطوط ابن العنترى — ص ٢٤ .

مماليكه ، ولم يكتف بذلك بل قتل جميع أتباعه من الفرسان الذين أتوا معه (١) .

ويوضح لنا كاتب المخطوط رد الفعل لهذه الأحداث فى الجزائر ، فقد عين باشا الجزائر بايا آخر (حسين باى) وأرسل كتابا إلى ديوان المحلة بقسنطينة وإلى أهل البلد ليمسكوا بصالح باى .

وقد حاول صالح باى أن يكسب الأتراك إلى جانبه فوزع عليهم الأموال بسخاء(أعطى كلامنهم مائة محبوب ذهبا سكة مصر) ، لكنهم بعدأن أخذوا ماله تفرقوا عنه ، كما أن الديوان بعد اطلاعه على خطاب الباشا أعلن مضمونه لشيخ البلد وللعلماء .

وامسك الجند(بصالح باى) — رغم أن شيخ البلد (السيد عبد الرحمن) كان قد منحه الأمان واصعد إلى دار (الاغا) بالقصبة حيث قتل هو وجميع من كانوامعه.

ثم دخل الديوان دار الباى لفحص (الخزنة) والأمتعة (٢) .

— حفل تنصيب الباى الجديد: يعطى المخطوط صورة عما يتبع فى هذه المناسبة حيث يلبس الباى القفطان بحضرة الديوان وكبار الأتراك وأعيان البلد ، ثم يقرأ منشور الباشا ،ويذهب الباى بعد ذلك إلى (دار الباى) ويجلس على سرير ملكه ليتقبل تهانى العظماء والعلماء .

— عمل وكيل الحرج : هو المسؤول عن جمع المال ، ويوضح المخطوط العملة المستعملة فى ذلك الوقت(الأويلة البسيطة ، والدور بمدفع ، والمحبوب المصرية والسلطانى الجزائرى والدبلونى ، والمونبطة ، والمسرغ ،والمبرشى) —وقد ينوب وكيل الحرج عن الباى فى الذهاب لتقديم (اللزمة) للجزائر .

— طريقة التخلص من البايات غير المرغوب فيهم :يوضح المخطوط كيف أن (حسين باى) بعدأن تولى الولاية عامين واربعة أشهر — ظهر عجزه فعزل وقتل كما كان متبعاً .

---

(١) المخطوط ص ٢١٤ — ٢١٦ .

(٢) المخطوط ص ٢٢١ .

٣ – مخطوط أحمد بن المبارك بن العطار

أحمدبن المبارك بن العطار القسطنطيني : تاريخ بلاد قسنطينة (مخطوط بدار الوثائق بالرباط ١٢٨٤ هـ – ١٨٧٠ م .

يعطى المخطوط صورة عن مدينة قسنطينة قديما وحديثا ، فيصف مبانيها الهامة ومرافقها وموارد المياه بها ويذكر انه كانت بالمدينة سبع قناطر ، وقد هدمت جميعها واندثرت ، لكن (صالح باى) بنى قنطرة جديدة ، ويذكر أن السبب فى هدم القناطر غير مؤكد تماماً – هل هو طول الزمن أم هدمتها كاهنه البربر ، والمياه كانت تجلب للمدينة من عين تعرف باسم عين (بومرزوق) .

كما كان بها برج مرتفع جداً باعلاه (فنار) ينظره أهل ميناء (بجاية) و هكذا رغم محاولات غزوها المتعددة فلم يستطع عدو فى الماضى دخولها ويرجح أن ذلك يرجع بالإضافة لتحصيناتها إلى (رصد بها من عمل الحكماء) (١) .

– الحروب بين المسلمين والكاهنة : يذكر أن الوطن الأفريقى كان عامراً بحيث أن السائر لايسير نصف يوم فى موضع قفر خال من العمار ، ولا يبيت إلا فى مدينة أو قرية – لكنه يرجع السبب فيما أصاب البلاد من تخريب إلى الكاهنة .

وذلك أنه لما قدم جيش المسلمين مع الأمير (حسان بن النعمان الغسانى) فتح (قرطاج) وهزم (البربر) هزيمة شنيعة فهربوا إلى برقة ورجع هو إلى القيروان ، لكنه علم أن امرأة ساحرة يقال لها (الكاهنة) تتحصن بجبال (اوراس) مع عدد عظيم من البربر فسار إليها والتقى الجمعان وأقتتلوا قتالا شديداً ومات من العرب عدد كبير ، وانهزم حسان فتبعته الكاهنة إلى أن وصل إلى قرب (طرابلس) وذلك فى خلافة عبد الملك بن مروان .

وكتب حسان إلى عبد الملك يخبره عما لقى المسلمون من الكاهنة ، فأمره الخليفة بالبقاء حيث هو حتى يأتيه المدد ، فأقام خمسة اعوام ، ملكت الكاهنة خلالها أفريقية ، وأمرت اتباعها بتخريب المدائن وقطع الأشجار لأن العرب – كما قالت لاتباعها – يطلبون المدن والذهب والفضة واما البربر فيطلبون المزارع ، فلانجاة لهم إلا بتخريب أفريقية لييأس منها العرب ، فخربت (فاغاى) و (تهويده) و (مقارين) ومدن كثيرة أخرى وجميع الحصون والقرى .

---

(١) المخطوط ص ٢٤٨ – ٢٥٢ .

الصفحة الأولى من مخطوط أحمد بن المبارك بن العطار .
(واضح عليها الترجمة الفرنسية الخطية)

وحاصرت قسنطينة وهدمت بعض قناطرها ومعاقلها الخارجية ولم تقدر على الدخول فى المدينة ، ويذكر أن هذه الكاهنة كان لها تابع من الجن يخبرها بكل شئ وكانت تنشر شعر رأسها . لكن كان لها — ابن أسلم وظل يتحين الفرص ليقتل أمه . وأن المسلمين بقسنطينه كتبوا لحسان أن يسرع بالقدوم إليهم بالجيوش ، ووضعوا الكتاب فى (عود السرج) وركب رسول فسلم الكتاب لحسان فأتاهم بالجنود واقتتل العرب والبربر قتالا شديداً وماتت الكاهنة وبعث حسان برأسها إلى عبد الملك بن مروان ، وبعد ذلك دخل البربر فى الإسلام وكان منهم إثنا عشر ألف مجاهد مع جيوش المسلمين (١) .

ويعلل كاتب المخطوط السبب فى عدم تجديد مبانى قسنطينة وتعميرها وإعادة بناء حصونها . . بأنها كانت دائما خاضعة لملوك آخرين ولم تستقل بنفسها إلا فترة قصيره ، فقد وضعت تحت طاعة ملوك مراكش من الملثمين المرابطين والموحدين وبنى مرين وتارة تحت طاعة سلاطين تونس الحفصين إلى أن دخلها الأتراك العثمانيون (٢) .

ويعطى المخطوط صوراً من تاريخ قسنطينة فتحدث مثلا عن :

— غزو بنى مرين لها : يشير كاتب المخطوط إلى أن (أبوعنان فارس المرينى) ١٣٤٨ — ١٣٥٨ غزاها من (بونة) وحاصرها بجنود كثيرة ، وقوة عظيمة وقطع عنها المياه واقسم الا ينصرف عنها إلا بعد أن يجعل عاليها داخلها .. فلما تضرر أهلها من العطش لجأوا إلى أحد الأولياء الصالحين (سيدى على بن مخلوف) ، وتضرعوا بين يديه أن يبتهل إلى الله ليزيل عنهم هذه الغمة ، فدعى الله تعالى فأرسل مطراً عظيما — فعاد النهر إلى مجراه ثم تم الصلح بين الفريقين ، واتفق على أن يدخل السلطان المرينى وجماعة قليلة من أتباعه ليبر بيمينه ثم بعد ذلك يذهب عنهم (٣) .

— قسنطينة فى ظل الحكم التركى : يشير المخطوط إلى أنه لما تمكن الأتراك من الجزائر ، وقويت شوكتهم وضعفت دولة (بنى مرين) بالمغرب ، ودولة بنى حماد (ببجاية) عاثت القبائل العربية بالفساد فى الأرض ، وكانت هناك منافسة بين العرب والأتراك ، وقبائل (نجع المناقشة) على قسنطينة ، فاتفق على أن

(١) المخطوط ص ٢٥٤ — ٢٥٨ .
(٢) المخطوط ص ٢٥٩ .
(٣) المخطوط ص ٢٦٠ — ٢٦١ .

تدخل قسنطينة تحت النفوذ التركى على أن يكون تصريف الأمور بيد الباى العثمانى وشيخ العرب وشيخ نجع المناقشة ، فلما دخل الأتراك قسنطينة قاموا ببناء القلعة التى كانت بسطح المقصورة .

وكانت ولاية قسنطينة لأولاد (فرحات باى) ، لكن لما ظهر عجزهم وضعفهم عن مقاومة العربان وغيرهم من الخارجين على النظام ، عين عليها حاكم تركى من عساكر الجزائر يقال له (حسين بوكمية) [1].

وتعاقب بعد ذلك البايات على حكم قسنطينة ، وقد تتبع الكاتب هؤلاء البايات وما تم فى عهد كل منهم من أحداث ، ففى عهد (حسن باى بوحنك) — ورغم أن هذه الفترة حفلت بأحداث الحروب ضد تونس — تمت كثير من الأعمال العمرانية : فى مقدمتها بناء (الجامع الأخضر) واوقفت عليه أوقاف تفى بمتطلباته ، وبعد حسن باى حكم (حسين باى زرق عينه) وقد حفل عهده أيضاً بالمعارك ضد تونس[2] .

وخلفه (أحمد باى) وهو جد الحاج أحمد آخر بايات قسنطينة ، وفى عهده حدثت (وقعة قليسة) ، فقد خرجت القبائل فى منطقة جبال (قليسة) عن طاعة السلطان وقطعوا الطرق فخرج إليهم أحمد باى ، كما خرجت محلة (قوة حربية) من الجزائر — لكن استطاعت هذه القبائل الثائرة أن تهزم هذه القوة وقتلت عدداً كبيراً من رجالها [3] .

وتولى صالح باى عام (١١٨٥) ويذكر كاتب المخطوط أن عهده كان عهد رخاء فيه غرست البساتين ومهدت الشوارع ، وبنيت قنطرة فى قسنطينة ودام حكمه نحو أثنتين وعشرين سنة سعد فيها الناس ، ويذكر أن باشا الجزائر عزله بسبب الوشاية ، وعين مكانه (إبراهيم بوصبع) .

ويشرح الكاتب كيف أن (إبراهيم باى) أمن (صالح باى) وخيره بين أن يبقى معه فى قسنطينة مكرماً أو أن يرحل بأهل بيته وأمواله إلى الحرمين الشريفين ، ولكن (صالح باى) لم يلبث أن دبر مكيده قتل بها (إبراهيم باى) ومن جاء معه ، وصرح بخروجه عن طاعة الجزائر [4] .

---

(١) المخطوط ص ٢٩٢ .
(٢) المخطوط ص ٢٩٨ .
(٣) المخطوط ص ٣١٧ .
(٤) المخطوط ص ٣١٩ — ص ٣٢٤ .

فلما وصل الأمر إلى باشا الجزائر ولى (حسين ولد حسن باشا بوحنك) باياً على قسنطينة وأمده بجيش كبير ، وكان بين حسين باى هذا وبين قبائل (المقاتية) ، وبينه وبين شيخ العرب مصاهرة — فخرج عدد كبير من العرب لمساندته، ولما وصل قرب قسنطينة أرسل (بظهير الولاية) إلى الديوان وأغا المحلة فانفضوا جميعا من حول (صالح باى) — وإنتهى الأمر بالقبض على (صالح باى)وقتله(١).

ونزل حسين باى إلى (المحلة) على عادة الولاة ودخل قسنطينة وتم له الأمر وقد ختم المخطوط بالحديث عن نهاية (صالح باى) وتوليه حسين باى الأمر فى قسنطينة فى عام (١٢٠٧ هـ) .

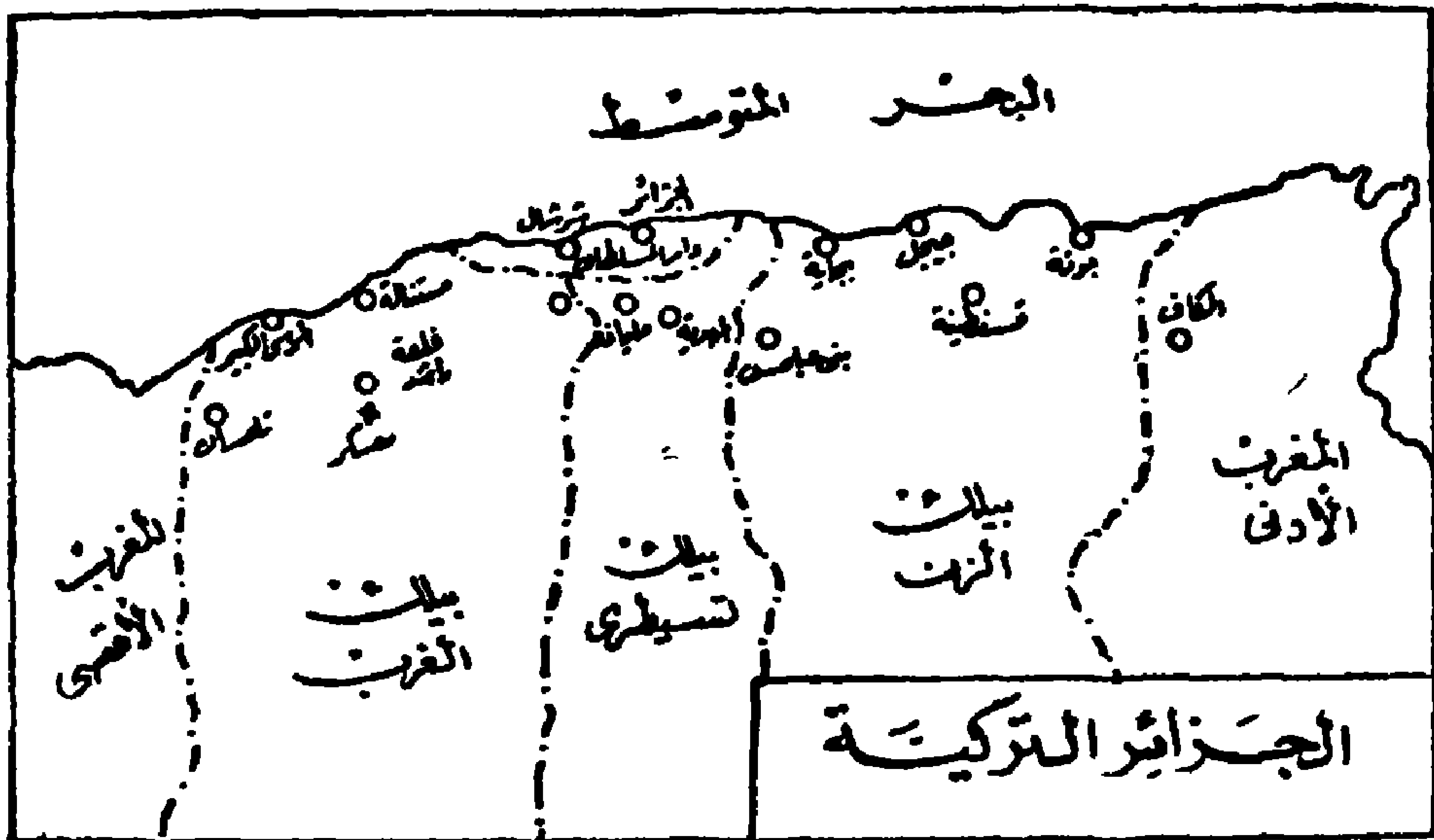
— الصراع بين حكام تونس وبايات قسنطينة : حفل المخطوط بالكثير عن حوادث الصراع الطويل الذى احتدم بين حكام تونس وبايات قسنطينة .

وارجع هذا الصراع إلى أن تونس كانت تحت سلطان حاكم الجزائر الذى وكل أمرها لعاهله على (قسنطينة) ، فكان عامل قسنطينة هذا يبعث موظفين من أهل مخزنه (حكومته) لتونس ، وكان له وكيل هناك ، فكانوا يسيئون إلى أهل تونس وقد دفع ذلك حاكم تونس إلى أن يعلن عداءه للجزائر مما أدى لحروب متعددة كانت قسنطينة —بحكم موقعها —هى ضحيتها فقد عانت مراراً من الحصار ، وإن كان الكاتب يشير إلى أن هذه المدينة قسنطينة لم يدخلها أحد ، وكل من أرادها بسوء رجع عليه إلى أن كتب الله بدخول الجنود الفرنساويين إليها سنة ثلاث وخمسين ومائتين وألف والأمر لله الواحد القهار (٢).

ويعطى صوراً من الصراع بين قسنطينة وتونس — فيذكر أن (مراد باى ابن على باى) حاكم تونس سنة أثنى عشر بعد المائة —خرج من تونس بجيشه صوب قسنطينة فتلقاه حاكمها (على خوجه) ، وحاصر التونسيون القلعة التى كانت (بسطح المنصورة) وخربوها ونقلوا مدافعها إلى تونس — لكن جاءت (محلة)من

(١) المخطوط ص ٣٢٦ .

(٢) المخطوط ص ٢٨٥



شكل (٣)

الجزائر لنجدة قسنطينة وانتهى الأمر بانهزام (مراد باى) ورجوعه إلى تونس تاركاً كل معداته الحربية (١).

كذلك وقعت مصادمات بين حمودة باشا تونس سنة (١٢٢١م) وبين (عثمان باى) والى قسنطينة ، لكن هذا الأخير مات أثناء قتاله وهو مغربى زعم إنه من شرفاء ملوك فاس وأنه يأتى بالمعجزات كأن يبطل مفعول بارود الأعداء ، وإنضمت إليه عدة قبائل واستطاع قائد الدار (الحاج أحمد بن الأبيض) أن يوقع به فى غيانه (عثمان باى) ، لكن حين عاود عثمان باى الكرة والتقى بقوات الشريف فى واحة (زهور) بين (جيجل) والتل هزم وقتل (٢) .

وبعد مقتل عثمان باى تولى أمر قسنطينة (عبد الله باى) الذى استطاع أن يخضع القبائل الثائرة ، وأن يتوغل فى حدود تونس حتى قرب مدينة (الكاف) لكن عزل (عبد الله باى) وقتل وتولى مكانه (حسين باى بن صالح باى) — وكان صغير السن حضر (أى حضرى) لايقدر على الركوب والغزو — كما يذكر كاتب المخطوط — فانتهز (حموده باشا) حاكم تونس هذه الفرصة — فأعد قوة من العساكر والخيل وما يزيد على مائة ألف من العربان على رأسها وزيره (سليمان كاهية)

(١) المخطوط ص ٢٦١ — ٢٦٤ .
(٢) المخطوط ص ٢٦٥ — ٢٦٩ .

وساق رعيته بنسائها وأموالها ، وكاتب مشايخ رعية قسنطينة مثل (الحناشي) وشيخ (أوراس)، واستمالهم إليه ووعدهم بالخير العظيم، فتقدموا ومعهم المدافع والذخيرة محمولة على خمسمائة جمل ، والتقى جيش تونس مع جيش حسين باى قسنطينة عند (مسطحة المنصورة) ، وهرب حسين باى إلى (قصر الطير) وحاصر (سليمان كاهية) قسنطينة شهراً كاملا ، ووصلت نجدة من الجزائر على رأسها (أحمد أغا) عن طريق البر ، كما جاءت قوة من البحر نزلت (عنابة) وانتهت المعركة بهزيمة جنود تونس وهرب (سليمان كاهية) ومن معه [1].

وأشار كاتب المخطوط إلى أن باشا الجزائر كان يزج بقسنطينة فى الخلافات التى تنشأ بين أفراد الأسرة الحاكمة فى تونس ، فيطلب من باى قسنطينة الخروج (بمحلته) لتأييد هذا أو ذاك من المتنازعين على السلطة فى تونس [2].

بل كان كثيراً ما يكلف باشا الجزائر الباى بقتل من يريد التخلص منهم من رجاله كما حدث حين كلف حسن باى بوحنك (١١٤٩ - ١١٦٧ هـ) بقتل (أحمد أغا) الذى كان يقود جيشا جزائريا ضد بعض الخارجين فى تونس لكن وشى به لدى باشا الجزائر فأمر بقتله .

وهكذا حفل تاريخ قسنطينة فى هذه الحقبة بأحداث هذه المذابح الدموية [3] .

ولا شك فى أن هذه الاحداث كان لها أثرها فى شغل البايات عن وجوه الاصلاح الداخلية التى كانت تنتظرها قسنطينة - هذا بالاضافة إلى ما خلفته هذه الحروب من أثار الدمار والتخريب .

ثالثاً - دراسة تحليلية

لما جاء بمخطوط محمد الصالح بن العنترى[4]

يعطى هذا المؤلف صوراً عن كثير من الاحداث التاريخية المتعلقة بالجزائر

---

(١) المخطوط ص ٢٦٦ - ٢٨٥ .

(٢) المخطوط ص ٢٩٢ - ٣٠٢ .

(٣) المخطوط ص ٣٠١ وما بعدها .

(٤) ملاحظة :

اتخذنا مخطوط ابن العنترى أساساً للدراسة والتحليل لما احتواه من أحداث هامة ولأنه حرص على إعطاء صورة كاملة متكاملة للأحداث طوال هذه الفترة من حكم الأتراك للجزائر وأوائل الحكم الفرنسى - مع عمل مقارنات مع ما ورد فى المخطوطين الآخرين .

عامة وقسنطينة خاصة فى هذه الفترة التى تناولها — وسنشير إلى بعض هذه الأحداث التى تعرض لها .

١ — بايات قسنطينة من العرب والأتراك :

يعطى صورة عن كل واحد منهم ،وما تم فى عهده سواء من الأحداث الداخلية أو الخارجية ، وذلك منذ بسط النفوذ العثمانى على قسنطينة حتى اوائل الحكم الفرنسى بها . ويذكر أن البايات من العرب كانت أحكامهم بالعدل وسيرتهم مرضية ، لكن جرت العادة بعد ذلك على توليه البايات من الأتراك ممن اشتهروا بالشجاعة فى الحروب والسياسة وممن امضوا فى قسنطينة مدداً طويلة — لكن اضطربت الأمور فى آخر أزمانهم — كما يقول الكاتب — فصاروا يولون بايات ضعافا ، ظهر منهم الضعف والفجور والجور ، وصار صغيرهم لا يوقر كبيرهم وبدا (النقص) فى ما لكهم (١).

وقد استثنى الكاتب بعض البايات الاتراك ، من أمثال صالح باى (١١٨٥ — ١٢٠٩) الذى يذكر انه تركى قديم فى قسنطينة فيذكر أنه كان رجلا عاقلا له سيرة مليحة ، يحب عمل الخير ، ويسعى فى صالح العباد — لكنه يعود فيقول إن حاله تبدل بعد ذلك (٢) .

وحين يصف أحد هؤلاء الحكام الاتراك بالتعقل والعدل ، يذكر انه متصف بأوصاف العرب (٣) .

ويذكر أنه حين أصبح (حسن باشا) حاكماً على الجزائر — وصل كرهه للترك — من أجل أعمالهم القبيحة إلى أنه كتب إلى باى قسنطينة جافر باى (١٢٢٦ — ١٢٢٩) امراً بقتل كبار الترك الذين فى قسنطينة عن آخرهم ، لكن الباى المذكور خاف على نفسه وكشف الأمر للأتراك وأراد أن يتآمر معهم على باشا الجزائر — لكن الأمر وصل إلى علم الباشا وانتهى بقتل باى قسنطينة ، وعين الباشا (أحمد باى) وهو مملوك ، وكان الهدف من تعيين مملوك فى قسنطينة هو الانتقام من الاتراك(٤) .

---

(١) المخطوط ص ٣٨ .
(٢) المخطوط ص ٣٣ .
(٣) المخطوط ص ٤٠ (وصفه للحاج مصطفى انقليز باى) .
(٤) المخطوط ص ٦٥ ، ٦٦ .

وقد اضطربت الأمور فى آخر حكم الأتراك ،ويصف الكاتب الوضع بقوله: اشتهر ظلم الترك فصاروا يقتلون الناس ، وانحلت الأحكام ، وتصعب الوطن وضعفت الرعية ، ووقع الضعف بين المخزنجية ، وعظمت بينهم الفتنة ... (١)

ووصل الأمر إلى أن الجنود كانوا يتفقون فيما بينهم على قتل (الباى) وغيره من رجال الدولة الذين لا يحققون مطالبهم ، ويعينون حاكما من تلقاء أنفسهم (٢) .

٢ – عادة التخلص من البايات بالقتل :

شاعت هذه الطريقة حتى أصبحت تثير الكثير من التساؤلات – وقد أصبح من الجارى أن يختم الكاتب حياة كل من البايات بقوله : « إنه حكم زمنا ثم أمر الباشا بقتله » .

وفى بعض الأحيان يشير إلى أن قتل الباى والتخلص منه يرجع إلى سبب معين مثل شكوى الناس منه لانه كان يأخذ أموالهم بالباطل .(٣) أو يرجع الأمر إلى اصابته بالمرض فتعطلت أحكامه فأمر الباشا بقتله (٤).

أو أنه يشير إلى أن الباشا أمر بقتله من غير سبب . (٥) أو يشير إشارة عادية إلى أن الأمر جاء من طرف الباشا بقتله فقتل . (٦) .

ويبدو أن مسألة القتل هذه كانت منتشرة فكان الباى المقرب للباشا يستأذن فى قتل خصومه فيؤذن له . (٧) . وقد تتم عملية التخلص من الباى القديم بالقتل أو بالسم (كأس الحريق الذى يمزق الأحشاء) كما يذكر الكاتب (٨) ، وأحيانا

(١) المخطوط ص ٧٦ .
(٢) المخطوط ص ٥٧ .
(٣) المخطوط ص ١٠ (قتل وإلى باى) ، ص ١٣ (قتل أحمد خوجه باى) ، ص ٣٦ (قتل صالح باى) .
(٤) المخطوط ص ٣٨ (نهاية حكم حسن باى) .
(٥) المخطوط ص ٣٩ (قتل وزناجى باى) ، ص ٦١ (قتل أحمد باى طبال) مع أن سيرته كانت (مليحة) .
(٦) المخطوط ص ٦٢ (قتل نعمان باى) .
(٧) المخطوط ص ٨٣ .
(٨) المخطوط ص ٢١ (نهاية حياة حسن باى بوحنك) .

بالخنق [1] .

أما من ينجو من القتل فهو نادر ، والأمر لابد وراءه سبب فالكاتب يذكر أن حاج مصطفى (انكيلزباى) الذى حكم قسنطينة (١٢١٢ — ١٢١٨) لما شاع فساده أمر الباشا بعزله وانتقاله إلى الجزائر بأولاده وأهله . . وكان السبب فى فى حياته وعدم قتله مصادقة ومودة كانت بينه وبين وزراء الباشا فتشفعوا له [2] .

٣ — الدنوش :

هى — كما يذكر الكاتب — كلمة أعجمية يقصد بها الذهاب للجزائر لتقديم المفروض على (البيلك) من الزكاة والعشور ، وهذا المال يعرف (باليباشى) وعادة ينتقل الباى مرتين فى العام للجزائر لهذا الغرض ، مرة فى فصل الربيع ومرة فى فصل الخريف — وعادة يستأذن الباى فى أن يسمح له بالحضور لهذا فيمشى للعاصمة ومعه عدد كبير من رجال البيلك [3] .

وقد شرح لنا (أحمد بن إسماعيل بن صالح باى) فى مخطوطه بإيضاح أكثر هذا الأمر ، فيذكر أن صالح باى توجه (بالدنوش) إلى الجزائر على حسب العادة ووصل إلى حضرة الباشا ودفع (اللزمة) وما يتبعها من متعلقات دار السلطان ، ثم شرع فى تفريق العوائد لارباب الدولة ، فارسل إلى الخزناجى عوائده — وهى خمسة الاف محبوب ، وحصان ، وبغل جيدة ، وتمر وسمن ، وبرانس ، وسبح مرجان وعنبر ، وعطر ، وملابس محلاة بالذهب وما أشبه ، لكن استصغر أمرها فردها إليه [4].

٤ — أهم الوظائف الإدارية التى كانت موجودة وما استحدث منها :

ذكر الكاتب العديد من هذه الوظائف والعمل الذى كان يؤديه شاغلها : [5]

(١) أنظر ص ٥٥ (حسين باى باشا الجزائر مات مخنوقاً) .
(٢) المخطوط ص ٤٠ .
(٣) مخطوط ابن العنترى ص ٣٢ ، ٣٣ .
(٤) مخطوط (أحمد بن إسماعيل بن صالح باى) ص ٢١٣ .
(٥) مخطوط ابن العنترى ص ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ .
ملاحظة : أنظر ترتيب الوظائف فى الجزائر وماليتها أثناء الحكم العثمانى .
Julien; Charles André : Histoire de L'Algerie Contemporaine. 64 p. 93...94.

فهناك الكتاب الذين يختصون بكتابة أسرار الباى، ومنهم من يختص بكتابة شكايات الناس (ما يشكون منه) ، ومنهم المختص بالشؤون المالية (مدخول البايلك) — كما يعبر عنها الكاتب — ومنهم خليفة تركى المتكفل بالمال الذى يرسل من عند باى قسنطينة إلى الجزائر ، كذلك هناك اغواة الترك — وهم المتولون الشؤون المدنية المتعلقة بالأتراك ، وشراش ترك المتولون أمورهم العسكرية .

ومنهم باش أغا — المتولى أمر العرب ، وكان له نفوذ كبير فقد كان يتوسط لتعيين باى جديد فى قسنطينة ، كما كان تدخله — كما يشير الكاتب — يترتب عليه العفو عن البايات القدامى ، فلا تنفذ فيهم عادة القتل التى كانت سائرة والتى أشرنا إليها .(1) .

وقد كان من يتولى هذه الوظيفة (وظيفة باش اغا) مسؤول عن الخروج فى مقدمه الجيش عند الغزو ، وكان ينوب عن الباى فى حالة تغيبه (أى الباى) عن البيلك .

وحين وقعت قسنطينة فى أيدى الفرنسيين حرصوا على أن يتولى هذه الوظيفة أحد رجال البحرية بالنسبة لأهمية قسنطينة وميناءها (عنابة) — فكان أول من تولى هذه الوظيفة القبطان بوسنة (2) ، وهذا القبطان هو الذى عين الكاتب (محمد الصالح ابن العنترى) فى وظيفة كاتب .

ومن الوظائف الهامة الأخرى قائد الدار — وهو المسؤول عما يلزم العساكر من الارزاق والجهات .

والسراج — المسؤول عن خيل البايلك ومايتعلق بها ، والمحتسب — المسؤول عن أسعار البضائع فى الأسواق ، وضابط الشرطة — وهو الذى يعس فى الليل ليحرس البلاد من اللصوص ، وهو أول من يقابل الباى فى الصباح ليخبره بكل ما يقع فى الليل .

وقائد الزمالة — المسؤول عن شؤون العرب ويخرج عادة مع الباى — وقائد الغنم وبيده دخل البقر التى هى للبايلك ، وقائد الإبل — وبيده دخل كل الإبل التى

(1) المخطوط ص ١٩ ، ٦٣ ، ٧٤ .
(2) المخطوط ص ١٣٠ ، ١٨٠ .

هى للبايلك ، هذا بالإضافة لوظائف قاضى الخليفة ، وقاضى المالكية ، وشيخ العرب – وهى وظائف كان يشغلها بعض رجال الدين وذوى المهابة (١).

٥ – مكانة العلماء وشيخهم – الشيخ ابن الفكون :

كان للعلماء وشيخهم الشيخ ابن الفكون مكانة بارزة فى هذه البلاد – من قبل أن يبسط العثمانيون نفوذهم عليها – فكانوا هم الملاذ الذى يلجأ إليه الشعب عند النوائب . والكاتب يورد عدة مواقف كان رأى الشيخ فيها هو الحاسم

فعندما بسط العثمانيون سلطانهم على الجزائر ، وأمتنع عدد من أهالى قسنطينة وأولى الأمر بها عن الإذعان للعثمانيين – كان رأى الشيخ هو المرجع للآراء فانقاد الناس لرأيه وفتحوا أبواب البلاد ، وقد أرسل باشا الجزائر إثر ذلك يشكر الشيخ والأهالى ، وحين تعرضت البلاد لمهاجمة (القبائل) وعلى رأسها الشريف (بوادى زهور) (٢) وكان (عثمان باى) غائبا – كان الشيخ هو الممسك بدفة الأمور حتى تم النصر (٣) .

ولما تجدد القتال بعد رجوع (عثمان باى) واسفر الأمر عن قتل الباى والكثير من جنده واستيلاء القبائل على الجزائر ، وما فيها من سلاح ومال – اجتمع أهل الرأى مع الشيخ (ابن الفكون) للتشاور فى الأمر ، واستقر الرأى على الكتابة للباشا بالجزائر بتفصيل ما حدث (٤) .

وقد كان رد باشا الجزائر للمواطنين فى قسنطينة ينصحهم بأن يكونوا يداً واحدة مع (سيدى الشيخ) فإنه – كما يقول لهم فى خطابه – عصبتكم فى نوايبكم (٥) وكان باشا الجزائر نفسه يلجأ الى الشيخ فى الأزمات فحين تدب

---

(١) المخطوط ص ١٠٦

(٢) المخطوط ص ٥ ، ٧ ، (وملحق هذا البحث) .

(٣) المخطوط ص ٤٢ وما بعدها .

(٤) أنظر الرد الوارد للسيد الشيخ ابن الفكون و لأهالى قسنطينة من باشا الجزائر – رداً على خطابهم فى هذا الشأن (المخطوط ص ٤٨ ، ٤٩) وملحق البحث .

(٥) المخطوط ص ٥٠ (وملحق هذاالبحث)

الفتنة بين الجنود ، ويقتلون أمراءهم يطلب منهم التكاتف ، ورغم أن باشا الجزائر يهدد الجنود بسبب خروجهم عن النظام لكن الشيخ يستكثر هذا الأمر ، ولا يقر قتل كل هؤلاء الجنود ، وإن كان لا يعارض فى قتل رأس الفتنة الذى شق عصا الطاعة ، وجاوز الحد . على أن يكتب أهالى قسنطينة بعد ذلك لباشا الجزائر ليستعطفوه ليعفو عن العساكر [1] .

وحين يفكر باى قسنطينة (جافر باى) فى شق عصا الطاعة على باشا الجزائر لأن الباشا طلب قتل الأتراك كلهم فى قسنطينة لا يوافقه الشيخ على هذا حتى لا يعرض الباى نفسه والبلاد للنكبة .

وقد أثبتت الأحداث أن رأيه سليم . وقد كلف هذا التفكير الذى وصل لعلم الباشا — جافر باى — حياته [2] ، ولما دخل الفرنسيون الجزائر واضطربت الأمور فى قسنطينة لجأ الأهالى إلى (الشيخ ابن الفكون) فتقدم الصفوف إلى حيث (باى قسنطينة) وتعهدوا له بمساندته والوقوف خلفه على شرط أن يدبر أمور البلد بالعدل [3] .

وكان الفرنسيون قد استطاعوا بقوتهم البحرية أن يضيقوا الخناق على (عنابة) ، وأضطر أهلها للخضوع لهم مما أوغر صدر باى قسنطينة (الحاج أحمد باى) ضدهم فتصدى (الشيخ ابن الفكون) للأمر ، وأوضح للباى الموقف ونصحه بمحاولة حل المشكلة بالتفاوض مع الفرنسيين بشأن (عنابة) وقسنطينة معاً [4] .

وحين ثار الحاج (أحمد باى) ضد أهل قسنطينه بسبب سعيهم للاتفاق مع الفرنسيين تصدى له الشيخ (ابن الفكون) وأوضح له أن أهل قسنطينة لم يسلموا للفرنسيين خوفاً وجبناً فقد سبق أن تصدوا المواقف حاسمة عندما هاجمهم الشريف فى (وادى أزهور) ، وكذلك حين تعرضوا لغزو العثمانيين لكن الوضع مع الفرنسيين مغاير خاصة

---

(١) المخطوط ص ٥٩ .

(٢) المخطوط ص ٦٩ ، ٧٠ وملحق البحث .

(٣) المخطوط ص ٨٨ ، ٨٩ — وملحق البحث .

(٤) المخطوط ص ١٠٧ .

بعد إستيلائهم على الجزائر فطلب الأهالى الهدنة لا يرجع لتخاذلهم .. وذكره باتفاقه معه على أن يحكم بالعدل وعدم الظلم(١) .

ولما اشتد الأمر بسكان قسنطينة ، وكانوا يحاربون بالسيف فى الوقت الذى يستخدم فيه الفرنسيون البارود والأسلحة الفتاكة — لجأ السكان الى الشيخ يستغيثون به ويسترشدون برأيه ، فنصحهم بطلب الأمان من الفرنسيين وكتب لهم خطابا بذلك سلموه الى المارشال الفرنسى فالى (Valée)(٢) .

ولم يمنح الفرنسيون الأهالى — الأمان — الا بعد أن وقع الشيخ (ابن الفكون) بأنه يضمن أن يخلد الأهالى للسكون(٣) ، وقد وجه الشيخ كلامه الى الجنرال الفرنسى بيدو (Bedeau) قائلا له : إن هذا البلد لم يدخل عنوة من قدم الزمان إلا هذه المرة — فقد مكنكم الله منه فيجب عليكم أن تعملوا الخير وتعطوا الأمان إلى ناس البلد — فبذلك يتمهد لكم الأمر وتذعن إليكم الرعية والعباد (٤)

وحين قر قرار الفرنسيين على تعيين (شيخ للمدينة) من أهلها ليدير أمورها ويلجأ إليه أهل البلد عندما يشق عليهم أمر أختاروا (حمودة ابن الشيخ ابن الفكون) لهذه الوظيفة لأصله ومكانة أسرته . فاعترض أبوه . وألح فى الرجاء ليعينوا شخصاً آخراً لتبقى أسرته ملجأ المتضايقين ، لكن أصر الفرنسيون على ذلك ، وقد أثبتت الأحداث أن اختيارهم كان حكيما فقد أدى ذلك لإنقياد مشايخ البلد والمواطنين جميعا لهم ودخولهم فى طاعتهم (٥) .

٦ — المنشآت العمرانية فى قسنطينة والجزائر :

يشير المخطوط عند تتبعه لحياة بايات قسنطينة — لما تم فى عهد كل منهم من منشآت — فجامع رحبة الصوف مثلا بنى فى عهد رحم باى (١٠٧٧—١٠٨٣) ، كذلك بنى صالح باى (١١٨٥ — ١٢٠٦) قنطرة بجهة قسنطينة ، وهو الذى حصن البلاد ،

(١) المخطوط ص ١١٨ ، ١١٩ .
(٢) المخطوط ص ١٣٢ — وملحق البحث .
(٣) المخطوط ص ١٣٩ .
(٤) المخطوط ص ١٤٠ .
(٥) المخطوط ص ١٤٤ ، ١٤٥ .

وشيد مرسى (السكيكدة) وجعل له شهرة كبيرة – أما القصبة بالجزائر ، فالذى جدد بناءها ونقل كل الخزائن إليها هو حسن باشا [1].

٧ – العملة فى الجزائر :

يشير المخطوط فى أكثر من موضع إلى العملة المستخدمة فى ذلك الوقت ولا شك فى أن هذا بالإضافة إلى ما جاء بمخطوط أحمد بن إسماعيل بن صالح باى يخدم المهتمين بهذه الدراسات .

وقد أشار المخطوط إلى أمر هام ، هو أن باشا الجزائر حين اضطربت الأمور الإقتصادية فى البلد لجأ إلى إنقاص المعدن النفيس فى كل ريال بما يوازى ربع القيمة الأصلية [2] .

وهذا يعطينا فكرة عما وصلت إليه الحالة الإقتصادية من تدهور قبل الغزو الفرنسى

٨ – هجوم الفرنسيين على عنابة وقسنطينة [3] :

كان نزول الفرنسيين فى (سيدى فرج) فى ٢٢ يونيو ١٨٢٧ إيذانا ببدء الكفاح المسلح ضدهم ، وكما يقول كاتب المخطوط – « بعث الداى حسين باشا إلى كل بايات الأوطان يأمرهم بأن يأتوا بالجنود و (القومان) لأجل مقاتلة الفرنسيين – فاستقل كل واحد منهم بمحلته ، وكان الفرنسيون قد نزلوا فى البر بعساكرهم وآلة حربهم – فعند ذلك اتسع الميدان واشتد القتل عدة أيام وليالى . . .فكان (الفرنسيون) أول فرصة نالها حين تمكن بمحله (باش أغا) وأستولى عليها ، وأنفكت يد المسلمين

---

(١) القصبة – هى القلعة ، وقد لعبت دوراً كبيراً عند مهاجمة الفرنسيين للجزائر ، وكان سقوطها إيذاناً بتسليم الجزائر .

– أنظر Julien, Charles, André : Op. cit. pp. 53 - 55

وانظر مخطوط أحمد بن إسماعيل بن صالح باى : ذكر طرف يسير متعلق بأيام صالح باى الأزميرلى بولاية الجزائر ص ٢٢٢ .

(٢) المخطوط ص ٦٤ ، ٦٥ .

(٣) يمدنا المخطوط بمعلومات هامة جداً وتفصيلات جديدة عن مقاومة عنابة وقسنطينة للفرنسيين وهو فيما يتعلق بأحداث هذه الفترة فريد فى بابه

منها فلما وصل الخبر إلى الباشا تحير . . . ولما تمكن الفرانسيس من (برج ملاى أحسن) عظم عليه الأمر ، وغاب عنه الفكر فبعث إلى (ناس) الجزائر من العلماء والأكابر فتقدموا إليه ، واجتمعوا كلهم لديه فقال لهم صمموا ودبروا فان الفرانسيس أخذ بر (ملاى أحسن) ، وهذا البرج هو قاعدة الجزائر وحصنها ، فقالوا له : نقاتل بأنفسنا وأولادنا حتى نموت بأجمعنا ولا نسلم فى بلادنا فاستحسن كلامهم وشكر صنعهم . (١) »

ولما دخل الفرنسيون مدينة الجزائر — رجع كل باى إلى وطنه (مكموداً) (٢) وأما الحاج أحمد باى قسنطينة — فقد اجتهد فى ترتيب عساكر (زواوة) ثم تصدى لأسوار البلاد فجدد مبانيها وحصنها بالمدافع (٣) ، على أن بعض ضعاف النفوس من الأهالى انتهزوا فرصة دخول الفرنسيين فى الجزائر فبعثوا إلى (إبراهيم باى) وكان الباشا قد عزله من قبل — فطلبوا منه أن يقدم إليهم ويكون هو الباى المتولى أمرهم — وأدى ذلك لنشوب الحرب بين (أحمد باى) و(إبراهيم باى) فى وقت كان يجب أن تركز الجهود فيه فى مواجهة الفرنسيين - وقد انهزم إبراهيم باى فى هذا الصراع . وفى هذا الوقت تلقب الحاج أحمد بلقب (الحاج أحمد باشا) وضرب سكة خاصة باسم (سكة قسنطينة) (٤) .

أى أنه أعلن استقلاله عن الجزائر . على أن الثورة لم تلبث أن نشبت فى الجزائر ضد المستعمرين الفرنسيين وتزعم حركة الكفاح الوطنى (الأمير عبد القادر ابن الشريف محيي الدين شيخ الطرق القادرية) .

وبدأت هذه الثورة صغيرة لكنها لم تلبث أن اشتدت ، وطلب الفرنسيون من أحمد باى قسنطينة أن يتخلى لهم عن (عنابة) التى أصبحت تحت رحمة مدافع الأسطول الفرنسى ، وأن يعترف بالسيادة الفرنسية فرفض ذلك ، بل نظم قوة من الجنود ليرسلها إلى عنابة . . . لكن أهل عنابة كتبوا له موضحين أنهم

(١) المخطوط ص ٨٤ ، ٨٥ .
(٢) المخطوط ص ٨٧ .
(٣) المخطوط ص ٩١
(٤) المخطوط ص ٩٢ — ٩٥ .

لا قوة لهم ولا حول ، ولا طاقة لهم على منازلة الفرنسيين ، وأنهم أصبحوا بين شقي الرحى ، فهم يطلبون منه أن يسرع فى اتخاذ الأجراءات التى يتطلبها الموقف وتؤدى لاستقرارهم . [1] .

وقد أنبرى الكبار والعلماء من أهل قسنطينة ليوضحوا للحاج أحمد باى الوضع المتعلق بعنابة ، فقد اجتمع الشيخ بن الفكون وقائد الدار إبن الابجاوى ، والسيد مصطفى بن حلول قاضى الحنيفة والسيد أحمد العباسى قاضى المالكية ، والسيد محمد ابن حلول باش كاتب ، وسى محمد بن الحاج شيخ العرب ، وسى محمد العربى ابن عيسى الناظر ، وكما يقول الكاتب — انهم احتجوا عليه بالدليل الأصح والقول المفيد الواضح .. قائلين له : يا حاج أحمد باى الحق مع ناس عنابة من كونهم موالين البحر ، وما عندهم قدرة يدفعون بها الضرر[2].

هذا وقد ظلت عنابة صامدة ، وكانت قوات الحاج احمد باى تحت قيادة نائبه (على بن عيسى) تناوش الفرنسيين ، وذلك كما يقول المخطوط فى أول عام ستة واربعين ومائتين والف بعد أن صار (لناسها) من تشتت ونهب ارزاقهم ، وصارت عنابة ذاتها (قفار) وما بقى بها الا العاجزون عن الفرار ، وفى ذلك الوقت جاء يوسف إلى عنابة ودخل فى القصبة وتمكن بها [3] .

وبعد أن استولى الفرنسيون على عنابة عينوا (يوسف) باياً عليها [4] ، ويشير المخطوط إلى أن الحاج (أحمد باى) ظل بعد سقوط عنابة يمر بالمناطق الواقعة بين (عنابة) وقسنطينة ليثبت لسكانها وقاطنيها قوته[5] ، كما يشير إلى انتشار وباء الطاعون فى قسنطينة فى هذا العام (١٢٤٦ هـ) وإلى خيانة افراد من سكان قسنطينة واتصالهم بيوسف ودعوته لمهاجمة البلد عـلى أن يكونوا عيوناً له ذلك[6] ،

(١) المخطوط ص ٩٨ وصورة الخطاب مرفقه بملحق البحث .

(٢) المخطوط ص ١٠٦ — ١٠٧

(٣) المخطوط ص ١٠٨ — ١٠٩ .

(٤) تاريخ حياة (يوسف) هذا ، وما أداه للفرنسيين من خدمات ، وارتداده عن الإسلام واعتناقه الكاثوليكية فى (١٨٤٥) يرويها بالتفصيل جوليان أنظر :
Julien; Charles André : Histoire de L'Algerie Contemporaine. 64 p. 93...94.

(٥) المخطوط ص ١١٤ ، ١١٥ .

(٦) المخطوط ص ١١٥ .

ويشير إلى مهاجمة (يوسف) وقوة كبيرة من الفرنسيين لقسنطينة ومحاولتهم دخولها من جهة (باب القنطرة) لكن أهل قسنطينة نادوا (بالجهاد – الجهاد) فانهزم عسكر الفرنسيين ، وفروا هاربين ، وحاولوا مرة أخرى مهاجمة البلدة من جهة (الرحبة) لكن انقلبت عليهم الهزيمة مرة أخرى . . فرحل يوسف راجعاً إلى عنابة (١) .

ويزعم كاتب المخطوط أن الحاج (أحمد باى قسنطينة) بعد ذلك تجرأ على قتل الكثيرين ظلما زاعماً إنهم أرادوا التواطؤ مع الفرنسيين – لكن (الشيخ إبن الفكون) تكلم مع الباى مذكراً إياه بجهاد أهل قسنطينة حين ظهر الشريف (فى وادى أزهور) ، ولم يكن معهم فى ذلك الوقت خليفة ولا أمير ، وأيضاً حين تعرضوا لمهاجمة جيش تونس ، فلم يسلموا بلدهم . . واليوم يعانون الكثير بعد أستيلاء الفرنسيين على مدينة الجزائر .

فكف الباى مدة عن قتل العباد ، وخشى أن تقوم عليه فتنة من الناس (٢) ويشير إلى أن الحاج (أحمد باى) بعد ذلك قر رأية على ارسال قوة إلى(قالمه) لمناوشة الفرنسيين بها ، وكان جنوده يهدمون المبانى ويخربون مزارع القبائل القاطنة فى الطريق – مما دفع بأصحاب العقول – كما يقول – الكاتب ليكتبوا إلى الحاج أحمد باى وقائده ابن عيسى يدعونهما للتأنى والتبصر فى عواقب هذه الأمور وينهونهم عن فعل القبيح من أخذ نساء الناس والزنى ، وأكل أموال الناس بالباطل وقالوا لهم إذا لم تنهوا هذه الأعمال فإن الله سيسلط عليكم وعلى أهل البلد بسببكم مصيبة سوداء(٣) ويذكر أن بعض الصالحين تحدثوا من قبل عما سيصيب قسنطينة فأحلهم ذكر عنها :

---

(١) المخطوط ص ١١٦ ، ١١٧ .

(٢) المخطوط ص ١١٩ . ملاحظة : يذكر جوليان : أن الباى أحمد أكد فى مذكراته أن الدافع الرئيسى لمقاومة أهل قسنطينة للفرنسيين – كان وجود (يوسف) ضمن القوى الفرنسية ، وأن الكل كانوا يدركون مدى كره الأهالى ليوسف إلا الجنرال (كلوزل) الذى كان لا يدرك ذلك ويصر على عدم اعتباره لهذه المشاعر ، ويذكر ان الضابط (Pellessier de Reynaud) الذى يعتبر من أحسن المدركين لحقيقة الأمور فى الجزائر – كتب خطاباً لإحدى الصحف بعنوان (المغامر يوسف) يقول فيه . « الآن يوسف الذى نهب تلمسان ، وسلب قبائل بونة (عنابة) والذى تسبب فى فشلنا فى قسنطينة هذا الشخص الغارق فى الدم والنهب يجب أن يكون موضع احتقار كل الناس الشرفاء – أنظر .
Julien; OP. cit. P. 134

(٣)المخطوط . ص ١١٩ ، ١٢٠ .

« حصنت عليها بسبع أقفال وتقلقلت من جنبها » ويشرح الكاتب بنفسه هذا المثل بأنه يبين أن الأعداء لا يدخلونها من أبوابها المحصنة لكن من ناحية جانبية(١)، وقد عاودت فرنسا هجومها على (عنابة) فخرجت (عمارة الفرنسيين) كما يعبر عنها المخطوط من (عنابة) و معها ولد (سلطان فرنسا — دوق دى نمور) والمرشال (دافيد جون) ونزلوا واد يسمى (مجاز عمار) فشرعوا فى تقطيع الأشجار لتوسيع الطريق لجيوشهم (٢) .

ولما وصلت الأخبار إلى الحاج (أحمد باى) جهز (محلة عسكرية) وخرج من قسنطينة فنزل بموقع يسمى (فج سيلة) وكتب إلى أهل البلاد ليأتوا بالخبز ، وارسل الرقباء والجواسيس الى (مجاز عمار) يسعون إليه بالإخبار — وفيما هم كذلك إذ بجواب من عند (ولد السلطان، والمارشال المذكور) يدعوان فيه الحاج أحمد باى للتسليم حقنا للدماء . . وكان الذى أتى بالخطاب هو (ولد بوجناح) من كبار يهود الجزائر (أشرنا إلى أن المراجع الفرنسية تشير إليه باسم) (Muchi Bushnach)(٣).

ويذكر كاتب المخطوط أن السلام مشى بين الطرفين مراراً دون نتيجة ، ولذا صمم الحاج أحمد باى أن يبعث أحد موظفيه ليأتيه بالاخبار الصحيحة ، ولينظر (عمارة الفرنسيين) هل هى قوية أم ضعيفة ، وقد وقع الاختيار على (سى محمد بن العنترى) والد كاتب المخطوط لهذا الغرض — لأنه كان موضع ثقته مشهودا له بالتعقل وأوصاه أن يتكلم مع الفرنسيين ، وأن يوضح لهم أن الصلح لن يكون إلا برفع أيديهم عن (عنابة) و (قالمه) و (مجاز عمار) (٤) .

ويذكر المخطوط أن هذا الطلب أثار الفرنسيين ، وذكروا له «إنهم استولوا على قالمه ، ومجاز عمار بالقوة (بالذراع) وأن الحديث الآن عن قسنطينة(٥)».

---

(١) المخطوط ص ١٢٠

(٢) المخطوط ص ١٢٣ المقصود (Duc de Nemours) (— أما الجنرال (Damremont) فهو الذى حل محل (كلوزل) فى القيادة .

(٣) المخطوط ص ١٢٥

(٤) المخطوط ص ١٢٦ .

(٥) المخطوط ص ١٢٧ .

فلما عاد (ابن العنترى) واخبر بضخامة قوة الفرنسيين — صدقه الجميع إلا (ابن عيسى) الذى أصابه الحماس ، فكتب للحاج أحمد بأى يتهم (ابن العنترى) بأنه يتكلم عن قوة الفرنسيين بين الناس ليرهب أهل البلاد » فلما وصل هذا الجواب إلى حاج أحمد باى (تغير خاطره على ابن العنترى وساء ظنه به فمكث بعد ذلك نحو ثمانية أيام ومات وقد تحقق عند الناس أن الحاج أحمد باى قتله خفية بالسم)[1] .

أما الجنرال (دامريمون) والفرنسيون فانهم دخلوا من (مجاز عمار) واتجهوا صوب قسنطينة ، كما رحل الحاج أحمد باى من (فج سبلة) وتقابل الطرفان فى (عقبة النارى) ومن هناك بدأت المعارك بين المسلمين والفرنسيين ، وكان هجوم الفرنسيين على مدينة قسنطينة من ناحية (المنصورة) وناحية (الكدية) وقد أصابت قذيفة الجنرال (دامريمون) فأردته قتيلا ، فقاد الهجوم الفرنسى بعده الجنرال فالى (Valeè) الذى يصفه كاتب المخطوط بأنه كان (صاحب حرب وفطانة) واستطاع بخطته أن يركز الهجوم على سور المدينة حتى هدم (سار فى العدم) ، وأرسل القائد الفرنسى خطاباً إلى أهالى قسنطينة يدعوهم للتسليم[2] .

ولما وصل الخطاب إلى (ابن عيسى) وغيره من قادة جيش الباى تعمدوا تأخير الرد على الخطاب إلى أن يعيدوا بناء سور المدينة من جديد ثم أرسلوا ردهم الذى أفادوا فيه أن الأمر ليس بيدهم لكن بيد (الحاج أحمد باى) وأن على الفرنسيين أن يتصلوا به هو شخصياً[3].

فما كان من الفرنسيين إلا أن شددوا الحصار على المدينة وعاودوا ضربها حتى هدم سورها مرة أخرى ، فهرب (ابن عيسى) من ناحية الطابية ، ولجأ أهل البلدة إلى الشيخ ابن الفكون يطلبون النصحية فنصحهم بطلب الأمان .

فقابل وفد منهم الجنرال بيدو (Bedeau) الذى أمنهم على أنفسهم وأولادهم ونسائهم ، على شرط أن يسلم كل فرد من أهل البلد سلاحه فى القصبة ، وأن

---

(١) ص ١٢٩ .

(٢) ص ١٣٢ و نص الخطاب بملحق البحث .

(٣) ص ١٣٤ .

يضمن (الشيخ ابن الفكون) امتثالهم للهدوء والسكينة ، وهكذا سلمت قسنطينة للفرنسيين [1] .

ودخل الفرنسيون قسنطينة ، واستولوا على كل ما كان بها من ذخائر ، واستقر كل واحد من كبار قادة (الفرنسيين) فى دار من دور المدينة التى هجرها سكانها :

أما الحاج (أحمد باى) فقد انسحب إلى الصحراء ، ووصل إلى مدينة (بسكرة) يستنفر أهلها لقتال الفرنسيين ، ثم انسحب إلى جبال (أوراس) حيث ترك النساء والمال وانتقل إلى (الحراكتة) وتعقبه الجنرال (فالى) ، وانتقل إلى منطقة (اللبير) ثم (نجع أولاد دراج) ثم (جبل أولاد سلطان) وهكذا صار يتنقل بين (لاعراس) من جبال (أولاد على) إلى (جبال أولاد سلام) إلى (جبال أولاد فاطمة) .

ويشير الكاتب إلى حادثه ظريفه ــ فيذكر إنه لما عزم دوق دى نمور على العودة لفرنسا طلب منه بعض أصحاب الوظائف أن يسافروا معه إلى باريس فأجابهم لما أرادوا ــ فأقاموا فى باريس أياما شاهدوا فيها دولة فرنسا وملكها وترتيب عساكرها [2] وقد عاد الدوق مرة أخرى لزيارة قسنطينة . ويفيض المخطوط فى ذكر حفل استقباله والترتيبات التى عملت للترحيب به ، وأورد عدة قصائد أنشدت فى هذه المناسبة [3] .

وعين الجنرال بيدو Bedeau حاكماً عاما فى رمضان (١٢٦٠ هـ) : وكانت قبائل جبال أوراس لا تدين بالطاعة للسلطة العثمانية فى قسنطينة ، فاختار الجنرال الفرنسى شخصاً من عائلة لها عصبيه هناك هو (محمد ولد سيدى بلقاس) فعينه قائداً بمنطقة (منعة) وهى قلعة حصينة بمنطقة أوراس فأدى ذلك لاستتباب الأمن فى هذه البلاد [4] .

وقد أشار الكاتب إلى عدة ثورات قامت فى وجه الفرنسيين لكنهم قضوا عليها ، منها ثورة (الشريف) الذى ظهر فى المناطق الساحلية لكن استطاع الفرنسيون

(١) المخطوط ص ١٣٩ .
(٢) المخطوط ص ١٧٣ .
ملاحظة : إن هذا من أساليب الإستعمار ليغرس فى نفوسهم حب فرنسا وما بها من مباهج .
(٣) المخطوط ص ١٨٢ – ١٨٥ .
(٤) المخطوط ١٧٦ .

القضاء على حركته ،وكذلك قام بناحية (سطيف) بأرض (عموشة) رجل تسمى باسم (مولاى محمد) ودعا الناس إلى حرب الفرنسيين ولكن الجنرال (بيلو) كتب رسائل إلى القبائل التى كانت تساند هذا الرجل محذراً لهم من نتائج هذا الامر فانفضوا من حوله .

هكذا تعرض المخطوط لهذه الفترة من تاريخ قسنطينة، وسجل الأحداث التى مر بها تاريخ هذه البلاد حتى عام ١٨٤٤ ، والكاتب يظهر فى كتابه تحامله الواضح على الاتراك وحكامهم كما يبدو اتجاهه إلى ممالأة الفرنسيين.

ولعل هذا الاتجاه لا يبدو غريباً منه بسبب الظروف التى احاطت بمقتل والده والتى أشار إليها هو وأشرنا نحن إليها فى تحليلنا للمخطوط ولأنه كان هو نفسه موظفاً فى ظل الحكم الفرنسى

ولكن لاشك فى أن المخطوط يقدم لنا الكثير من المعلومات والتفاصيل عن أحداث هذه الفترة من شخص كان متصلا بالأحداث ، كما استعان — كما ذكرنا فى البداية — بما سجله أناس آخرون اشتركوا فيها [1] .

(١) المخطوط ص ١٧٩.

ملحق البحث

أوردنا هنا بعض الوثائق الهامة التي وردت في مخطوط ابن العنترى ، مع تعليق على كل وثيقة منها — وقد أوردنا الوثائق بنصها كما وردت في المخطوط المذكور :

١

خطاب باشا الجزائر إلى الشيخ ابن الفكون — يشكره لنصحه أهل قسنطينة بالإذعان للأتراك وفتح البلاد لهم .

تاريخ الخطاب : غير مؤرخ (المخطوط ص ٥ ، ٦)

الحمد لله

إلى معالم العالم المشهور الخير المبرور معدن الفضل المصون سيدى الشيخ ابن الفقون . أما بعد السلام عليكم والسؤال الكثير عنكم ، وعن من (انتما) إليكم وانتسب إلى جانبكم .

فقد بلغنا أنك أشرت على ناس قسنطينة بالتدبير المفيد والرأى الصائب الرشيد فكان في ذلك حقن دمائهم ، وزوال الخلاف والهرج بينهم ، (فجازاك) الله فأحسن الجزاء وضاعف لك الخير والثناء ، وما أنت إلا حبيبنا وصديقنا من كونك تسعى في الخير والصلاح وترشد العباد للفلاح والنجاح ، وثم نلتمس منك دعاء الخير في كل خطب وزمان وفي كل ركب ، وكن ببال من أولادك الترك — والسلام .

كتب بأمر الباشا بالجزائر .

٢

خطاب باشا الجزائر إلى أهالي قسنطينة – يشكرهم لطاعتهم للدولة العثمانية وإتباعهم ما أشار به الشيخ ابن الفكون .

تاريخ الخطاب : غير مؤرخ (المخطوط ص ٦ ، ٧)

الحمد لله

مكتوبنا هذا يتصل بيد ناس قسنطينة الخاص والعام – السلام عليكم ، والسؤال عنكم وبعد فإنكم عملتم (مليح) وبتدبير (لائق) من كونكم سلمتم بلد قسنطينة إلى الترك من غير ارتياب ولا شك ، مراعاة للدولة العثمانية ، وطاعة لتلك الحضرة العلية ، وآثرتم العافية على الفتنة وحقن الدماء ، واجتناب الشقة فنعم ما صنعتم ، وخير ما عملتم ، إذ نحن وانتم فى حكم الدولة المذكورة ، وفى طاعة تلك الحضرة المبرورة .

وعليكم باتباع سيدى الشيخ بن الفقون والانقياد إلى رأيه المصون وما انتم الا أولادنا والسلام .

كتب بأمر باشا الجزائر

٣

خطاب باشا الجزائر للشيخ ابن الفكون – يشكره لصيانة البلاد أثناء خطر (الشريف والقبائل) .

تاريخ الخطاب : غير مؤرخ (المخطوط ص ٤٨)

إن العالم الأشهر الخير ، الأنور مأوى القليلين ، وملجأ (الضعفى) والمساكين العارف بجميع العلوم والفنون سيدى الشيخ إبن الفكون .

السلام على مقامكم الرفيع ، وشخصكم الرايف البديع ، ورحمة الله تعالى وبركاته ما دام الفلك وحركاته – أما بعد . . .

فإنا نستكثر خيرك من شأن وقوفك وصيانتك للبلاد ونصحك وحمايتك للعباد فان ذلك منك معروف ، وأنت بكمال الاحسان موصوف ، وخيرك معنا سابق ، فبا لأحرى أن يكون بالزيادة لاحق ، ثم نلتمس منك الدعاء الصالح الجالب لنا ولكم المنافع والمصالح ، وما انت إلا حبيبنا وصديقنا والسلام .

كتب بأمر الباشا بالجزائر

٤

خطاب باشا الجزائر لأهل قسنطينة بعد معركة (وادى ازهور) التى هزم فيها الشريف جيوش قسنطينة ، وقتل الباى (عثمان باى) واستولى على الخزائن وما بها من سلاح ومال .

تاريخ الخطاب : غير مؤرخ (المخطوط ص ٤٩ ، ٥٠)

إلى العلماء الأبرار وأكابر أناس قسنطينة الأخيار من الخاصة والعامة أما بعد :

السلام عليكم والسؤال الكثير عنكم وعن أحوالكم فقد كنتم خبرتمونا بموت (عصمان باى) وفناء العساكر ، وتشتيت الخزائن والأمحال ، وخوفكم من رجوع الشريف إليكم :

فاعلموا يا أولادنا وأحبائنا أن كل ذلك تقرر فى علمنا — والآن نعلمكم ويكون متحقق عندكم إن كان مات الباى فانا رجعنا باى أخر أحسن منه ، وإن كان ضاع العسكر فإن البحر مازال يولد عساكر ، وإذا تشتتوا الخزائن فانه عندنا من نعمرهم ولا تخافوا من رجوع الشريف إليكم فلا ينال منكم ، وكونوا هانئين مطمئنين .

ثم نستكثر من خيركم ، ونقر باحسانكم من كونكم وقفتم وقوف الخير والاجتهاد حتى دفعتم العدو عن البلاد فنعم الصنيع المستفاد — ثم نوصيكم إنكم تكونوا حالا واحداً مع سيدى الشيخ فإنه عصبتكم فى مهماتكم ومرشدكم فى نوايبكم .

وهذا ما منا إليكم — وأنتم أحبابنا وأولادنا والسلام .

كتب بأمر الباشا بالجزائر .

٥

خطاب باشا الجزائر إلى الشيخ ابن الفكون ، وأهالى قسنطينة والديوان بشأن الجنود الذين خرجوا عن النظام ، فقتلوا باى قسنطينة (على باى) و (باش أغا) الجزائر وعينوا واحدا منهم (أحمد وشاوش) حاكما عليهم .

تاريخ الخطاب : غير مؤرخ (المخطوط ص ٥٨)

الحمد لله

جوابنا هذا يتصل بيد أحبابنا وأولادنا ، وأولهم سيدى الشيخ ابن الفكون ثم العلماء ، ثم كبار الديوان ، ثم ناس البلاد ، السلام عليكم والرحمة والبركة — فى حالة السكون والحركة أما بعد — فقد اتصل بطرفنا جوابكم وأخبرتمونا فيه بموت باش أغا ، وعلى باى وقتلوهم أصحاب الفساد والبغى ، ولكن نعلمكم ويكون متحققا عندكم أن ذلك العساكر حين ظهر فسادهم انعدمت نتيجتهم فلا خير فيهم ولا حاجة لى بهم ، وإنى قد أهدرت دمهم فبادروهم وأقتلوهم وأقطعوا رءوسهم والسلام

كتب بأمر الباشا بالجزائر

٦

خطاب باشا الجزائر (حسن باشا) إلى أهالى قسنطينة (من العرب خاصة) يوضح أمره بقتل الأتراك الذين عاثوا فساداً . لأن (جافر باى) كان قد أذاع حين وصله الأمر أن الباشا عازم على الإيقاع بالترك ثم العرب بعدهم .

تاريخ الخطاب : غير مؤرخ (المخطوط ص ٩٦)

الحمد لله

جوابنا يتصل بناس قسنطينة من العرب خاصة — أما بعد فقد سمعنا بذلك الأمر الذى هو (جافر باى) يشيع فيه ، وتحقق عندنا الكلام الذى عزكم به فاعلموا يا أولادنا أنا ما عندنا بغض من جانبكم ، ولا نقصد بالشر إليكم ، وإنما قصدى فى الترك ، نقتل منهم أولاد الحرام ، ونقطع دابر الزنادقة اللئام حتى يستقيم حالهم ، وإلا نفنيهم عن آخرهم .

وأما أنتم يا أولادنا إن كنتم فى طاعتنا فما عليكم إلا الأمان والإحسان منا — وإن كنتم فى طاعة (جافر باى) فصمموا فى عقولكم ، وأنظروا فيما يليق بكم والسلام

بأمر الدولاتلى الباشا بالجزائر

٧

خطاب أهل عنابة إلى أحمد باشا (باى قسنطينة) بعد أن دخل الفرنسيون الجزائر . . وتلقب باى قسنطينة بلقب باشا ونقض سيادة الجزائر

تاريخ الخطاب : غير مؤرخ (المخطوط ص ٩٨)

بعد التعظيم والتفخيم ... إلى سيدنا حاج أحمد باشا فى قسنطينة– نعاملك بالأمر الذى هو سابق ومتحقق فى علم سيادتك إنه حين كان الأتراك صالحين (أى لهم الصوله) نحن رعيتهم ولطاعتهم منقادين وممتثلين ، واليوم قد انقضت دولتهم واستولى الفرانسيس على مملكتهم ، ونحن ناس ضعاف لا قدرة لنا على المقاتلة ولا قوة لنا على المدافعة ، وهذه العمارة الذى أرسلت إلينا افجعت أولادنا وأحرقت أكبادنا ، فان كنت ارسلتها إلى إبراهيم باى – فانه جاء إلينا برأسه طالبا النجدة لنفسه ، لاعنده حرب يقومه ولا عسكر يحتمى به–وإن كنت أرسلتها إلىالفرانسيس نحن رعية لمن غلب ، و هذه (عنابة) هى الان فىحكم الفرانسيس ولا محالة ، ونحن لا طاقة لنا على نزعها من يده ولا قدرة لنا على تسليمها إليك ، ولكن نطلب منك الشرع بأن تعمل لنا التأويل الذى يكون به حالنا ويثبت به إستقرارنا فى بلادنا .

٨

خطاب من دوق دى نمور (Duc de Nemours) والجنرال دامريمونت (Damremont) للحاج أحمد باى .

تاريخ الخطاب : غير مؤرخ (المخطوط ص ١٢٥)

يا حاج أحمد باى نحن قدمنا بعمارتنا وقاصدين بلد قسنطينة من غير شك ولا ريب ، وإن كنت فى السابق طلبت الصلح ، الآن هذا هو وقت الكلام فخمم وأنظر صلاحك – وأما الفرانسيس فإنه دائما يحب يعمل الخير ، وما يرضى بموت العباد لأننا حين ننزل على قسنطينةلازم يموت الكبار والصغار ويترمل النساءوتنهدمالديار .

فإن كنت صاحب عقل أنظر وخمم فى مصالح المخلوقات :

والسلام .

. . - . . .

خطاب المارشال فالى (Valeé) إلى سكان قسنطينة يدعوهم للتسليم ويتعهد بحماية المساجد وعدم التعرض للنساء والأولاد وأرزاق الأهالى وأملاكهم .

تاريخ الخطاب : الأربعاء ١٣ من شهر رجب ١٢٥٣ (المخطوط ص ١٣٢)

الحمد لله ولا شريك له فى ملكه — ولا يعبد سواه سبحانه جل شأنه وتبارك :

من سعادة كبير الجنرالية آمر المحال الفرانسية إلى قضاة وعلماء ومرابطين وأعيان وكل أحد من سكان مدينة قسنطينة كبير وصغير يليه — إعلامكم إن مدافعنا تراها على أساس أسواركم فلا بد أننا نهدمها وندخل مدينتكم إن شاء الله السميع العليم وهو على كل شئ قدير

فاذا شئتم تمنعوا عنكم ورود هذه الداهية البلية العظيمة — فلا بد منكم أن تبعثوا إلىَّ قبل دخولى إلى بلادكم كم رجل من كبرائكم الحكماء العقلاء لأجل أن نتحدث معهم مشافهة على ذلك وعلى ما فيه خيركم وصلاحكم مادام معكم الوقت ، وإذا فعلتم ذلك فها إنى أقسم لكم بالله العظيم والله الكريم أن نحرم صوامعكم ونسائكم وأولادكم وارزاقكم وأملاككم وتبقوا مقيمين وساكنين فى دياركم براحة سر وبال وصفاء وأطمئنان ، ونعطى طابعنا للذين نرسلوهم لعندنا لاجل مفاوضتنا معهم .

وأمان الله وأمان أنبياء ورسول الله عليهم وأنتم تعلمون جداً إننا قط ما نخدع بوعد وأماننا ، وهذا شئ مشهور على جنسنا عند جميع الملا — هذا ولا زايد والسلام

رقم فى (كديت عاتى) وكتب باذن وأمر المذكور أعلاه :

١٠

رد قائد جيش قسنطينة على خطاب المارشال (فاله) (المخطوط ص ١٣٤) .

الحمد لله تعالى وحده من عند كافة ناس قسنطينة وعلمائها وكبارها .

إلى سعادة كبير الجنرالية — أما بعد فقد اتصل بيدنا جوابك فتصفحناه وفهمنا خطابك ، وتقرر عندنا معناه واليوم نحن لم يكن معنا كلام — وإن كنت تريد الكلام فها هو مولى البلاد وهو الحاج أحمد باى نازل بقربك فارسل إليه — وتكلم معه — ولا زائد غير هذا والسلام .

١١

الاتفاق الذى تم بين (الحاج أحمد باى) والعلماء وكبار رجال البلد بعد أن دخل الفرنسيون الجزائر ، وأصبحت قسنطينة مهددة ، فاتفقوا معه على أن يحكم بينهم بالعدل

تاريخ الخطاب : أواخر جمادى الأولى سنة ١٢٤٦ . المخطوط (ص ١٩٤— ١٩٧)

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم . هذا ظهير كريم ، خطاب واضح وأمر مبارك عميم ، وإعلام صالح عظيم وهو مبارك جسيم فيه مصلحة تامة ، ومسرة شاملة عامة بحول الله وقوته وعزته وإرادته ، قد صدر ذلك وانبرم عندنا هنالك من جانب أمير البلد العظيم الأكرم الهمام الأفخم ذى الرأى السديد والتدبير الصائب السيد الحاج أحمد باى حفظه الله — بحضور العالم الجليل الخطيب الأصيل أبى عبد الله السيد محمد شيخ البلد والعالم العلامة الفهامة السيد مصطفى قاضى السادة الحنفية ، والعالم العلامة الأمثل السيد مصطفى مفتى السادة الحنفية ، والعالم الفقيه السيد عمار مفتى السادة المالكية ، والعلامة الأكمل السيد محمد العربى ناظر الأوقاف — والمعظم الأجل السيد مصطفى الخليفة ، والمعظم

الأصيل السيدا لحاج محمد قائد دار الامارة السعيدة ، والمعظم الأمثل السيد محمد بن الحاج شيخ العرب الوجيه المبجل السيد محمد بن الحلاوى أغا الدايرة ، والزكى سى محمد إبن العربى قائد الزمالة وأعيان البلد والكبراء والأمناء وكافة أهل الحرف من العرب والأصناد — سدد الله الجميع ووفق الكل إلى صالح العمل وحسن الصنع أمين .

ليعلم الواقف على هذا المكتوب الأعظم والمنشور المبارك والأفخم الجالب للخير والسرور المضاعف بحول الله وقوته للبركة والخير وبه تكون إن شاء الله عافية البلاد وصفاء العباد وعمارة الوطن ، وذهاب البؤس والمحن . وهو أن الأمير المتفق على إمارته والناظر فى كافة المصالح وعامة المطالب والمآرب هو السيد الحاج أحمد باى المذكور — لاخلاف عند أحد فى ذلك ، وإنه حرر الرعية من كافة المظالم السابقة ولا يطالبون بعزم ولا محتمة ولا جلاس ولا جابرى ولا غير ذلك من التكاليف ولا يؤخذ منهم شئ سوى الزكاة والعشرأبوجه ما أحكمه قانون الشرع العزيز للإستعانه على جهاد الكفرة دمرهم الله تعالى .

أعلم الأمير وشيخ البلد والعلماء بهذا اعلاماً تاماً شاملاعاما ، ومن أجل أن يكون هذا المكتوب للرعية أصلا فى رفع المظالم عنهم يعتمدون عليه ، وأمراً مبرماًممن ذكر عند المهمات يرجعون إليه ، والقصد بذلك ادخال السرور على المسلمين والجريان على سفن سبل المهتدين ، وعمارة الناس وإذهاب اليأس ، والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب ، ولا رب غيره ولا خير إلا خيره وهو حسبي ونعم الوكيل ، ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، فحسب الواقف عليه الوقوف عنده — وعدم المخالفة .

كتب بإذن السادات ، والأمير كما ذكر .

مراجع البحث

أولا – مصادر أصلية :

١) إبن إسماعيل ، أحمد بن إسماعيل بن صالح باى : ذكر طرف يسير يتعلق بأيام صالح باى الأزميرلى بولاية الجزائر (مخطوط بدار الوثائق بالرباط – المخطوط غير مؤرخ) – صالح باى قلد وظيفة باى (١١٨٥ هـ – ١٧٧١ م)

٢) إبن العطار ، أحمد بن المبارك بن العطار القسنطينى : تاريخ بلاد قسنطينة . (مخطوط بدار الوثائق بالرباط – ١٢٨٤ هـ – ١٨٧٠ م)

٣) إبن العنترى محمد صالح بن العنترى : الأخبار المبينة لإستيلاء الترك على قسنطينة (مخطوط بدار الوثائق بالرباط – ١٢٦٢ هـ – ١٨٤٦ م) .

ثانياً – مراجع عربية :

١) إبن أبى الضياف ، أحمد : اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان (تونس ١٩٦٣) جـ ٢ ، جـ ٣ .

٢) ابن أبى دينار : المؤنس فى أخبار أفريقيا وتونس (تونس ١٩٦٧)

٣) ابن أبى زرع ، على بن أبى زرع الفاسى (توفى ٧٤١ هـ) : الذخيرة السنية فى تاريخ الدولة المرينية (دار المنصور للطباعة – الرباط ١٩٧٢)

٤) ابن أبى زرع ، على بن أبى زرع الفاسى : الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس (دار المنصور للطباعة – الرباط ١٩٧٣)

٥) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد : كتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر جـ ٦ .

٦) ابن الخطيب : أعمال الأعلام (تحقيق العبادى ، إبراهيم الكتانى – ١٩٧٣)

٧) ابن عذارى المراكشى : البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب .

٨) ابن عبود ، محمد عبد السلام : تاريخ المغرب حـ ٢ (١٩٥٧)

٩) البكرى ، أبو عبد الله بن عبد العزيز : المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب(باريس ١٩١١)

١٠) الجزائرى ، محمد عبد القادر : تحفة الناظر فى تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر (بيروت ١٩٦٤) .

١١) جوليان ، شارل اندرى جوليان : تاريخ افريقية الشمالية (تعريب محمد مزالى ، البشير بن سلامة تونس ١٩٦٩) .

١٢) الجيلالى ، عبد الرحمن بن محمد الجيلالى : تاريخ الجزائر العام حـ ١ (الجزائر ١٩٥٥)

١٣) الجيلالى ، عبد الرحمن بن محمد الجيلالى : تاريخ الجزائر العام حـ ٢ (الجزائر ١٩٥٥)

١٤) حسن ، حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطميه .

١٥) حسن ، حسن إبراهيم حسن : تاريخ الأسلام السياسى والدينى والثقافى والإجتماعى حـ ٢ (١٩٦٨) .

١٦) حسنين ، محمد محمد : الأستعمار الفرنسى (القاهرة ١٩٦٠)

١٧) حقى ، إحسان حقى : الجزائر العربية (بيروت ١٩٦١)

١٨) الخطيب ، أحمد : الثورة الجزائرية (بيروت ١٩٥٨)

١٩) العقاد ، صلاح : الجزائر المعاصرة (القاهرة ١٩٦٣)

٢٠) العقاد ، صلاح : المغرب العربى فى بداية العصور الحديثة) (القاهرة ١٩٦٣)

٢١) العقاد ، صلاح : المغرب العربى (القاهرة ١٩٦٥)

٢٢) عنان ، محمد عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين(القاهرة ١٩٦٤)

٢٣) فارس، محمد خير فارس: تاريخ الجزائر الحديث (دمشق ١٩٦٩)

٢٤) القيروانى ، الرقيق القيروانى : تاريخ أفريقية والمغرب (قطعة حققها المنجى الكعبى) — تونس ١٩٦٨

٢٥) يحى ، جلال يحى وآخرون : تاريخ المغرب الكبير حـ ٢، حـ ٣ (١٩٦٠)

ثالثاً – مراجع أجنبية :

1. Abbas Ferhat : Le Jeune Algerien (1931).
2. Bernard Augustin : L'Algerie (Paris, 1930).
3. De Grammont, H. : Histoire d'Alger sous la domination Turque, (Paris, 1887).
4. Esquer, Gabriel : La prise d'Alger (Paris, 1929).
5. Esquer, G. : Histoire de L'Algerie (1950).
6. Hanotaux, Gabriel & Martinaux, Alfred : Histoire des Colonies Françaises et de L'expansion de la France dans le monde (Paris, 1931).
7. Hardi : Histoire des Colonies Françaises et de L'expansion de la France (Paris, 1941).
8. Henrique, Louis : Les Colonies Françaises (Paris, 1889).
9. Julien, Charles André : Histoire de L'Afrique du Nord (Paris, 1931).
10. Julien, Charles-André : Histoire de L'Algerie Contemporaine (Paris, 1964).

شركة جنوب أفريقية البريطانية

ودورها فى استعمار روديسيا الجنوبية

دكتور سعد زغلول عبد ربه
استاذ مساعد التاريخ الحديث

BRITISH SOUTH AFRICA Co.

Dr. ABDRABOU, S. Z.

Cecil Rhodes was a colonial minded man. His aim was to colnize the land south of the Zambesi river by a Chartered company. The British Government yielded to his claim and a Charter was issued on the 29th of October 1889, by which the British South Africa Company was created.

The Company created a dispute with the King of the Matabele and the Company forces forced its way in the Matabele country. After the capture of the Matabele's Capital the country was renamed Rhodesia.

The Company laid hand on most of livestock and lands of the Matabele. These deads and other offensives caused a rising in the country. The Company took violent measures to supress the rising.

The Company's period ended on the 29 th of October 1914 and its terms were renewed for ten years after which the country was acknowledged a *British protectorate.*

شهد الربع الأخير من القرن التاسع عشر تقدما ملحوظا فى نظام الشركات التجارية ذات البراءة الملكية Charter's Companies فى بريطانيا . وكان ذلك النظام يتمشى مع سياسة التوسع الاستعمارى التى كانت تتبعها معظم الدول الأوربية . وقد اختلفت الشركات التجارية الجديدة عن الشركات القديمة

التى كانت تمارس نشاطها فى القرنين السادس عشر والسابع عشر . ويتركز الاختلاف فى حظر الاحتكار التجارى ، وفرض رقابة الدولة على تصرفات الشركة ، وتدخلها فى النزاع الذى قد يحدث بين الشركة والدول الأجنبية ، وضرورة صبغ الشركة بالصبغة البريطانية . واحتفظت الدولة لنفسها بالسلطة العليا وإمكان الغاء الامتياز ، وحل الشركة فى حالة مخالفتها لشروط البراءةالممنوحة لها . وهناك تشابه بين الشركات التجارية ذات البراءة الملكية وبين الشركات التجارية القديمة حيث استخدمت الحكومة البريطانية كلا منها بصفة موقتة لفرض سيطرتها الاستعمارية دون التورط فى مشاكل الحكم وما ينتج عنها من التزامات مالية ثم تتولى الحكومة السلطة الفعلية بمجرد استقرار الوضع فى منطقة امتياز الشركة .

أولا : الدوافع التى أدت إلى إنشاء الشركة :

اجتذبت منطقة المتابيلى والماشون أنظار معظم الدول الأوربية فى أواخر القرن التاسع عشر بعد ظهور خام الذهب بها ، وصلاحيتها للاستيطان الأوربى . وفى تلك الفترة كان هناك سباق دولى للاستيلاء على المنطقة فتحرك البوير Boer من الجنوب والبرتغاليون من الشرق والألمان من الغرب فى اتجاه المنطقة للاستيلاء عليها بعد أن اجتذبهم بريق الذهب والثروة المنتظرة ، وبدءوا فى تقديم البنادق والمشروبات الروحية للملك لوبنجولا فى نظير الحصول على امتيازات استغلال الأرض والتعدين فى مملكته[1] . واستطاع بايت جروبلر P. Grobler ممثل جمهورية جنوب أفريقية البويرية توقيع معاهدة مع لوبنجولا فى ٣٠ يوليو سنة ١٨٨٧ . وبموجب تلك المعاهدت أصبح من حق جمهورية جنوب إفريقية إستغلال جزء من أرض المتابيلى ، كما تعهد لوبنجولا بتقديم المساعدة العسكرية لجمهورية جنوب أفريقية إذا ما تعرضت لهجوم خارجى ، وطلبت تلك المساعدة . ونصت تلك الاتفاقية على أن سريان نصوصها يتوقف على تعيين قنصل لجمهورية جنوب إفريقية فى مقر لوبنجولا (٢) .

(1) C.O. : no. 806/303, pp. 1—3, Moffat to Shippard, 12. 12. 87.

(2) Leyeds, W.J.: The First Annexation...; p. 390, Basil, R.: Cecil Rhodes, p. 116, Samkange S. : The Origins of Rhodesia, pp. 47—48, Mason, p. : The Birth of ..., pp. 118—119.

ثانياً : خطوات تكوين الشركة :

وصل نبأ عقد اتفاقية جروبلر إلى أسماع جون سيسل رودس J.C. Rhodes في ديسمبر سنة ١٨٨٧ (١)، وكان سيسل يعتقد أن له رسالة خاصة فى الحياة ، وأن تلك الرسالة تتركز فى ضم ما يمكن ضمه من الأراضى الإفريقية للممتلكات البريطانية ، ومد خط سكة حديد بريطانى من مدينة الرأس إلى القاهرة ، وكان إتمام ذلك المشروع يحتاج إلى وضع المنطقة تحت السيادة البريطانية(٢) ، ولذلك ما أن علم رودس بمعاهدة جروبلر حتى طلب من المندوب السامى البريطانى فى جنوب إفريقية وضع أرض المتابيلى والماشون تحت الحماية البريطانية(٣).

وتصرف روبنسون Robinson المندوب السامى البريطانى على مسئوليته ، وبعث فى ٣٠ يناير سنة ١٨٨٨ بجون موفات J. Moffat مساعده فى أرض بتشوانا إلى بولاوايو Bulawayo حيث يقيم لوبنجولا للمحافظة على المصالح البريطانية ، واقناعه بتوقيع معاهدة تحصل بريطانيا بموجبها على نفس الحقوق التى حصل عليها جروبلر وأثر موفات على لوبنجولا الذى أعلن فى أول فبراير سنة ١٨٨٨ زيف معاهدة جروبلر . وبذلك الإعلان خلا الجو لموفات ، وحصل من لوبنجولا فى ١١ فبراير سنة ١٨٨٨ على معاهدة تعهد فيها بالامتناع عن الاتصال بالدول الأجنبية أو عقد معاهدات معها أو بيع أو تخصيص جزء من أراضيه لأى فرد قبل الحصول على موافقة الحكومة البريطانية(٤) وبذلك يمكن القول أن تلك المعاهدة قد وضعت أرض المتابيلى تحت الحماية البريطانية .

وبمجرد توقيع المعاهدة بعث بها موفات إلى روبنسون الذى اعتمدها ، وأرسلها فى ٢ أبريل سنة ١٨٨٨ إلى وزارة المستعمرات البريطانية ، وبين لها أن حكومة البرتغال حاولت فرض حمايتها على لوبنجولا . ولم يكتف روبنسون بذلك

---

(1) Samkange, S. : op. cit. p. 56.

(2) Ransford,O.: The Rulers of Rhodesia, pp. 170—173, Mason, p. : op. cit. p.114

(3) Mason, p. : ibid. p. 119 ; Cambridge Hist. : S.A. vol. VIII, p. 542.

(4) P.P. : C. 5524, P.P. 1-3, 13.

(5) C.O : Afri;a South of ... no. 358, pp. 88, Robinson to Knutsford, 12. 4. 88.

بل أمر بتحريك قوات الشرطة فى أرض بتشوانا إلى قلعة إلبى Elebi . وبذلك أصبحت أرض المتابيلى محرمة على الدول الأجنبية (١) . ووافق نتسفورد وزير المستعمرات البريطانية بدوره على معاهدة موفات ، واستخدمتها وزارة الخارجية البريطانية بعد ذلك لمنع البرتغال من الاستيلاء على المنطقة ، ووصل مستعمرة أنجولا بمستعمرة موزمبيق .

الامتيازات الأجنبية فى أرض المتابيلى :

١ — امتياز سوينبورن وبينز :

ترتب على إعلان وجود الذهب فى أرض المتابيلى اجتذاب المضاربين والباحثين عن الامتيازات إلى أرض المتابيلى . وكان أول امتياز حصل عليه الأوربيون فى أرض المتابيلى هو الذى حصل عليه جون سوينبورن J. Swinbourne لاستغلال ذهب منطقة تاتى Tati فى سنة ١٨٧٠ ، ثم الامتيازين اللذين حصل عليهما توماس بينز T. Baines للتعدين فى المنطقة الواقعة وراء نهر شاشى Shashi (٢).

٢ — امتياز وود :

حصل كل من جوزيف جاريت ووه J. C. Wood وادوارد شابان E. Chappan ووليام كورت فرانسيس W. C. Francais وجان كورتيليوس فان روين J. C. van Rooyen فى مارس سنة ١٨٨٨ على تصريح من لوبنجولا للصيد فى أراضيه . ووصلوا فى تجولهم إلى لوما نجندى Lomangundi . وهناك رءوا كميات لاباس بها من الذهب مع الوطنيين فاشتروها منهم . واجتذبهم بريق الذهب فعادوا إلى لوبنجولا وحصلوا منه على امتياز للتنقيب عن الذهب والمعادن فى المنطقة الواقعة بين نهرى شاشى وماكلوتسى Maclautse من منبعهما إلى مصبهما ، واقامة الطواحين اللازمة لصهر وتشكيل المعادن واقامة المبانى اللازمة للآلات والعمال .

---

(1) C.O. : ibid. no ; 358, p. 88, B.F.O. to P.F.O.

(2) Masen, P. : op. cit. p. 112, Samkange, S. : op. cit p. 68.

وفى نظير ذلك يحصل لوبنجولا على إيراد سنوى قدره مائة جنيه استرلينى(١).

اتجه وود وشركاه بعد الحصول على الامتياز إلى مدينة الرأس لجمع المال اللازم لممارسة نشاطهم التعدينى فى أرض المتابيلى ، وفى أثناء ذلك نشط رودس واستغل نفوذه عند شبرد Shippard المسئول البريطانى فى المنطقة لمنع وود وشركاه من العودة إلى أرض المتابيلى حتى لا يثيروا حربا بين الملك لوبنجولا والزعيم خاما Khama الذى كان يعارض لوبنجولا فى ادعائه ملكيته الأرض الواقعة بين نهرى شاشى وماكلوتسى . ولما الح وود وشركاه فى الذهاب إلى أرض المتابيلى قبضت عليهم السلطات البريطانية ، وأجبرتهم على توقيع تعهد بعدم دخول الأراضى الواقعة بين نهرى شاشى وماكلوتسى . وبذلك التعهد منع وود وشركاه من ممارسة الحقوق التى خولها لهم الامتياز الذى حصلوا عليه من لوبنجولا (٢).

٣ – إمتيازوود :

استطاع رودس عن طريق الدس منع وود وشركائه من استغلال امتيازهم وبذلك أصبح الميدان خاليا أمامه ، واستغل الفرصة وبعث فى فبراير سنة ١٨٨٨ كلا من تشارلى دوتل رود C. D. Rudd ورشفورت ماجير R. Maguire وفرانسيس تومبسون F. Thompson إلى بولاوابو للحصول على امتياز لتعدين الذهب فى أرض المتابيلى ، وعن طريق رشوة واحد من مستشارى لوبنجولا ووصول شبرد إلى مقر لوبنجولا فى مظاهرة عسكرية لإظهار مدى قوة بريطانيا – حصل رود فى ٣٠ أكتوبر سنة ١٨٨٨ على الامتياز المطلوب . وبموجب ذلك الامتياز حصل رود وشركاؤه على حق التعدين فى كل أراضى لوبنجولا ، مع السلطة الكاملة لاتخاذ ما يرون اتخاذه لوضع أيديهم ، واتخاذ الإجراءات القانونية لطرد الأشخاص الذين يدخلون أرض لوبنجولا بحثا عن الذهب وامتيازات التعدين . وتعهد لوبنجولا بالامتناع عن منح امتيازات أخرى إلا بموافقة رود وشركاه ، وفى نظير ذلك يحصل لوبنجولا شهريا على مائة جنيه إسترلينى بالإضافة إلى قارب مسلح وألف بندقية ومائة ألف خرطوشة على دفعتين – الأولى منهما

(1) Samkange, S. : ibid : pp. 68—69.
(2) Samkange, S. : ibid. pp. 69—70.

وقدرها خمسمائة بندقية وخمسين ألف خرطوشة تطلب فوراً من بريطانيا والدفعة الثانية يتم تسليمها عند بدء استغلال الامتياز [١].

بحصول رود على الامتياز أرسل نسخة منه إلى روبنسون وطلب مساعدة الحكومة البريطانية فى منع دخول الأوربيين إلى المنطقة حتى لا يحدث اضطرابا بين شعب المتابيلى يترتب عليه انقسامه وحدوث حرب أهلية نتيجة سعى بعض الراغبين فى الحصول على بعض الامتيازات ، وذكر لروبنسون أنه قد تعهد للوبنجولا بتقديم المساعدة العسكرية فى حالة تعرض أراضيه للاغارة من قوات معادية[٢] . وتصرف روبنسون بسرعة فارسل نسخة الامتياز إلى نتسفورد مبينا أن اندفاع الأوربيين إلى أرض المتابيلى للحصول على امتيازات سيترتب عليه حدوث قلاقل بالمنطقة ، وأعلن ثقته التامة فى رود ، وأنه سوف يعمل على رد المغامرين وتنمية المصادر الطبيعية فى المنطقة ، ومراعاة شعور الوطنيين بدون تحيز[٣].

محاولة رودس استغلال امتياز رود :

قرر رودس تكوين شركة قوية والحصول على براءة ملكية تضفى على الشركة حماية ـ الحكومة البريطانية ، وتكسبها صبغة الحكومة ، وقابل وزير المستعمرات فى يناير سنة ١٨٨٨ ، وعرض عليه الفكرة التى ترمى إلى فتح أرض المتابيلى والماشون للتجارة البريطانية وتوطين البريطانيين بها عن طريق استخدام شركة دى بيرز DeBears ولم يحصل رودس من نتسفورد على وعد رسمى بتاييد المشروع المقترح[٤].

واستمر رودس فى جهوده ، وقابل روبنسون فى مدينة الرأس ، وعرض عليه الحادثات التى دارت بينه وبين نتسفورد ، وحاول إقناعه بتأييد طلبه فذكر له الأعمال الهامة التى قامت بها «شركة تعدين الماس المتحدة» ConsolidatedDiamondCo. فى المنطقة ، وأن الشركة الجديدة سوف تحصل على امتياز لاستغلال الأراضى التى

(1) P.P. : C. 5918, pp. 139...146.
(2) C.O. : op. cit. No. 369, p. 210, Rudd to Robinson, 23. II 88.
(3) C.O. : ibid. No. 369, p. 210, Robinson to Knutsford, 5. 12. 88.
(4) C.O. : ibid. No. 369, p. I, Robinson to Knutsford. 21. 7. 88.

لا يستغلها أو يحتلها شعب المتابيلي ، وأنها سوف تحمى الوطنيين في الأماكن المحجوزة لهم من هجمات أعدائهم ، كما ستعمل على تنمية المصادر الطبيعية فى المنطقة التى سوف تستغلها . وإيجاد حكومة فعاله بها . وطلب رودس من روبنسون منح الشركة الجديدة براءة ملكية مثلما حدث مع شركة بورنيو البريطانية[1].

أخطر المندوب السامى وزير المستعمرات بمطالب رودس ، وطلب رأيه بالنسبة للمشروع الجديد وتعليمات الوزارة فيما يجب عمله إذا ما توفرت الفرصة لانشاء مثل تلك الشركة ، خاصة وقد ترددت الاشاعات عن غنى أرض المتابيلي بالذهب ، واحتمال وقوعها تحت سيطرة بعض الدول المتحضرة الطامعة فى المنطقة وحبذ روبنسون فكرة رودس على أساس أنها (أى الشركة) ستحافظ على حقوق الوطنيين ومصلحتهم ، وتنمية مصادر الثروة فى المناطق التى لا يستغلها الوطنيون عن طريق استخدام رأس المال البريطانى دون تحميل الحكومة البريطانية أية أعباء مالية ، وهو عبء سوف تتحمله الحكومة لو عملت على ضم المنطقة وتحويلها إلى مستعمرة بريطانية . وذكر روبنسون أن منح الشركة براءة ملكية سيكون أكثر فاعلية وأثراً فى حدوث اندماج أو وحدة مع الممتلكات البريطانية فى جنوب إفريقية من إنشاء مستعمرة للتاج البريطانى[2].

وافق نتسفورد على مشروع رودس المتعلق بتوطين البريطانيين فى المنطقة وأعلن « أن حكومة صاحبة الجلالة البريطانية سوف تنظر بعين الإعتبار لعملية توطين الرعايا البريطانيين فى تلك البلاد بعد الحصول على امتيازات من زعمائها بشروط عادلة ومعقولة » ولكنه رفض فكرة منح الشركة براءة ملكية على أساس أن الوقت غير ملائم لمثل ذلك العمل ، وبين أن منح شركة بورنيو براءة ملكية حدث فى ظروف شاذة ، وأن ذلك العمل قد لاقى معارضة شديدة فى مجلس العموم البريطانى[3].

المتاعب التى ظهرت فى طريق امتياز رود :

بالاضافة إلى رفض وزير المستعمرات منح براءة ملكية للشركة المقترحة فقد ظهر فى الأفق متاعب أخرى تتعلق بامتياز رود فقد استغل المنافسون من المغامرين

---

(1) C.O. : ibid. No. 369, P,IRobinson to Knutsford, 21. 7. 88.

(2) C.O. : ibid. No 369. Robinson to Knutsford, 21. 7. 88.

(3) C.O. : ibid. No. 372, p. 2, Knutsford to Robinson, 20. 8. 88.

الراغبين فى الحصول على امتيازات فى أرض المتابيلى إعلان الصحف فى مدينة الرأس عن حصول رود على الإمتياز وتدخلوا عند لوبنجولا لإلغائه . وكان من بين هؤلاء حكومة جمهورية الترنسفال التى أرسلت نسخة من الصحيفة المنشور بها النبا إلى لوبنجو لا . ولم يكن ذلك العمل من الخطورة مثلما كان لتدخل بعض البريطانيين الممثلين لبعض الشركات المناوئة لرودس وقد بين هؤلاء للوبنجو أنه قد خدع ونزك لرود وشركائه عن جميع بلاده . وكان من أهم هؤلاء الأشخاص موند Mond ممثل شركة الكشف والاستغلال Exploring And Exploiting Co. وقد أوحى موند للوبنجولا بارسال مندوبين عنه لمقابلة ملكة بريطانيا ، وتقديم شكوى ضد رود وشركاه . ووافق لوبنجولا على رأى موند وطلب منه مرافقة البعثة فى رحلتها(١) .

موقف مساعدى رودس من تصرفات موند :

علم ماجير بامر البعثة فعمل على عرقلتها ، وبعث بخطاب إلى مساعد المندوب السامى ذكر فيه أن أعضاء البعثة ليسوا من زعماء المتابيلى ولا صلة لهم بلوبنجولا ، وطلب تدخل المندوب السامى ، واقترح أن ترسل الحكومة البريطانية ممثلا لها إلى بولاوايو للاهتمام بشئون المنطقة وتقديم النصح للوبنجولا(٢) . أما توميسون فقد اتصل مباشرة بالمندوب السامى ، وأخبره بتصرفات موند وخاصة فيما يتعلق بتجاهل المندوب السامى ومحاولة الاتصال مباشرة بالملكة على أساس تحيز المندوب السامى الذى يوجه كل اهتمامه لمصلحة المستعمرة دون النظر إلى مصالح الامبراطورية البريطانية . وذكر تومبسون أن هدف موند من إثارة لوبنجولا هو إلغاء امتياز رود ، والحصول على امتيازات للتنقيب عن الذهب لمصلحته ومصلحة لورد جيفورد Gifford وشخص آخر يشغل منصبا حساساً فى الحكومة البريطانية(٣).

موقف رودس من تصرفات موند :

علم رودس بمحاولات موند فعمل على مقابلته فى كمبرلى ، وفى تلك المقابلة حاول إقناع موند بصحة امتياز رود ، وأن وثيقة الامتياز قد وصلت إلى الحكومة

(1) Samkange, S. : op. cit. pp. 89...90.
(2) C.O. : op. cit. No. 369, p. 253, Maguire to Newton, 5. 12. 88.
(3) C.O. : ibid. No. 369, p. 248, Thompson to Robinson, 7. 12. 88.

البريطانية وبالتالى أصبح من العسير إلغاؤها . وفى نهاية المقابلة طلب منه توحيد جهود الجانبين للتوفيق بين مصالحهما . ورفض موند اقتراح رودس الذى أبرق للمندوب السامى بطلب إلقاء القبض على موند ومنع بعثة لوبنجولا من السفر إلى لندن ، ولما لم تجدى تهديدات رودس لحق بموند فى مدينة الرأس ، وعرض عليه حدوث اندماج بين الجماعة التى يمثلها رودس — والجماعة التى يمثلها موند فى نظير حصول شركة الكشف والاستغلال على ربع أسهم الشركة الجديدة المقترحة . ووافق موند على اقتراح رودس للجماعة التى يمثلها فى لندن بما تم الاتفاق عليه(١).

موقف المندوب السامى ومساعديه :

وصل موند إلى أرض المتابيلى ، وحاول إثارة المتاعب لإلغاء امتياز رود فبعث موفات بخطاب إلى شبرد بين فيه وجود منافسات شديدة بين المطالبين بامتيازات فى أرض المتابيلى ، وأن موند عمل على إحداث شقاق بالمنطقة ، وادعى أنه يمثل الحكومة البريطانية فى لندن ، وأن روبنسون وشبرد ورود ورودس يعملون لصالح وزارة المستعمرات ، وأن — الحكومة البريطانية تعارض الأهداف التى يسعون إليها . وذكر موفات أن هاجارد Haggard يلعب لعبة مشابهة فى أرض المتابيلى وأنه يمثل وزارة الخارجية البريطانية التى تعارض سياسة وزارة المستعمرات . وحاول كل من موند وهاجارد إلقاء الشكوك على امتياز رود ، وصوراه كما لو كان لوبنجولا قد ترك بموجبه جميع أرض المتابيلى لرود وشركائه وطلب موفات من شبرد التدخل لمنع حدوث شقاق بين الرعايا البريطانيين وتقسيمهم إلى معسكرين متعارضين (٢) .

كانت شكوك موند فيما يختص بالمندوب السامى فى محلها فقد انحاز روبنسون إنحيازاً كاملا لمعسكر رودس ضد موند وهاجارد ، وأخطر وزير المستعمرات بتصرفات وادعاءات كل منهما(٣) . ولم يكتف روبنسون بذلك بل عمل على إحباط محاولات موند ، وطلب من شبرد تحذير موند من أن وزير المستعمرات أنكر

(1) Samkange, S. : op. cit. pp. 93...95, 103...104.
(2) C.O. : op. cit. No. 369, p. 250, Moffat to Shippard, 8. 12. 88.
(3) C.O. : ibid. No. 369, p. 250, Robinson to Knutsford, 6. 1. 89.

معرفته به أو بنواياه مع ضرورة اتصاله بالسلطات البريطانية فى جنوب إفريقية وعرض مطالبة عليها أولا[1].

علم روبنسون بتوجه موند إلى بريتوريا فبعث ببرقية إلى ويليامز ممثل بريطانيا فى بريتوريا لتحذير موند ولكنه كان قد غادر بريتوريا متجها إلى مدينة الرأس قبل وصول تلك البرقية[2] . وبوصول موند إلى كمبرلى اتصل بروبنسون لتحديد موعد لمقابلة مبعوثا لوبنجولا[3]. ورفض روبنسون تحديد الموعد على أساس أن لورد جيفورد الذى يمثله موند قد رفع تقريراً إلى وزير المستعمرات عن تصرفات موند فى أرض المتابيلى ، وعلى أساس ذلك التقرير أمر وزير المستعمرات أن يتم أتصال لوبنجولا بالحكومة البريطانية عن طريق ممثلها فى المنطقة ، وأن الحكومة البريطانية لن تستقبل ممثلا لوبنجولا عند وصولهم إلى لندن . وعلى أساس تلك التعليمات طلب روبنسون من موند الاتصال بشبرد [4].

لم يستجب موند لأوامر روبنسون وواصل رحلته ومرافقيه إلى مدينة الرأس وهناك طلب من روبنسون إعادة النظر فى قراره ومقابلة مبعوثا لوبنجولا ، والاطلاع على ما يحملان من مستندات[5] . وتراجع روبنسون عن موقفه وطلب من موند تقديم ما لديه من مستندات لبوير Bower السكرتير الإدارى لمستعمرة الرأس . وتمت المقابلة بين موند وبوير فى ٢٤ نوفمبر . وفى تلك المقابلة قدم موند مسودة خطاب يفوض فيه لوبنجولا مبعوثاه ببيان حدود بلاده ، وتقديم احتجاج على إغارات البرتغاليين على حدود أرض المتابيلى كما قدم خطابا آخر من رينى تايلور R. Tailyour ممثله عند لوبنجولا ذكر فيه إنكار لوبنجولا توقيعه على امتياز رود . وذكر موند لبوير أن رودس قد اتصل به فى كمبرلى وعرض عليه إدماج الشركة المقترح إنشاؤها مع شركة الاستكشاف والاستغلال التى يمثلها موند . وقد علق بوير على المحادثات التى دارت بينه وبين موند قائلا

(1) C.O. : ibid. No. 369, p. 270, Robinson to Shippard, 15. I. 89.
(2) C.O. : ibid. No. 369, p. 270, Robinson to Williams, 17. 1. 89.
(3) C.O. : ibid. No. 369, p. 271, Maund to Robinson, 19. 1. 89.
(4) C.O. : ibid. No. 369, p. 271, Robinson to Maund, 19. 1. 89.
(5) C.O. : ibid. No. 369, p 277, Maund to Robinson, 23. 1. 89.

« إنه يعتقد أن مندوبا لوبنجولا رغبان فى إلقاء كلمة تتعلق بالامتيازات بالإضافة إلى الهدف الظاهرى الخاص باعتداءات البرتغاليين على الحدود ، وأن إلقاء تلك الكلمة وتصرفات المندوبين يتوقف على قبول رودس شروط شركة الاستكشاف والاستغلال(١).

وبحدوث الاتفاق بين رودس وموند تغير موقف روبنسون تجاه بعثة لوبنجولا فسمح لها بالسفر إلى بريطانيا ، وأبرق إلى نتسفورد يخطره بموافقته على سفر البعثة بعد تأكده من وثائق اعتمادها ، وأن الهدف من سفرها هو التأكد من وجود ملكة بريطانيا وأن سفر البعثة مفيد للمصالح البريطانية(٢).

الموقف أرض المتابيلى :

ترتب على تدخل الأوروبين حدوث أزمة كبيرة خاصة بامتياز رود ، واعتقد لوبنجولا أن رود وشركاه قد خدعوه ، وجعلوه يوقع على وثيقة نزل فيها عن جميع أراضيه وجميع سلطاته . وترتب على ذلك تكوين حزب من شعب المتابيلى معارض لامتياز رود ، وقد عقد لوبنجولا مؤتمرا عاما لمناقشة مشكلة الامتياز . وفى ذلك المؤتمر أبدى تومبسون استعداده للتوقيع على وثيقة تنشر فى جميع الصحف ينفى فيها نزول لوبنجولا عن أى شبر من أراضيه أو النزول عن سلطاته ، وأن التنقيب عن الذهب سوف يتم بعيداً عن المدن والحدائق ، وأن جميع الأعمال التى سيقوم بها رود وشركاؤه سوف تخضع لقوانين المتابيلى . ورفض لوبنجولا ذلك العرض بتحريض من الأوربيين المعارضين لرودس الذين ذكروا له أن شبرد سوف يستفيد من الامتياز ، وأن الهدف الأساسى من الحصول على الإمتياز هو استيلاء حكومة الرأس على أرض المتابيلى(٣).

وقد بعث جورج هنشكوك G. Hitchcocke بخطاب إلى شبرد وصف فيه الحالة السيئة التى وصلت إليها أزمة امتياز رود فى أرض المتابيلى وأن جميع الجهود التى بذلت للقضاء عليها لم تثمر بسبب العقبات التى وضعها الأوربيون المعارضون

(1) C.O. : ibid. No. 369, p. 274, Bower to Robinson, 24. 1. 89.
(2) C.O. : ibid. No. 369, p. 257, Robinson to Knutsford, 2. 2. 89.
(3) C.O. : ibid. No. 372, p. 75, Moffat to Shippard, 31, 3. 89.

وكان للاكاذيب التى ذكروها أثرها على لوبنجولا . وقد حبذ هتشكوك وجود ممثل بريطانى يقدم النصح للوبنجولا ، وإمكان الاحتفاظ بامتياز رود باتباع أسلوب آخر ، وأن تطور الأزمة سوف يترتب عليه نتائج خطيرة إذا لم تعمل السلطات البريطانية على وقفها[١].

بعث لوبنجولا بخطاب إلى ملكة بريطانيا ذكر فيه أن رود وآخرين طلبوا منه التصريح لهم بالتنقيب عن الذهب فى بلاده فى نظير منحه بنادق وذخيرة وزورقا ، وقد وصل إلى علمه أن الوثيقة التى وقعها تخالف الاتفاق الذى حدث بينه وبينهم ، وأنهم قد أثبتوا فيها حصولهم على حق التعدين فى جميع أرض لوبنجولا وعلى أساس تلك الإشاعة عقد مؤتمر عام رفض فيه الموجودين الأعتراف بامتياز رود . وبموجب ذلك القرار طلب إعادة الوثيقة الأصلية ، واحتجز ماجيير وتومبسون حتى يتم إعادة الوثيقة الأصلية[٢].

لم يكتف لوبنجولا بخطابه إلى ملكة بريطانيا فبعث بخطاب آخر إلى شبرد طلب فيه إعادة الوثيقة الأصلية ، ويخطره بقراره الخاص بحجز تومبسون وما جيير حتى يتم إعادة الوثيقة[٣] . وقد بين شبرد للوبنجولا « أن الحكومة البريطانية لا شان لها باصحاب الامتياز ، وأن عليه الاتصال بموفات فى حالة الرغبة فى الاستفسار عن بعض الأمور ، أو الحاجة إلى نصيحة ما[٤] » وبهذا رفض شبرد حدوث اتصال مباشر بينه وبين لوبنجولا . ولم يكتف شبرد بذلك الرد السلبي بل بعث برده إلى لوبنجولا عن طريق موغات ، وأرفق ذلك الرد بخطاب طلب فيه من مرفات تسليم لوبنجولا نسخة الامتياز التى بعث بها إليه فى الثالث من مايو لتسليمها إلى تومبسون أو ماجيير وأعلن شبرد أسفه لوجود نغمة تدل على سوء توجيه الراغبين فى الامتيازات للوبنجولا ، وأمله فى أن يستطيع موفات إعادة الهدوء والثقة إلى قلب لوبنجولا ببيان مقدار اهتمام الحكومة البريطانية به وبشعبه[٥].

---

(1) C.O. : ibid. No. 372, p. 96, Hichcocke to Shippard, 31. 3. 89.

(2) P.P. : C. 5918, p. 201, C.O. : op. cit. No. 372, p. 96, Lobengula to Queen Victoria, 23. 4. 89.

(3) C.O. : ibid, No. 372, p. 101, Lobengula to Shippard, 26. 4. 89.

(4) C.O. : ibid. No. 372, p. 101, Shippard to Lobengula, 27. 5. 89.

(5) C.O. : ibid. No. 372, p. 101, Shippard to Moffat, 27. 5. 89.

الجهود التي بذلها رودس للحصول على البراءة الملكية :

كانت هناك عقبات كان على رودس تذليلها وتخطيها قبل الحصول على البراءة الملكية . وكان من أهم تلك العقبات المنافسين الذين يحملون امتيازات فى أرض المتابيلى وكانت تلك العقبة من أسهل العقبات التى واجهته فاشترى أغلبها بامواله ، واتفق مع اللورد جيفورد على دمج « شركة الاستكشاف والإستغلال» مع شركته وبهذه الطريقة تمكن رودس من القضاء على منافسة أصحاب الإمتيازات والشركات المعارضة . وكانت العقبة الثانية تتعلق بمعارضة بعض ذوى المكانة من البريطانيين الذين كونوا لجنة لمنع حصول رودس على براءة ملكية . وقد حاول رودس القضاء على الأثر الضار لتلك الجماعة بالاعتماد على شخصيات بريطانية مشهورة مثل لورد روتشلد Rothschild وروبنسون . وقد تغلب رودس على تلك الجماعة بتعيين دوق فيف Fife وشقيق لورد جراى مديرين فى الشركة المقترحة . وتمثلت العقبة الثالثة فى جماعة الإنسانيين وجماعة المدافعين عن الشعوب البدائية . وقد اقنع رودس تلك الجماعات بان الشركة سوف تعمل على الإرتقاء بالوطنيين وتحضرهم ، وادعى كذبا أن الشركة سوف تعمل للقضاء على تجارة الرقيق التى لم تكن موجودة فى المنطقة [١].

سعى رودس جاهدا للحصول على البراءة الملكية ، وبين للحكومة البريطانية أن الهدف من إنشاء الشركة الجديدة هو فتح المنطقة للتجارة البريطانية ، وتوطين البريطانيين فيها عن طريق استخدام « شركة دى بيرز » DeBeers وأبدى استعداده للتعاون مع من يحملون امتيازات فى أرض المتابيلى ، وتنفيذ اقتراح لورد جيفورد ، وأن الترتيبات قد تمت بينه وبين لورد جيفورد بخصوص ذلك الاقتراح وردت عليه وزارة المستعمرات بانها على اتصال بلورد جيفورد[٢].

وقد خطى لورد جيفورد هو الآخر خطوة أخرى فاخطر وزارة المستعمرات بان شركة الاستكشاف والاستغلال التى يرأسها تهدف إلى تنمية واستخراج

(1) Robinson, R and Others - Africa and The Victorians, p. 240, Samkange, S. : op. cit. p. 125.

(2) C.O. : op. cit. No.372, p.66, Rhodes to Knutsford, Knutsford to Rhodes, 16. 5-89, P.P. : c. 5918, pp. 224, 189.

المعادن ، وأنه يرى أن تكوين شركة ذات إمكانيات كبيرة تشرف على استغلال الامتيازات فى أرض المتابيلى سيترتب عليه تجنب حدوث تضارب أو تصادم بين أصحاب المصالح ، وضمان حقوق الوطنيين والزعماء ، واقترح تكوين شركة تتحمل المسئوليات الجسيمة المتعلقة باستغلال المنطقة تؤيدها الحكومة البريطانية من الناحية الأدبية ، وتضمن الحقوق والمصالح التى حصل عليها مؤسسو الشركة الجديدة عن طريق منحها براءة ملكية ، ويكون للشركة مجلس إدارة فى لندن من كبار الشخصيات البريطانية يعاونه مجلس إدارة فى منطقة الامتياز ، وبذلك تصبح الشركة قادرة على تنمية مصادر الثروة بالمنطقة الواقعة شمال أرض بتشوانا وتعميرها لمصلحة التجارة والاقتصاد البريطانى بالإضافة إلى مراعاة مصالح الوطنيين[1].

استجابت وزارة المستعمرات لطلب لورد جيفورد ، وطلبت منه تزويدها بمسودة للبراءة الملكية المقترحة حتى يستطيع وزير المستعمرات الحكم على ملاءمة المشروع للعرض على مجلس الوزراء البريطانى . وبينت الوازرة أن قبول المشروع يتوقف على الأشخاص الذين يتولون تنفيذه والشروط التى يتضمنها ومدى ضمانه لحقوق ومصالح الأوربيين والوطنيين وقبول أو رفض لوبنجولا له[2].

تبنى وزير المستعمرات موضوع الشركة المقترحة ، وأخطر وزير الخارجية بحدوث اندماج بين شركتى جيفورد ورودس ، وأنه يامل فى قيام الشركة الجديدة بتوحيد المصالح البريطانية فى أرض المتابيلى والمنطقة الواقعة شمالها ، وأن يلاقى المشروع قبول الحكومة البريطانية ، ومنح الشركة المقترحة براءة ملكية تجعل شؤونها تحت الاشراف المباشر للحكومة البريطانية ، و التدخل الفعال فى شئونها وتوجيهها حتى لا تحدث تعقيدات ومشاكل فى المنطقة يترتب عليها إرسال الحكومة البريطانية حملات عسكرية لإقرار النظام بالمنطقة . وبين وزير المستعمرات أن نظام الشركات ذات البراءات الملكية يخلص الحكومة البريطانية من المشاكل الدبلوماسية ومن النفقات الكبيرة التى قد تضطر إلى إنفاقها خاصة وقد ثبت نجاح هذا النظام فى شركة شرق إفريقية البريطانية ، وأن إنشاء مثل تلك الشركة سيقدم خدمات

(1) C.O. : op. cit. No. 372, p. 65, Gifford to C.O., 30. 4. 89.
(2) C.O. : ibid. No. 372, p. 70, C.O. to Gifford, 16. 5. 89.

قيمة للحكومة البريطانية فى منطقة جنوب إفريقية . واقترح وزير المستعمرات على وزير الخارجية أن تتضمن البراءة الملكية فى حالة منحها نصاً يحتم على الشركة ضرورة إدخال المنطقة الواقعة شمال نهر الزمبيزى اللازمة للتحكم فى المواصلات مع مرتفعات شيرى وبحيرة نياسا ضمن منطقة نفوذ الشركة ولو بعد فترة من ممارسة نشاطها(١)ووافق سالسبورى وزير الخارجية البريطانية على رأى نتسفورد فيما يختص باقتراح لورد جيفورد لما به من اقتراحات بناءة ولكنه رأى عدم تضمين البراءة الملكية أية التزامات بالنسبة للمنطقة الواقعة شمال نهر الزمبيزى حتى لا يترتب على ذلك أية تعقيدات سياسية مع احتفاظ الحكومة البريطانية بحقها فى إضافة مناطق أخرى لمنطقة نفوذ الشركة عن طريق إصدار التراخيص اللازمة(٢).

تقدم رودس بمذكرة لوزير المستعمرات ذكر فيها أنه قد طلب منحه وشركائه براءة ملكية لتنمية التجارة فى منطقة جنوب ووسط إفريقية ، واستكمالا لذلك الطلب فانه يقترح على الحكومة البريطانية تعيين مقيم بريطانى فى أرض المتابيلى لتقديم النصح للوبنجولا ، وتاييد الشركة ، على أن تتحمل الشركة المقترحة الأموال اللازمة لتغطية نفقات إشراف الحكومة البريطانية على أرض المتابيلى وحوض نياسا ، كما تتحمل الشركة نفقات مد خط مواصلات سلكية من ميفكنج Maifeking إلى تاتى Tati (٣) وطلب نتسفورد من سالسبورى وضع اقتراح رودس الجديد فى مقدمة الاعتبارات التى سوف تضعها الحكومة البريطانية لمنح الشركة البراءة الملكية لما له من أهمية كبرى(٤) ووافق سالسبورى على رأى نتسفورد ، وبين ضرورة قبول اقتراحات رودس لأنها اقتراحات عملية تؤدى إلى استتباب الأمن فى المنطقة ، وتقدم الوسائل الفعالة لنجاح المشروع نظير الحصول على البراءة الملكية(٥).

---

(1) C.O. : ibid. No. 372, p. 71, Knutsford to Salisbury, 16. 5. 89.

(2) C.O. : ibid, No. 372, p. 79, Salisbury to Knutsford, 1. 6. 89.

(3) C.O. : ibid. No. 372, p. 77, Rhodes to Knutsford, 22. 5. 89, F.O. : 403/111, pp. 128 129, p.p. : C. 5918, p. 195.

(4) C.O. : op. cit. No. 372, p. 81, Knutsford to Salisbury, 4. 6. 89.

(5) C.O. : ibid. No. 372, p. 81, Salisbury to Knutsford, 7. 6. 89.

سلم لورد جيفورد مسودة البراءة الملكية فى ٢٣ مايو سنة ١٨٨٩ لوزارة المستعمرات التى بعثت بها إلى وزارة الخارجية تستطلع رأيها فى بنودها . ووافقت وزارة الخارجية على المسودة وطلبت من وزارة المستعمرات إخطار رودس وشركائه بموافقة الحكومة البريطانية على المسودة ، وأنها سوف تنصح صاحبة الجلالة البريطانية بمنح الشركة البراءة المطلوبة[١] بشرط أن تخضع الشركة لنفس الشروط التى خضعت لها من قبل الشركات البريطانية ذات البراءة الملكية[٢]، وموافقة طالبى البراءة الملكية على تغيير المسودة وخضوع تفصيلاتها لما تراه الحكومة البريطانية[٣].

وافقت الحكومة البريطانية على مسودة البراءةالملكية ، وطلبت من رودس تسديد مبلغ ثلاثين ألف جنيهاسترلينى وهو المبلغ اللازم لمد خط المواصلات السلكية[٤] وصدرت البراءة الملكية فى ٢٩ أكتوبر سنة ١٨٨٩ ، وبموجبها أصبحت الشركة صاحبة اليد العليا فى الشؤون الإدارية والمالية المتعلقة بالمنطقة التى يحدها من الغرب أرض بتشوانا البريطانية ومن الشرق مستعمرة موزمبيق البرتغالية وجمهورية جنوب إفريقية ومن الجنوب جمهورية جنوب إفريقية . واعتمدت البراءة الملكية جميع الإمتيازات التى حصلت عليها الشركة والمعاهدات التى عقدتها . وأصبح من حقها توطين الأوربيين واستغلال الأراضى والمعادن فى منطقة امتيازها تحت إشراف الحكومة البريطانية[٥].

بصدور البراءة الملكية طلب رودس من الحكومة البريطانية منحه الحرية المطلقة فى استعمار واستغلال المنطقة دون تدخل من جانب الحكومة البريطانية فى شؤونها ووافقت وزارة المستعمرات على ذلك الطلب[٦] . وأصبحت الشركة ذات سلطة مطلقة فى منطقة جنوب إفريقية ، ولها حرية التصرف فى المنطقة الواقعة شمالى نهر الزمبيزى ومنطقة نياسا بما فيها منطقة نهر شيرى[٧] حتى يمكن منح وقوع

(1) C.O. : ibid. No. 372, p. 97, Salisbury to Knustford, 28. 6. 89.
(2) C.O. : ibid. No. 372, p. 104, Salisbury to Knutsford, 5. 7. 89.
(3) C.O. : ibid. No. 372, p. 103, Knutsford to Gifford, 10. 7. 89
(4) C.O. ; ibid. No. 372, p. 135, Knutsford to Rhodes, 22. 10. 89.
(5) Hertslet,E. : The Map of...pp. 174...182,C.O. : C.O.cit. No. 439, p. 40, Knutsford to Loch, 14. 11. 89.
(6) C.O. : ibid. No. 439, Knutsford to Loch, 14. 11. 89.
(7) F.O. : 2/55, Johnston to Rhodes, 8. 10. 93.

المنطقة فى أيدى الألمان أو البرتغاليين ، وعلى أساس أن سيطرة الشركة على المنطقة الواقعة غربى بحيرتى نياسا وتنجانيقا سوف يضمن وجود مجرى مائى بريطانى إلى الشمال(١) . وعلى هذا الأساس حصلت بريطانيا فى ١٤ نوفمبر سنة ١٨٩٠ و ١١ يونيو سنة ١٨٩١ على اعتراف برتغال بوجود منطقة نفوذ بريطانية فى المنطقة الواقعة شمال نهر الزمبيزى إلى الغرب من بحيرة نياسا ، وامتداد تلك المنطقة حتى حدود دولة الكنغو الحرة ومستعمرة أنجولا ، وفى المنطقة الواقعة جنوبى نهر الزمبيزى. وبذلك حصلت الشركة على كل أرض باروتسي وهضبة مانيكا Manyka (٢)

ثالثاً : أعمال الشركة :

١ ـ احتلال أرض الماشون :

بدأ رودس بعد الحصول على البراءة الملكية فى محاولة استغلال امتياز رود . وكان هذا العمل يتطلب موافقة لوبنجولا على قيام الشركة باعمال التنقيب فى بلاده ، فبعث بموند وجيمسون إلى حيث يقيم لوبنجوذلا ، وكان على موند الاستمرار فى الحصول على ثقة لوبنجولا دون أن يعلن انضمامه لرودس . أما جيمسون الذى كان الممثل العلنى للشركة فقد منحه رودس سلطة اتخاذ الإجراءات المناسبة لمصلحة الشركة ، وإقناع لوبنجولا بتحديد مكان للتنقيب عن الذهب وشق طريق فى بلاده يصل إلى أرض الماشون . وقد صادف الحظ جيمسون بعد معالجته للوبنجولا من المرض الذى ألم به ، ومنحه لوبنجولا فى العاشر من ديسمبر سنة ١٨٨٩ التصريح اللازم للتنقيب عن الذهب فى منطقة تاتى ووافق رودس على المكان المقترح حتى يمكنه إرسال الرجال إلى المنطقة وإعلان أن امتياز رود قد أصبح موضع التنفيذ ، ولذلك لم يمضى على تصريح لوبنجولا سوى إثنا عشر يوما حتى بدأ التنقيب عن الذهب فى المناجم القديمة التى كان معروفا جيداً أنها خالية تماما من الذهب(٣).

(1) F.O. : 403/143, C.O. to F.O., 12. 4. 89.

(2) Hertslet, E. : op. cit. pp. 728...742.

(3) Michell, L. Life of Rhodes, vol. 1, p. 294, Lucas, C. : Hist. Geog. of South Africa vol. 1. p. 314, Samkange, S. : op. cit. pp. 164...165.

قـــرر هنرى لوك H. Loch المنـــدوب السامى فى مستعمرة الرأس تنفيذ شروط البراءة الملكية الخاصة بالإشراف الحكومى على أعمال الشركة فعقد فى العاشر من يناير سنة ١٨٩٠ إجتماعا حضره شبرد وممثلو الشركة بما فيهم رودس ، وناقش المجتمعون مشروعات الشركة المتعلقة بدخول أرض الماشون واستغلالها .

وقد بين رودس للمجتمعين أن الشركة قد بدأت فعلا فى التنقيب عن الذهب فى المنطقة المجاورة لتاتى ، وأن لوبنجولا قد صرح للشركة بالتنقيب فى أماكن أخرى إذا لم يعثر على الذهب فى المنطقة الأولى . وكان رودس يشير بذلك إلى أرض الماشون . وفى نفس الاجتماع عرض رودس المشروع الذى وضعته الشركة لدخول أرض الماشون واستغلالها وكان ذلك المشروع يتطلب اشتراك قوات الشرطة الإمبراطورية[1].

بعث لوك بتقرير إلى وزير المستعمرات أخطره فيه بموافقة لوبنجولا على احتلال الشركة لأرض الماشون بسبب تهديد البوير للمنطقة ، وأنه يرى استحالة منع الآخرين من الوصول إلى حقول الذهب مالم تعجل الشركة باحتلال المنطقة[2]. ولم يعترض وزير المستعمرات على تقدم قوات الشركة ولكنه وجه نظر لوك إلى أن اصطدام قوات الشركة مع محاربى المتابيلى أو البوير سوف يترتب عليه نتائج خطيرة قد يكون من بينها الحرب بين بريطانيا والبوير وهو ما لا ترغب الحكومة البريطانية فى حدوثه[3] . واتصل وزير المستعمرات بوزير الخارجية وذكر له الإشاعات المنتشرة فى جنوب إفريقية وتشير إلى هجرة عدد كبير من البوير إلى أرض بتشوانا ، وما يترتب على ذلك العمل من عرقلة المشروعات البريطانية[4]. ووافق وزير الخارجية على منح المندوب السامى حق التصريح بتقدم قوات الشركة فى أرض الماشون[5] وعلى هذا الأساس منح وزير المستعمرات المندوب السامى سلطة التصريح بتقدم قوات الشركة إلى أرض الماشون فى الوقت الذى يراه مناسباً،

---

(1) C.O. : op. cit. No. 392, p. 27, Loch to C.O., 10. 1. 90.
(2) C.O. ibid. No. 392, p. 68, Loch to C.O., 20. 2. 90.
(3) C.O. : ibid. No. 392, p. 69, C.O. to Loch, 22.2. 90.
(4) C.O. : ibid. No. 392, p. 74, C.O. to F.O., 26. 2. 90.
(5) C.O. : ibid. No. 392, p. 83, F.O. to c.O., 7. 3. 90.

وبين ضرورة حصول الشركة على مساعدة لوبنجولا[1] لما فى ذلك من تسهيل عمل الشركة وإكسابه صفة الشرعية .

وافق لوك على مشروع تقدم قوات الشركة فى أرض الماشون[2] على أن يبدأ التنفيذ فى السادس من يونيو سنة ١٨٩٠[3] وتحركت قوات الشركة فى الحادى والعشرين من يونيو سنة ١٨٩٠ من موقعها على نهر ماكلوتس Macloutsie تؤيدها قوات شرطة بتشوانا إلى نهر تولى[4] Tuli وعبرته فى الثالث والعشرين من يوليو بدون معارضة من قوات لوبنجولا[5] ، ووصلت إلى نهر لوندى Lundi فى ١ أغسطس[6] واستمرت قوات الشركةفى تقدمها بدون حدوث صدام بينها وبين قوات لوبنجولا حتى وصلت إلى هدفها فى ١٢ سبتمبر من نفس العام[7] وبمجرد وصولها إلى موقع مدينة سالسبورى الحالية رفعت علم الاتحاد على قلاع سالسبورى وتولى وفيكتوريا بدلا من علم الشركة . وكان الهدف من ذلك إيهام الرأى العام البريطانى أن الشركة تستغل المنطقة لمصلحة الشعب البريطانى وليس لمصلحتها .

٢ – شراء امتياز ليبرت :

واجهت الشركة فى بداية عملها عدة مصاعب كان أولها حصول ليبرت Lippert وهو رجل أعمال ألمانى على إمتياز استغلال سطح المنطقة التى حصل رود على إمتياز التنقيب فيها . وكان رينى تايلور R. Tailyour مندوب ليبرت قد استطاع إقناع لوبنجولا بمنحه إمتياز استغلال سطح منطقة إمتياز رود حتى يمكن حرمان رودس من استغلال الإمتياز . وعلى هذا الأساس حصل تايلور من لوبنجولا فى ٢٢ أبريل سنة ١٨٩١ على إمتياز إنشاء مزارع ومراكز حراسة وغيرها من الأعمال مدة مائة

---

(1) C.O. : ibid. No. 392, p. 92, C.O. to Loch, 10. 3. 90.
(2) C.O. : ibid. No. 392, p. 196, Loch to B.S.A. Co., 20. 4. 90.
(3) C.O. : ibid. No. 392, p. 240, Loch to B.S.A. Co., 6. 6. 90.
(4) C.O. : ibis. No. 392, p. 296, Doyle to Loch, 23. 7. 90.
(5) C.O. : ibid. No. 392, p. 328, Loch to Knutsford, 3. 8. 90.
(6) C.O. : ibid. No. 392, p. 328, Loch to Knutsford, 3, 8. 90.
(7) C.O. : ibid. No. 392, p. 334, Loch to Knutsford, 23. 9. 90.

عام . وما أن علم رودس بأمر ذلك الامتياز حتى قبض على تايلور فى أرض بتشوانا عند عودته من بولاوايو . وتدخل موئيدو تايلور ، وهددوا المندوب السامى بنقل الموضوع إلى لندن فاضطر إلى الإفراج عنه واضطر رودس فى النهاية إلى شراء امتياز ليبرت(١).

٣ - إحتلال أرض المتابيلى :

لم تعثر الشركة على الذهب فى أرض الماشون ، واضطرت إلى تخفيض مصروفاتها من ربع مليون جنيه استرلينى إلى ستة وثلاثين ألف جنيه ، وتخفيض قوات شرطتها من سبعمائة إلى أربعين فرداً فقط . واعتقد المسئولين عن الشركة إمكان العثور على الذهب فى أرض المتابيلى التى لم ينس ملكها لوبنجولا كيف اغتصب البيض أرض الماشون منه ، ولم تصغ الحكومة البريطانية إلى اعتراضاته . وخشيت الحكومة البريطانية حدوث صدام بين الجانبين وحذر وزير المستعمرات الشركة وبين لها إمتناع الحكومة البريطانية عن تقديم أى مساعدة لها فى حالة مهاجمة قوات المتابيلى لها . وكان المسئولون عن الشركة يدركون أن الحصول على تصريح بالتنقيب عن الذهب من لوبنجولا لن يتم بسهولة ، وفكروا فى إثارة لوبنجولا حتى تهاجم قواته الشركة وبالتالى يوجد السبب الذى يعطى الشركة حق مهاجمة لوبنجولا وغزو بلاده والحصول على الذهب وإنقاذ الشركة من الإفلاس ودفع أرباح المساهمين ولذلك فقد بذل البيض كل ما فى وسعهم لإغتصاب وإثارة لوبنجولا(٢) .

كان القائمون بامر الشركة يرون أن لوبنجولا يمثل عقبة كبيرة فى سبيل الحصول على الذهب لا بد من القضاء عليها حتى يمكن إطلاق يد الشركة فى المنطقة ، وقرر جيمسون خلق الفرصة التى تؤدى إلى إثارة الحرب مع المتابيلى . ووافق رودس فى الثامن عشر من يوليو سنة ١٨٩٣ على قرار جيمسون (٣) .

---

(1) P.P. : C. 7171, p. 8.

(2) P.P : C. 7171, p. 10.

(3) Samkange, S. : op. cit., pp. 243—248, Michell, L. : op. cit., Vol. II, p. 85, Williams B. : Rhodes, p. 174.

وبتلك الموافقة بدأ جيمسون فى الرابع عشر من أغسطس الاستعداد سراً لمحاربة لوبنجولا ، وجميع الرجال الذين سوف يشتركون فى الحرب ، ووعد كلا منهم بالحصول على مزرعة مساحتها حوالى ٦٠٠٠ أكر من أرض المتابيلى مع استعداد الشركة لشرائها بحوالى تسعة آلاف جنيه بالاضافة إلى جزء من الغنائم التى سوف تحصل عليها الشركة من أرض المتابيلى (١) . ومهد جيمسون لعملية الغزو فاخطر المندوب السامى أن أرواح وممتلكات البيض قد أصبحت فى خطر بسبب مهاجمة المتابيلى للمنطقة التى تسيطر عليها الشركة ، وأن الظروف القائمة تستدعى قيام الشركة بحملة تاديبية ضد المتابيلى (٢) . ووافق المندوب السامى على رأى جيمسون حتى لا تقف أية عقبة فى سبيل نشر الحضارة بالمنطقة ، وأمر بتحرك قوات الشرطة الامبراطورية بقيادة جولد آدمز G. Adamas إلى نهر ماكلوتسى حتى تستطيع تنفيذ الخطة العسكرية التى وضعها جيمسون لغزو أرض المتابيلى (٣) . وواتت الفرصة جيمسون فى مايو شنة ١٨٩٣ عندما سرق مجهولون خمسمائة ياردة من أسلاك خط المواصلات السلكية الذى يمر بارض المتابيلى (٤) . واتهم جيمسون أفراد المتابيلى المقيمين فى المنطقة المجاورة بسرقة الأسلاك ، واستولى على ماشيتهم ، واحتفظ بها رهينة حتى يتم رد الأسلاك المسروقة ومعاقبة السارقين(٥).

أوحى جيمسون للوبنجولا أن أفراد شعب الماشون هم الذين سرقوا الماشية(٦). وعلى أساس ذلك الإيحاء أرسل لوبنجولا فى ١٤ يوليو قوة من محاربيه لاستعادة الماشية المسروقة ومعاقبة السارقين ، وأخطر كلا من جيمسون والكابتن لندى قائد قلعة فيكتوريا بهدف الحملة وأن الأوامر قد صدرت لها بعدم التعرض للمستوطنين البيض . وفسر لندى وجيمسون تلك التعليمات بخوف لوبنجولا من الأشتباك مع

(1) Harris, J.H. : The Charterd Millions, p. 82, Peller, S. : Lobengula, p. 212, Mason P. : op. cit., p. 173.

(2) P.P. : C. 7171, p. 60.

(3) Harris, J.H. : op. cit., p. 79.

(٤) من رأى بناء على تصرفات جيمسون أنه هو الذى دبر سرقة الأسلاك رغبة منه فى إيجاد القدر اللازم لمهاجمة أرض المتابيلى .

(5) P.P. : C. 7171, p. 45.

(6) Peller, G.S. : op. cit., p. 203.

البيض . ووصلت قوات لوبنجولا إلى مشارف قلعة فيكتوريا فى ١٧ يوليو ، وهرب أفراد الماشون إلى القلعة للاحتماء بها وطلب قائد المتابيلى من لندى تسليم أفراد الماشون والماشية التى استولوا عليها ، ورفض لندى ذلك الطلب . وكان جيمسون موجوداً بالقلعة فاستدعى مندوبى المتابيلى لمقابلته وتعمد إهانتهم ثم طلب منهم الإنسحاب فوراً من المنطقة عبر الحدود فى ظرف ساعة وإلا أطلقت قوات الشركة النار عليهم[١] . ورفضت قوات المتابيلى غير المسلحة الاستجابة لأوامر جيمسون الذى أمر باطلاق النار عليها وقتل ثلاثين من أفرادها . ولم يقابل المتابيلى العنف بالعنف تمسكا منهم بتعليمات ملكهم . وكما هى عادة جيمسون عمد إلى تشويه الحقائق فاتهم المتابيلى بمهاجمة شعب الماشون وقتل بعضهم ومهاجمة مدينة فيكتوريا وقتل بعض سكانها وسرقة الماشية وإحراق بعض الأماكن مما اضطرت معه قوات الشركة إلى إطلاق النار عليهم لتفريقهم[٢].

إنقاد المندوب السامى لادعاءات وأكاذيب جيمسون فبعث فى ٢٠ يوليو رسالة إلى لوبنجولا بين له فيها مخالفة قواته للتعليمات الصادرة لها ودخولها شوارع مستوطنة فيكتوريا وقتلها بعض سكانها ، وحذره من التمادى فى مثل تلك الأعمال وإلا جلب على نفسه العقاب ، وذكر له أنه لن يستطيع بعد ذلك كبح جماح البيض الذين سوف يقومون برد وتاديب قوات المتابيلى الموجودة بجوار قلعة فيكتوريا إذا لم يامر فوراً بسحبها ومعاقبة زعمائها[٣] . أما جيمسون فقد أرسل رسالة شديدة اللهجة للوبنجولا وطلب معاقبة زعماء القوة التى وصلت إلى قلعة فيكتوريا ، وعدم تخطى قوات المتابيلى الحدود التى أدعى حدوث اتفاق بشانها ، وأتهم تلك القوة بسرقة ماشية المستوطنين وطلب رد الماشية المسروقة وإلا قضى على أفراد تلك الحملة[٤].

اعتذر لوبنجولا الذى لم يكن قد وصلته فى ذلك الوقت أية معلومات من رجاله وتعهد برد الماشية المسروقة ومعاقبة المسئولين عن تلك الحوادث[٥] . وكان

(1) P.P. : C. 7171, pp. 46—54.
(2) P.P. : C. 7171, pp. 60—65.
(3) Samkange, S. : op. cit., p. 246 ; Mason, P. : op. cit., p. 169.
(4) Colvin, I. : The Life of Jameson, Vol. I, pp. 249—250.
(5) P.P. : C. 7171, p. 65.

فى ذلك الوقت لا يرغب فى حدوث متاعب بينه وبين البيض لوجود جزء كبير من جيشه فى حملة ضد زعيم قبيلة لوانيكا Lewanika المقيم فى أرض باروتسى وما أن علم لوبنجولا بحقيقة ما حدث وأن الشركة هى التى سرقت الماشية حتى غضب غضباً شديداً ، وأخطر جيمسون أنه لن يعيد أية ماشية أو يدفع أى تعويض حتى تعيد له الشركة ما استولت عليه من ممتلكاته وتفرج عن أسرى المتابيلى ، وأن قواته سوف تهاجم ممتلكات البيض ، وتستولى على ما تستطيع الاستيلاء عليه تعويضاً عن ماشيته التى استولت عليها الشركة(١) . ورد على المندوب السامى مبيناً أن رجاله لم يرتكبوا أى جرم فى حق البيض الذين استولوا على ماشيته انتقاما من جرم لم يرتكبه رجاله(٢).

واستمر المندوب السامى فى خداعه للوبنجولا حتى لا يدرك الأخطار المحيطة به من كل جانب فبعث فى ١٩ يوليو ١٨٩٣ بخطاب لموفات يؤكد فيه للوبنجولا نيابة عن ملكة بريطانيا أن الحكومة البريطانية ليست لديها مقاصد عدوانية ضد شعب وملك المتابيلى أو ترغب فى الاستيلاء على بلاده أو الدخول فى حرب معه (٣). وطلب من لوبنجولا أن يسود السلام بينه وبين البيض ، وأبدى استعداده لمقابلة مبعوثيه إذا كانت لديه رغبة فى السلام(٤) .

وكان لوبنجولا يعلم ضعف قواته وعدم استطاعتها الصمود أمام قوات الشركة والحكومة المجهزة بمدافع الهاون والماكينة والبنادق ولذلك كان على استعداد لنسيان الماضى وبدء صفحة جديدة ولذلك حاول الاحتفاظ بالسلام بينه وبين الشركة فبعث برسول من قبله لمقابلة المندوب السامى ويحمل رسالة للملكة بريطانيا يشرح فيها اتهام الشركة لرجاله بارتكاب جريمة لم يرتكبوها(٥) . ولكن المندوب السامى كان منحازا إلى جانب الشركة وأخطر وزير المستعمرات بان الخطاب لا يحتوى على أى شىء مهم ، وعلى الرغم من تلك التصرفات فقد حاول لوبنجولا

(1) P.P. : C. 7171, p. 67.
(2) P.P. : C. 7171, p. 45.
(3) P.P. : C. 7555, p. 61.
(4) P.P. : C. 7196, p. 32.
(5) P.P. : C. 7196, p. 70.

من جانبه الإحتفاظ بالسلام ، وطلب إرسال لجنة لتقصى حقائق النزاع بينه وبين الشركة[1] . وتمادى المندوب السامى فى إنحيازه فاخطر وزير المستعمرات كذبا بان قوات الشركة والحكومة قد تحركت لمواجهة قوات المتابيلى ، وأنها أصبحت بعيدة عن الإتصالات البرقية ، ومن غير المجدى إرسال أى تعليمات لوقفها[2]. وفى الواقع فان القوات الأوربية لم تتحرك لمهاجمة قوات المتابيلى إلا فى ٢٢ أكتوبر سنة ١٨٩٣ أى بعد يومين من إرسال ذلك التقرير .

استعد جيمسون للمعركة المنتظرة فحرك قوات الشركة إلى نهر أومنياتى Umniati وهو الذى يمثل الحدود المزعومة فى ٢ أكتوبر ، وفى نفس اليوم بعث ببرقية للمندوب السامى أتهم فيها قوات لوبنجولا بعبور الحدود والاعتداء على إحدى قرى الماشون ، وإطلاق النار على إحدى دوريات الشركة . وعلى أساس تلك البرقية أخطر لوك اللورد ريبون Ripon وزير المستعمرات بفشل جميع المحاولات للوصول إلى حل سلمى بين الشركة ولوبنجولا ، واضطرار الشركة إلى وقف تلك المحاولات بعد وصول قوات لوبنجولا إلى قرب مستوطنة فيكتوريا وإطلاقها النار على إحدى دوريات الشركة ، وإضطراره إلى التصريح لجيمسون بالتحرك بقواته وإجبار قوات المتابيلى على التراجع إلى المسافة التى تؤمن مستوطنة فيكتوريا ، وإتخاذ أى إجراء يراه ضروريا لتأمين المنطقة فى حدود سلطاته الإدارية[3] . وهذا التقرير يناقض تماماً التقرير السابق إرساله فى ٢٠ أكتوبر ، وفى نفس الوقت كان لوك يعلم جيداً رغبة لوبنجولا فى السلام ولكنه لم يطلب من جيمسون إلغاء الاستعداد للحرب حتى يمكن للشركة غزو أرض المتابيلى والإستلاء عليها وبالتالى وضع يدها على مناجم الذهب وتعويض خسائرها ودفع أرباح المساهمين .

كانت الخطة الموضوعة لغزو أرض المتابيلى تتلخص فى مهاجمة لوبنجولا من جهتين فتتقدم قوات الشركة من سالسبورى وقوات الحكومة بقيادة جولد آدمز من قلعة فيكتوريا . والتقت القوتان فى ١٦ أكتوبر عند نهر أومنياتى ، وعبرتاه إلى

(1) P.P. : C. 7171, p. 74.
(2) P.P. : C. 7196, p. 81.
(3) P.P. : C. 7196, pp. 39–79.

أرض المتابيلى ، والتقت بقوات لوبنجولا فى ٢٢ أكتوبر وكانت قوات الشركة والحكومة مسلحة بمدافع الهاون والماكينة والبنادق بينما كانت قوات المتابيلى مسلحة بالحراب والسهام وبعض البنادق ،وكان لقاء غير متكافىء ، وكانت نتيجتة الحتميه هى إمتلاء المكان بقتلى وجرحى المتابيلى فى معركة لم تستمر أكثر من ربع ساعة انهزمت فيها قوات لوبنجولا هزيمة شديدة فرت بعدها من الميدان . وتقدمت قوات الشركة بقيادة الميجور فوريس Forbes إلى بولاوايو عاصمة المتابيلى ، ووصلت القوات الإمبراطورية إلى بولاوايو فى ٥ نوفمبر . وكان لوبنجولا قد أخلى عاصمته وأشعل فيها النار فى الرابع من نوفمبر[1] .

بالانتصار على قوات المتابيلى أصدر وزير المستعمرات أوامره للمندوب السامى يتولى مهمة إجراء المباحثات مع لوبنجولا لإقرار السلام[2] ، ولم يكن ذلك العمل مما يناسب أهداف وخطط رودس الذى حاول إلغاء ذلك الأمر ، وادعى أن قوات الشركة هى التى تولت عملية غزو أرض المتابيلى وقهر لوبنجولا ، وأن الشركة لم تطلب أصلا مساعدة الحكومة فى ذلك العمل ، وأن نصوص البراءة الملكية تعطيها الحق فى إقرار مشاكلها مع لوبنجولا[3] . وعلى أساس تلك النظره بقى جيمسون فى بولاوايو لتلقى خضوع شعب المتابيلى ، وأجبر جولد آدمز على القيام بعمل ثانوى ، وبعث الميجور فوريس لمطاردة قوات المتابيلى المتراجعة إلى الشمال[4]. ولم تتوقف المطاردة إلا بعد موت لوبنجولا ودفن جثته فى مكان سرى حاول الأوربيون عبثا مدة خمسين عاما الوصول إليه إلى أن أفشى أحد أفراد المتابيلى سر المكان . وقد أمر جيمسون بمصادرة جميع ماشية وأملاك المتابيلى على إعتبار أنها جميعها ملك خاص للوبنجولا ، وأصبح شعب المتابيلى يفتك به الجوع ومرض الجدرى . وعلى الرغم من إصدار وزير المستعمرات أوامره بوقف تلك الاجرءات

---

(1) Mason, P. : op. cit., pp. 176—178; Walker, E. : History of S.A., p. 429; Samkange, S. : op. cit., pp. 258—261.

(2) P.P. : C. 7196, p. 73.

(3) P.P. : C. 7290, p.37; C.O. : op. cit., No. 459, pp. 29—30: Rhodes to Loch, 30.11 93

(4) Lochhart, J,D, and Woodhouse, C.M. : Rhodes, P, 264.

وإعادة الماشية إلى أصحابها فان جيمسون لم يستجب لها[١] ووصل رودس إلى بولاوايو وأطلق عليها إسم روديسيا .

ثورة شعب المتابيلى :

خضع شعب المتابيلى مرغما لحكم الشركة وكان يعلم جيداً أن ملكه لوبنجولا لم يكن يرغب فى قيام حرب بينه وبين البيض ، ولذا أخذ الشعب يتحين الفرصة المناسبة للثورة ضد حكم الشركة التى عمدت إلى عزل المتابيلى فى مكان خاص بهم ، وعهدت بالنواحى الإدارية إلى موظفين من البيض ، كما عهدت بشئون المحافظة على الأمن إلى قوة من الشرطة الوطنية . وقد أساء أفراد تلك الشرطة معاملة شعب المتابيلى . وكان استيلاء الشركة على أجود أراضى المتابيلى وعلى جميع الماشية على اعتبار أنها ملك خاص للوبنجولا والعمل الإجبارى فى الأراضى العامة والخاصة ، والخدمة فى منازل البيض ، وما شاكلها من الأعمال الدنيئة من أسباب تذمر الوطنيين بالإضافة إلى سوء المعاملة وعدم احترام البيض لنصوص البراءة الملكية ، وتحقيرهم لعادات ومعتقدات الوطنيين . وقد عاصر تلك المظالم تعرض أرض المتابيلى للجفاف وغارات الجراد وإصابة الماشية بوباء قضى على أغلبها . وكان شعب المتابيلى من الشعوب التى تؤمن بالسحر والخرافات فاعتقدوا أن وجود البيض هو السبب فى جميع المصائب التى حلت بهم ، وأن الخلاص من تلك المصائب لن يتم إلا بالتخلص من البيض . وواتت الفرصة شعب المتابيلى بإغارة جيمسون على أرض جمهورية الترنسفال وفشل تلك الغارة وأسر جميع أفراد الحملة وقائدها فثاروا فى مارس سنة ١٩٨٦ ، وبدأوا فى مهاجمة البيض المنعزلين وقتلهم . واضطرت الشركة إلى إرسال قواتها من سالسبورى إلى بولاوايو فى ٦ أبريل لحماية البيض ، وأمدتها حكومة مستعمرة الرأس ببعض القوات النظامية . وبذلك بلغ عدد القوات الأوربية المسلحة فى روديسيا حوالى ألفى رجل . واستمرت الثورة حتى أكتوبر من نفس العام[٢] حيث نجح سيسل رودس فى عقد اتفاقية مع زعماء المتابيلى وافق فيها على تحسين أحوالهم والقضاء على أسباب شكواهم[٣].

---

(1) P.P. : C. 7270, p. 24 ; Robinson to Loch, 10.12.93.
(2) P.P. : C 8.547, pp. 5—11.
(3) Stent, V. : A Personel Recod of ..., p. 27 ; Mason, P. : op. cit., pp. 190—200, Ransford, O. : op. cit., pp. 298—299.

ثورة شعب الماشون :

ثار شعب الماشون فى ٢٥ يونيو ١٨٩٦ واتبع الماشون نفس النظام الذى اتبعه ثوار المتابيلى ، وترجع الثورة إلى فرض الشركة ضريبة الكوخ عليهم وكثرة الضرائب – المفروضة ، وطغيان الشركة الوطنية ومهاجمتها للنساء ، وكذلك بسبب اتباع نظام العمل الإجبارى ومعاقبة الهاربين من العمال الوطنيين بكل شدة(١) . واستمرت الثورة حتى أواخر سبتمبر سنة ١٨٩٧ بسبب التجاء الثوار إلى الكهوف وكانت قوات الشركة تعمد إلى نسف الكهوف بالديناميت على من فيها لإجبار الثوار على التسليم(٢) . وقد كلفت ثورة المتابيلى والماشون الشركة مبلغ مليونين ونصف مليون جنيه استرلينى(٣).

٤ – النشاط الاقتصادى:

اهتز مركز الشركة الإقتصادى بسبب الأحداث السابقة ، وأصبحت مهدده بالإفلاس وللتغلب على المشاكل الاقتصادية بدأت الشركة نشاطا جديداً فقامت ببعض الاصلاحات وجددت المرافق العامة ، وبدأت بإنشاء السكك الحديدية وحولت مشروع مد خط حديدى من مدينة الرأس إلى أرض الماشون ، وربطت جميع خطوط السكك الحديدية بمنطقة امتيازها بميناء بيرا Beira البرتغالى ، وبذلك أصبحت الشركة شريكة فى خطوط سكك حديد روديسيا التى تمتد خطوطها من فريبورج Vryburg فى أرض بتشوانا إلى حدود الكنغو البلجيكى (زائيرى) ومن بولاوابو إلى الساحل الشرقى لإفريقية وبلغ طول تلك الخطوط حوالى ٢٥٠٠ ميل(٤) . وكان لظهور الفحم فى منطقة وانكى Wankie فى سنة ١٩٠٤ أثره على تصرفات الشركة فأنشأت خط سكة حديد يربط المنطقة بروديسيا الشمالية عبر نهر الزمبيزى عند شلالات فيكتوريا . واستمرت الشركة فى مد الخطوط الحديدية فمدت فى سنة ١٩٠٦ خطا إلى مناجم الزنك وخطا آخر إلى حدود الكنغو

(1) Mason, P. : op. cit., pp. 200—205.
(2) Mason, P. : Ibid., p. 206.
(3) P.P. : C. 8732.
(4) B.S.A. Co. : Director's Report (1896/1897), pp. 8—31.

فى سنة ١٩٠٩ ، وبذلك ازداد إنتاج الفحم فى البلاد [1].

وازداد نشاط الشركة بعد سنة ١٩٠٢ بعد إتمام إنشاء الخط الحديدى الموصل إلى مدينة سالسبورى وبذلك ازداد عدد المهاجرين البيض فبلغ عددهم ١٢٦٠ فرداً فى سنة ١٩٠٤ و ١٤ ألف فرد فى سنة ١٩٠٧ ، وارتفع عددهم إلى ٢٣٦٠٠ فرد فى سنة ١٩١١ [2]. وبلغ عدد البيض المشتغلين بالزراعة ١٤٧٠٠ فرد فى سنة ١٩٢١ والباقى وقدره ٨٩٠٠ فرد اشتغلوا بالتجارة والخدمات العامة والمناجم . وكانت سياسة الشركة حتى سنة ١٩٠٢ تتركز فى الاهتمام بأعمال التعدين ، وكان المحصول الزراعى الرئيسى وهو الذرة الغذاء الأساسى للشعب الإفريقى لا يكفى إنتاجه الإستهلاك المحلى ولذلك عمدت الشركة إلى زيادة إنتاجه ونجحت فى سنة ١٩١٨ فى إنتاج ما يكفى الإستهلاك المحلى وفى نفس الوقت بدأت تهتم بالثروة الحيوانية بالمنطقة وكان لزيادة الإنتاج الزراعى أثره على زيادة الثروة المعدنية فارتفعت قيمة ماصدر من الذهب إلى ٢٦٢٣٧٠٨ جنيه فى سنة ١٩٠٩ وبذلك أصبحت روديسيا رابع دولة منتجة للذهب فى الإمبراطورية البريطانية وارتفعت قيمة المصدر منه إلى ٢٧ مليون جنيه فى سنة ١٩٢٣ [3].

٥ — نظام الحكم : —

بانتهاء الثورة بدأت الشركة فى تنفيذ نظام حكم جديد فى المنطقة بناء على مرسوم ملكى فى أكتوبر سنة ١٨٩٨ حدد شكل الحكومة فى روديسيا الجنوبية بحيث أصبح على رأس الحكومة مدير يعادل الحاكم العام فى المستعمرات البريطانية تعينه الشركة ومن حقه إصدار القوانين بموافقة المجلس التشريعى مع خضوع تلك القوانين لموافقة أو رفض المندوب السامى فى مدينة الرأس . وكان يساعد المدير مجلس تنفيذى مكون من أربعة أفراد تعينهم الشركة بموافقة وزير المستعمرات وكانت سلطة ذلك المجلس إستشارية . وأصبحت مهمة التشريع فى يد مجلس تشريعى من تسعة أفراد — خمسة منهم تعينهم الشركة والأربعة الباقون ينتخبهم سكان روديسيا

(1) Cambridge Hist. : op. cit., p. 835.
(2) Bryce, J. : Impression of S.A., pp. 270—272.
(3) Cambridge Hist. : op. cit., pp. 685—835.

الجنوبية بشروط خاصة . وقد حدث تغيير فى شكل ذلك المجلس فى سنوات ١٩٠٣ ، ١٩١١ و ١٩٢٣ بحيث أصبح فى النهاية يتكون من ١٨ عضواً منهم ١٢ عضواً منتخبا[١] وبذلك العمل حرمت إدارة الشركة من التصرف فى الشئون التشريعية المتعلقة بروديسيا الجنوبية وأصبح التشريع من حق المجلس التشريعى الذى كان يخضع مباشرة للتحكم الإمبراطورى وخاصة فيما يتعلق بشئون الشرطة والوطنيين . وبقى التصرف فى أعمال التعدين وفى موجودات الشركة فى يدها .

رابعاً – إنتها إمتياز الشركة :

كان موعد انتهاء إمتياز الشركة يحل فى ٢٩–١٠–١٩١٤ وبحلول ذلك الموعد كانت هناك ثلاثة حلول تتعلق بتصفية الشركة ، الأول منها هو ضم روديسيا الجنوبية إلى اتحاد جنوب إفريقية والثانى مد امتياز الشركة فترة أخرى وكان الحل الثالث هو منح روديسيا الجنوبيه الحكم الذاتى . وقد فضل المستوطنون البيض فى روديسيا الجنوبية مد فترة حكم الشركة ، وقرر المجلس التشريعى فى مارس سنة سنة ١٩١٤ مد إمتياز الشركة على أن تتخذ الاجراءات الكفيلة بنقل السلطة تدريجيا إلى المستوطنين وتدريبهم على شئون الحكم ، ووافقت الحكومة البريطانية على مد إمتياز الشركة عشر سنوات أخرى وإمكان نقل السلطة للمستوطنين قبل انتهاء المدة إذا اتضح إمكان تحملهم شؤون الحكم الذاتى[٢].

ترتب على المشروعات التى قامت بها الشركة زيادة مصروفاتها على إيراداتها ولذلك أعلنت فى سنة ١٩١٤ ملكيتها للأراضى غير المملوكة للأفراد فى روديسيا الجنوبية وكذلك ملكيتها لحقوق التعدين وأسهم السكك الحديدية ، واعتبرت تلك الممتلكات ضمانا لتغطية خسائرها ولكن المجلس التشريعى لم يوافق على ذلك القرار ، وأعلن فى أوائل سنة ١٩١٤ أن تلك الأراضى قد منحت للشركة كرأسمال لتكوينها وبذلك فهى ليست حقاً مكتسبا لها وعليها تسليمها لحكومة المستعمرة عند التصفية[٣] . وأحيل قرار المجلس إلى لجنة قانونية فى يوليو سنة ١٩١٤ وأعلنت

---

(1) B.S.A. Co. : Report of General and Extraordinary Meeting, 21.4.98,p. 11.

(2) P.P. : Cd. 7970.

(3) Cambridge Hist. : op. cit., p. 686.

اللجنة قرارها فى ديسمبر سنة ١٩١٥ ، وفى أوائل سنة ١٩١٧ أعلنت وزارة المستعمرات قبول الحكومة البريطانية لجميع توصيات اللجنة [١] ، وعلى هذا الأساس أصدرت الحكومة البريطانية فى ٢٩ يوليو سنة ١٩١٨ قراراً بملكية التاج البريطانى لجميع الأراضى غير المملوكة للأفراد فى روديسيا الجنوبية ، وحق الشركة فى استغلال تلك الأراضى لتغطية مصروفاتها وعلى أساس ذلك القرار طلبت الشركة فى نوفمبر سنة ١٩١٤ من وزير المستعمرات منحها ربحاً على الأموال التى أنفقتها والوصول إلى تسوية مبكرة لوضعها فى روديسيا [٢] .

وبدأت الحكومة البريطانية فى اتخاذ الإجراءات اللازمة لتصفية الشركة فكونت فى يوليو سنة ١٩١٩ لجنة برئاسة لورد كيف Cave لتقييم موجودات الشركة عن العام المنتهى فى ٣١ مارس سنة ١٩١٨ . وطلبت الشركة مبلغ ٧٨٦٦١١٧ جنيها فى نظير تصفيتها ، ولكن اللجنة قدرت فى ١٥ يناير سنة ١٩٢١ التعويض الواجب دفعه للشركة بمبلغ ٤٤٣٥٢٢٥ جنيه ورفضت دفع فوائد عن مبلغ التعويض وقررت منح الشركة مبلغاً إضافيا عن ملكيتها للمرافق العامة والمنشات التى سوف تستولى عليها الحكومة الجديدة ، وفى نفس الوقت قررت خصم مبلغ من جملة التعويض المقترح فى نظير استغلال الشركة لأراضى المستعمرة فى أغراضها التجارية والأراضى التى منحتها مجانا لبعض الأفراد [٣] . ووافقت وزارة المستعمرات على رأى اللجنة وشكلت فى مارس سنة ١٩٢١ — لجنة بوكستون Boxton لتقرير موعد تكوين حكومة مسئولة فى روديسيا الجنوبية وحدود ومسئوليات تلك الحكومة . وقررت اللجنة فى مايو سنة ١٩٢١ ضرورة وضع حد سريع للنظام الموجود ، ومنح البلاد حكومة مسئولة ، وعرض تفاصيل نظام الحكم المقترح على الاستفتاء العام [٤] .

وعلى أساس تقرير اللجنة عرض على الناخبين مشروع دستور تحصل روديسيا الجنوبية بموجبه على الحكم الذاتى ومشروع آخر للانضمام إلى اتحاد جنوب أفريقية [٥]

---

(1) P.P. : Cmd. 8674.

(2) Cambridge Hist. : op. cit., pp. 686...687 ; Walker, E. : op. cit., p. 595.

(3) P.P. : Cmd. 1129.

(4) P.P. : Cmd. 1271.

(5) Cambridge Hist. : op. cit., p. 690.

وفى الإستفتاء الذى حدث فى ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٢٢ اختار الناخبون الحكم الذاتى باغلبية كبيرة(١) . وبناء على نتيجة الإستفتاء تم فى ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٢٣ توقيع اتفاق ديفونشاير Devonshire الذى تنازلت بموجبه الشركة عن الخسائر المالية التى تكبدتها فى الأعمال الإدارية وعن طلبها الخاص بإمتلاكها للأراضى غير المملوكة للأفراد وفى نظير ذلك تحصل على نصف الدخل الناتج عن بيع تلك الأراضى الواقعة فى شمال غربى روديسيا الجنوبية حتى سنة ١٩٦٥ وحقها فى الإحتفاظ بمليونين ونصف مليون فدان فى المنطقة الشمالية الشرقية من روديسيا الجنوبية ، وتم تخفيض مبلغ التعويض إلى مبلغ ٣٧٥٠٠٠٠ جنيه استرلينى مع احتفاظ الشركة بحقوق التعدين وإمتيازات السكك الحديدية(٢) . وبتوقيع إتفاقية ديفونشاير أعلنت الحكومة البريطانية فى ٣١ أكتوبر سنة ١٩٢٣ ضم روديسيا الجنوبية إلى التاج البريطانى(٣) .

وإذا نظرنا إلى أعمال الشركة والأهداف التى حققتها يتبين لنا أنها استطاعت خدمة المساهمين البريطانيين الذين كان يهمهم الربح المادى عن طريق الإستيلاء على روديسيا الجنوبية . أما فيما يختص بالحكومة البريطانية فقد كان يهمها فى ذلك الوقت توسيع رقعة ممتلكاتها ولكنها كانت تخشى الإعلان عن ذلك صراحة حتى لا تثير الحكومات الأوروبية ضدها ، وكانت فكرة تكوين الشركات التجارية المزودة بسلطات إدارية وسياسية لا تزال مسيطرة على عقول السياسيين البريطانيين على أساس أنها أسلم وأسرع طريقة للاستعمار وتزويد الدولة بالموظفين الاستعماريين المدربين على الأعمال الاستعمارية دون أن تتكلف الدولة شيئاً فى إعدادهم . وكان منح الشركة حق احتكار تجارة المنطقة هو إحدى الوسائل المؤدية إلى بسط النفوذ البريطانى ، وتحويل الرأى العام فى مستعمرة الرأس فى اتجاه الحكم البريطانى وفى نفس الوقت العمل على وقف التوسع البويرى من الترنسفال ، وصبغ المنطقة بالصبغة الإنجليزية البحته . وكانت الحكومة البريطانية ممثلة فى كل من سالسبورى ونتسفورد تثق فى أن منح البراءة الملكية لشركة جنوب إفريقية سيترتب عليه

(1) Walker, E. : op. cit., pp. 595—599 ; Ransford, O. : op. cit., p. 316.
(2) P.P. : Cmd. 1914.
(3) Cambridge Hist. : op. cit., p. 691.

قيام الشركة بتنفيذ الأغراض البريطانية الإستعمارية أحسن تنفيذ ، وأن الشركة سوف توجه نشاطها الإقتصادى إلى خدمة الأغراض السياسية البريطانية عن طريق التوسع فى إنشاء السكك الحديدية والطرق الصالحة للاستعمال وبذلك يتم ربط كل منطقة جنوب إفريقية ببعضها تحت السيطرة والنفوذ البريطانى . وكانت الشركة عند حسن الظن الذى أملته الحكومة البريطانية فيها فنفذت كل الأهداف المطلوبة ، ويرجع ذلك إلى أن سيسل رودس منشىء الشركة كان يرى أن من واجبه العمل بكل ما يستطيع من جهد لضم المنطقة إلى السيادة البريطانية وتكوين إمبراطورية بريطانية كبيرة تشمل كل منطقة جنوب إفريقية على أن تمتد تلك الإمبراطورية حتى تتصل بمصر التى كانت تحت الاحتلال البريطانى فى ذلك الوقت وبذلك تمتد الممتلكات البريطانية فى إفريقية من المحيط الجنوبى جنوباً حتى البحر المتوسط شمالا وتكون فاصلة بين الممتلكات الفرنسية والألمانية فى شرق وغرب القارة الأفريقية .

دكتور سعد زغلول عبد ربه

روديسيا الجنوبية

مقياس الرسم

روديسيا الشمالية

موزمبيق

REFERENCES

A—Unpublished Documents :

I. B .S .A . Co. : Directors Report (1896/1897).

2. B .S .A . Co. : Report on General and Extraordinary Meeting (1898).

3. Great Britain C .O . : 806/303.

4. Great Britain C .O . : Africa South of the Sahara, No. 358, 369, 372, 392, 459.

5. Great Britain, F .O . : 2/55, 403/143.

B—Published Documents :

I- Great Britain P .P . : C. 5524, 5918.
Corres. resp. the affairs of Bechuanaland and the adjacent Territories (1888).

2. Great Britain, P .P . : C. 7171, 7196 7290.
Corres. res. B .S .A . Co., Mashonaland, Matabeleland (1893).

3- Great Britain, P .P . : C. 7555.
Sir F. Newtens Report on Matabeleland affray, 1894.

4. Great Britain P .P . : 8547
Col Martins Report resp B .S .A . Companys Native Administration, 1897

5. Great Britain, P .P . : C 8732
Corres res administration of B .S .A Co. 1898.

6. Great Britain, P .P . : Cd. 7970.
Papers res. Southern Rhodesia Native Reserves Commission, 1914-1916.

7. Great Britain, P .P . : Cd. 8674.
Papers res. S. Rhodesia Native Reserves Commission.

8. Great Britain, P .P . : Cmd. 1129.
Papers res. Cave Commission on money due to B .S .A . Co. 1921.

9. Great Britain, P .P . : Cmd. 1273.
Frist Resport of Buxton Commission' 1921.

10. Great Britain, P .P . : Cmd. 1914.
Corres. res. proposed settlement of outstanding questions relating to position of the B .S .A . Co. in Southern and Northern Rhodesia.

11. Hertslet, E. : The Map of Africa by Treaty, 2vols. London, 1894.

C—General Works :

1. Baden-powll, R.S. : The Matabele Campaign, London, 1897.

2. Cambridge Hist. : South Africa, vol. VIII, London, 1963.

3. Colvin, J. : The Li e of Jameson, 2 vols. London, 1 923.

4. Darteer, A. :ThePioneers of Mashnaland, London, 1914.

5. De Waal, D.C. : Wi.h Rhodes in Mashonaland, Johannsbirg, 1896.

6. Frank'T .:TheStrugglc for power inRhodesia and Nyasaland, London,1920.

7. Fuller, T.E. : The Right Honourable C. Rhodes, London, 1910.

8. Gann, L.H. : A History of Southern Rhodesia, London, 1 965.

9. Gibbs, P. : The True book about C. Rhodes, London, 1956.

10. Harris, J.H. : The Chartered Millions, London, 1920.

11. Hensman, H, : History of Rhodesia, London, 1900.

12. Hensman, H.Cecil Rhodes, London, 1901.

13. Hickman, A.S. : Men who made Rhodesia, Salisbury, 1960.

14. Hole, H.M. : The making of Rhodesia, London, 1926.

15. Hole, H.M. : Lobengula, Lonon, 1929.

16. Leonard, A. : How we made Rhodesia, 1896.

17. Leys, C. : European Politics in Southern Rhodesia, Oxford, 1959.

18. Maguire, J. : Cecil Rhodes, London, 1897.

19. Malcolm, D.C. : The Bri.ish South Africa Co. (1889-1939), London, 1939.

20. Mason, P. : The Birth of a Dilema, Oxford, 1958.

21. Pcller, S. : Lobengula, johannesberg, 1963.

22. Ransford, O. : The Rulers of Rhodesia, London, 1968.

23. Robinson, R. and Others : Africa and The Victorians, London, 1961.

24. Selous, F. : Sunshine and Storme in Rhodesia, London, 1896.

25. Samkange, S. : Origins of Rhodesia, London 1968.

26. Walker, E. : A History of Southern Africa, London, 1959.

27. Williams, B. : Cecil Rhodes, London, 1921.

شمال أفريقيا والحركة الصليبية

١١٨٩ – ١٣٩٠م

الدكتور محمد محمد امين
جامعة القاهرة

NORTH AFRICA AND THE CRUSADES

1189—1390 A.D.

By
Dr. MOHAMED M. AMIN
Cairo University

North Africa had a good geographical situation in the West of Mediterranean Sea, and its Islamic States — in middle ages had a big naval force. So it played a considerable role in the crusades in the Levant. Its role had cleared in :—

1. Saladin's letter to the Caliph Al-Mansur Ya'qub Almohad in Morocco to say that if Western Christendom was sending its knights to fight for the Holy Land Western Islam should do likewise.
2. The co-operation between Egypt and Tunis against St. Louis's crusades, in Egypt 1249 A.D. and in Tunis 1270 A.D.
3. New plans of crusades in propagandists's projects cleared the importance of the Africa as a route to Egypt and Levant.
4. The crusade in 1390 A.D. against The Kingdom of Tunis (town of AL-Mahdiya), under the leadership of Duke Louis II of the house of Bourbon.

تمهيد :

قامت الحركة الصليبية فى العصور الوسطى بدعوى تخليص بيت المقدس من أيدى المسلمين ، إلا أن هذه الحركة لم تكن مجرد حرب لاسترداد الأراضى المقدسة من المسلمين ، وحماية حجاج الغرب إلى بيت المقدس ، بل كانت المتنفس الذى عبر به الغرب الأوربى ، فى العصور الوسطى ، عن حماسته الدينية ونقمته على الاسلام والمسلمين من ناحية ، وعن رغبته فى التوسع والاستعمار من ناحية أخرى ، وعن ثورته على الأوضاع الفكرية والإجتماعية والاقتصادية التى سادت الغرب الأوربى فى تلك العصور من ناحية ثالثة(١) .

ولذلك لم تقتصر الحركة الصليبية على ميادينها المعروفة فى الشام ومصر والعراق وشبه الجزيرة العربية ، بل اتسعت حتى شملت أسبانيا وآسيا الصغرى وشمال أفريقيا(٢).

والواقع أن لشمال أفريقيا(٣) أهمية حربية خاصة فى مجال الحروب الصليبية ، نتيجة لإشرافه على النصف الغربى للبحر المتوسط ، وسيطرته البحرية على هـذا الجزء فى حالة قوة دوله ، فضلا عن أهمية موقعه الجغرافى ، وإمكان استغلال هذا الموقع فى ضرب الأساطيل الصليبية قبل وصولها إلى المشرق ، وقد تنبه إلى هذه الأهمية كل من المسلمين والصليبيين على السواء ، فمنذ وقت مبكر أدرك السلطان صلاح الدين الأيوبى أهمية دول شمال أفريقيا الإسلامية فى جهاده ضد الصليبيين ، ثم عادت هذه الأهمية إلى الظهور خلال التعاون بين مصر وتونس ضد حملتى لويس التاسع على مصر (١٢٤٩م) ، ثم على تونس (١٢٧٠م) ، أما إدراك الصليبيين إلى هذه الأهمية فتجلى فى حملة لويس التاسع على تونس ، وما أعقب ذلك من إهتمام دعاة الحرب الصليبية بشمال أفريقيا ، ومحاولات الصليبيين للاستيلاء على بعض مدن الشمال الافريقى الساحلية .

إدراك المسلمين لأهمية شمال أفريقيا :

كان من نتيجة إنتصار صلاح الدين الأيوبى على الصليبيين فى موقعة حطين ،

(١) عن بواعث الحركة الصليبية أنظر سعيد عبد الفتاح عاشور (الدكتور) : الحركة الصليبية ج ١ ص ٢٧ وما بعدها ، أوربا العصور الوسطى ج ١ ص ٤٤٠ وما بعدها .

(٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٢٣٧ .

(٣) المقصود بشمال أفريقيا هنا : المغرب والجزائر وتونس بحدودها الحالية .

واسترداده لبيت المقدس سنة ٥٨٣ هـ - ١١٨٧ م ، قيام الحملة الصليبية الثالثة ، والتى تولى قيادتها ثلاثة من كبار ملوك أوربا هم : فردريك بربروسا أمبراطور ألمانيا ، وفيليب أغسطس ملك فرنسا وريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا ، ثم كان الحصار الصليبي لعكا (أواخر أغسطس ١١٨٩ م) وازاء تفوق الصليبيين البحرى لم يجد صلاح الدين بدا من دعوة كافة حكام المسلمين - فى المشرق والمغرب - لمشاركته فى الجهاد[١] .

ويهمنا فى هذه الدراسة الرسائل التى أرسلها صلاح الدين الأيوبى إلى المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الخليفة الموحدى بالمغرب (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ - ١١٨٤ - ١١٩٩ م) يستنجد به ليمده بالأساطيل « لتحول فى البحر بين أساطيل الفرنج وبين امداد النصرانية بالشام ، ولمنازلة عكا وطرابلس بالشام »[٢] ، وفى ذلك يقول أبوشامة : «ليقطع عنهم (أى عن الصليبيين) مادتهم من جهة البحر»[٣].

وجاء بهذه الرسائل[٤] ما يدل دلالة قاطعة على إدراك صلاح الدين الأيوبى

---

(١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص ٨٤١ وما بعدها ،
Gibb (H.) : The Life of Saladin, P. 62.

(٢) السلاوى (أبو العباس أحمد بن خالد الناصرى) : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى جـ ٢ ص١٦٢ ، ١٦٣ ، الجيلالى (عبد الرحمن بن محمد) : تاريخ الجزائر العام جـ ٢ ص٣٠٩، ٣١٠.

(٣) أبو شامة (شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن) : الروضتين فى أخبار الدولتين جـ ٢ ص ١٧٠ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص ٨٦٠ ، الناصر صلاح الدين ص ٢٣٣ ،
Gibb: op. cit P. .63.

(٤) حفظت لنا المصادر حول هذا الموضوع خمس رسائل هى حسب ترتيبها :

١ - خطاب بقلم القاضى الفاضل عن السلطان صلاح الدين الأيوبى إلى المنصور يعقوب بن يوسف فى سنة ٥٨٥ هـ - القلقشندى (أبو العباس أحمد) : صبح الأعشى فى صناعة الأنشا جـ ٦ ص ص ٥٢٦ - ٥٣٠ ، كما ورد نص هذا الخطاب فى - أبن منكلى (محمد بن منكلى) : الأحكام الملوكية والضوابط الناموسية فى فن القتال فى البحر (مخطوط) ورقة ١٢٣ - ١٢٧ .

٢ - خطاب بقلم القاضى الفاضل عن السلطان صلاح الدين الأيوبى إلى سيف الدولة أبن منقذ رسوله إلى ملك المغرب يعقوب بن يوسف - مؤرخ فى ٢٨ شعبان ٥٨٦ هـ - أبو شامة : المرجع السابق جـ ٢ ص ص ١٧٠ - ١٧١ .

٣ - خطاب من صلاح الدين الأيوبى إلى ملك المغرب يعقوب بن يوسف - بدون تاريخ ، ويختلف نصه عن الخطاب الأول - أبو شامة : المرجع السابق جـ ٢ ص ص ١٧١ - ١٧٣ .

٤ - كتاب من القاضى الفاضل إلى السلطان صلاح الدين الأيوبى بشأن الرسالة إلى ملك المغرب أبو شامة : المرجع السابق جـ ٢ص ص ١٧٤ - ١٧٦ .

٥ - قطعة من رسالة بقلم القاضى الفاضل من صلاح الدين الأيوبى إلى أبن منقذ - وهو بالمغرب - ينهى إليه أخبار القتال حول عكا - أبو شامة : المرجع السابق جـ ٢ ص ص ١٨٨ - ١٨٩ .

إلى أهمية الدور الذى يمكن أن تقوم به الدويلات الإسلامية فى شمال أفريقيا ، فى الجهاد ضد الصليبيين ، فلم يكتف صلاح الدين الأيوبى بطلب المعونة البحرية بل أشار إلى ضرورة قيام أسطول الموحدين بمحاصرة أسطول صقلية ومنعه من الاشتراك فى الحملة الصليبية الثالثة[1] ، فجاء فى إحدى هذ الرسائل « . . . ولو أن دربة عساكرنا فى البحر كدربتها فى البر ، لعجل الله منهم الانتصاف ، واستقل واحدنا بالعشرة ومائتنا بالالف ، وقد اشتهر خروج ملوك الكفار فى الجمع الجم ، والعدد الدهم ، . . . ولما مخض النظر زبده ، وأعطى الرأى حقيقة ما عنده ، لم نر لمكاثرة البحر إلا بحراً من أساطيله المنصورة فان عددها واف ، وشطرها كاف ، وبمكنه — أدام الله تمكينه — أن يمد الشام منه بعد كثيف ، وحد رهيف ، ويعهد إلى واليه أن يقيم إلى أن يرتبع ويصيف ، ويمكنه أن يكف شطر الأسطول طاغية صقلية ليحص جناح قلوعه أن تطير ، ويعقل عباب بحره أن يغير ، ويعتقله فى جزيرته ، ويجرى إليه قبل جزيرته ، فيذهب سيدنا وعقبه بشرف ذكر لا ترد به المحامد على عقبها ، ويقيم على الكفر قيامة يطلع بها شمس النصر من مغربها . . . . »[2].

كذلك جاء فى رسالة السلطان صلاح الدين إلى رسوله شمس الدين أبو الحزم عبد الرحمن بن منقذ الذى أرسله إلى ملك المغرب ، ما يوضح أهمية موقع بلاد المغرب الجغرافى وإمكان استغلال هذا الموقع فى الجهاد ضد الصليبيين ، فجاء بها : « . . . فاذا كانت الأساطيل بالجانب المغربى ميسرة ، والعدة فيها متوفرة والرجال فى اللقاء فارهة ، وللمسير غير كارهة ، فالبدار البدار ، . . . وإذا كانت دون الأسطول موانع ، أما من قلة عدة ، أو من شغل هناك بمهمة ، أو بمباشرة عدو ما تحصن منه العورة ، أو قد لاحت منه الفرصة ، فالمعونة ما طريقها واحدة ، ولا سبيلها مسدودة ، ولا أنواعها محصورة ، تكون تارة بالرجال ، وتارة بالمال . . . فلا ترضى همته أن يعين الكفر الكفر ، ولا يعين الأسلام الأسلام

---

(١) كان وليم الثانى ملك صقلية النورمانى قد بادر سنة ١١٨٨ م بارسال أسطول يحمل بضع مئات من الفرسان إلى طرابلس تحت قيادة أمير البحر مارجريت البرنديزى الذى نجح فى منع صلاح الدين من الاستيلاء على طرابلس واللاذقية ، وخشى صلاح الدين أن يكون هذا الأسطول النورمانى مقدمة لحملة صليبية كبرى — سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص ٨٤٢ ، ٨٤٣ ،

Grousset (R.) : Hist - des Croisades, vol. 3, P. 8., Runciman (S.) : A Hist - of the Crusades, vol. 3, P. 5.

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٦ ص ٥٢٦ — ٥٣٠ ، أبن منكلى : الأحكام الملوكية ورقة ١٢٣ — ١٢٧ .

وما اختص بالاستعانة إلا أن العدو جاره ، والجار أقدر على الجار ، وأهل الجنة أولى بقتال أهل النار ، ولأنه بحر والنجدة بحرية ، ولا غرو أن يجيش البحار البحار . . . »[1] .

ويتأكد نفس المعنى فى النص الذى أورده أبو شامة عن رسالة صلاح الدين إلى ملك المغرب يعقوب بن يوسف فى شعبان سنة ٥٨٦ هـ (أكتوبر ١١٩٠ م) ، فقد جاء بها « . . . كان المتوقع من تلك الدولة العالية ، والعزمة الغادية ، مع القدرة الوافية ، والهمة المهدية الهادية ، أن يمد غرب الإسلام المسلمين بأكثر مما أمد به غرب الكفار الكافرين . . . »[2].

كما جاء أيضاً فى رسالة السلطان صلاح الدين إلى رسوله ابن منقذ — وهو بالمغرب — ينهى إليه أخبار القتال حول عكا ، جاء بها « . . . وأحوج ما كنا إلى النجدة البحرية ، والأساطيل المغربية ، فان عاريتنا به ترد ، وعاديتنا بها تشتد . . . ، فان للاسلام نظرات إلى الأفق الغربى يقلبها ، وخطرات من اللطف الخفى يقربها ، ويكفى من حسن الظن أنها نظرة ردت الهواء الشرقى غربا ، وخطرة أوهمت أن تلك الهمة لو تلم بالسفائن لأخذت كل سفينة غصباً . . . »[3].

ورغم أن هذه الرسائل لم تأت بالثمرة المرجوة منها ، بسبب انشغال الموحدين بحروبهم فى الأندلس ، فضلا عن مهاجمة قراقوش لاطراف المغرب واستيلائه على تونس واعلان تبعيتها لصلاح الدين[4] ، فانها تدل على إدراك صلاح الدين الأيوبى — منذ وقت مبكر — إلى أهمية موقع دول شمال أفريقيا الإسلامية ، والدور الذى يمكن أن تقوم به من أجل التخفيف من حدة الهجوم الصليبى على الشام ، وهى ولا شك نظرة استراتيجية عميقة فى استغلال إمكانيات العالم الإسلامى

(١) أبو شامة : الروضتين جـ ٢ ص ١٧٠ ، ١٧١ .

(٢) أبو شامة : المرجع السابق جـ ٢ ص ص ١٧١ — ١٧٣ ، Grousset ; op. cit. vol. 3, p. 32.

(٣) أبو شامة : المرجع السابق جـ ٢ ص ١٨٨ ، ١٨٩ .

(٤) عن العلاقة بين صلاح الدين ، والمنصور يعقوب بن يوسف أنظر — سعد زغلول عبد الحميد (الدكتور) : العلاقة بين صلاح الدين وأبى يوسف يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن الموحدى — مجلة كلية الآداب جامعة الأسكندرية ١٩٥٢ — ١٩٥٣ ص ٨٤ — ١٠٠ ، ابن أيبك (أبو بكر عبد الله) : كنز الدرر جـ ٧ (تحقيق د . سعيد عاشور) ص ٨٣ ، الجيلالى : تاريخ الجزائر العام جـ ٢ ص ٣٠٩ ، ٣١٠ ، Gibb, op. cit P.63. .

الجغرافية والحربية والمادية فى الجهاد ضد الصليبيين ، وهو ما يتفق مع أحدث أساليب الحرب الاستراتيجية الحديثة .

وإذا كانت رسائل صلاح الدين لم تجد تجاوبا لدى حكام المغرب الموحدين ، فان حكام تونس من الحفصيين ، قاموا بدور هام ضد العداون الصليبي على مصر على يد لويس التاسع — ملك فرنسا — الذى قاد الحملة الصليبية السابعة ضد مصر فى صفر ٦٤٧ هـ يونيه ١٢٤٩ م[1]. وينحصر ذلك الدور فى تلك الرسالة الهامة التى أرسلها الأمير أبو زكرياء يحيى بن المولى ابى محمد عبد الواحد بن أبى بكر بن المولى أبى حفص عمر الهنتاتى ، أمير تونس[2] (٦٢٥ — ٦٤٧ هـ — ١٢٢٨ — ١٢٤٩ م) إلى سلطان مصر الملك الصالح نجم الدين أيوب (٦٣٧ — ٦٤٧ هـ — ١٢٤٠ — ١٢٤٩ م) يخبره بتحركات الملك لويس التاسع وقصده الديار المصرية .

وقد أشار إلى هذه الرسالة الهامة إشارة واضحة وصريحة مؤرخ الدولة الحفصية ابن القنفذ القسنطينى (٧٤٠ — ٨١٠ هـ — ١٣٣٩ — ١٤٠٧ م)[3] ، فذكر فى كتابه الفارسية فى مبادىء الدولة الحفصية : « وكان الملك الصالح ابن الملك الكامل بن أيوب صاحب الديار المصرية يعد للامير أبى زكرياء هذه الفضيلة وراه أخا ، فانه تحقق قصد الفرنسيس إلى الديار المصرية ، قبل أن يبلغ ذلك الملك

(١) عن حملة لويس التاسع على مصر أنظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص ١٠٥١ وما بعدها ، زيادة (الدكتور محمد مصطفى) : حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته فى المنصورة ص ٨٧ وما بعدها ، محمد محمد أمين (الدكتور) : السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب (رسالة ماجستير بجامعة القاهرة ١٩٦٨) ص ١٠٨ وما بعدها ، جوزيف نسيم (الدكتور) لويس التاسع فى الشرق الأوسط (القاهره ١٩٥٩) ، هزيمة لويس التاسع على ضفاف النيل (القاهرة ١٩٦٠) .

(٢) هو يحى بن عبد الواحد بن أبى بكر بن عمر ، ولد فى مراكش سنة ٥٩٩ هـ — ١٢٠٢ م وبويع فى القيروان ثم فى تونس سنة ٦٢٥ هـ — ١٢٢٨ ، ولم يتسم بأمير المومنين واقتصر على الأمير ثم بويع بيعة ثانية سنة ٦٣٤ هـ — ١٢٣٧ م ، واعترفت بأمارته قسنطينة ، وبجاية ، وتلمسان ، وسبته ، والمرية ، وأشبيلية، وغرناطة ، وشريش ، وسجلماسة — أنظر الوزير السراج (محمد بن محمد الأندلسى) : الحلل السندسية فى الأخبار التونسية جـ ١ ق ٤ ص ١٠٢٣ وما بعدها، أبن القنفذ القسنطينى (أبو العباس أحمد بن على بن الخطيب) : الفارسية فى مبادئ الدولة الحفصية ص ١٠٧ وما بعدها، أبن أبى دينار (أبو عبد الله محمد بن أبى القاسم الرعينى القيرواني) المؤنس فى أخبار أفريقيا وتونس ص ١٣٢ وما بعدها .

(٣) عن أبن القنفذ وارتباطه بالأسرة الحفصية أنظر مقدمة كتاب الفارسية تحقيق محمد الشاذلى النيفر وعبد المجيد التركى ص ٨٤ وما بعدها .

الصالح ، فوجه كتابه فى ذلك فى البر إلى الملك الصالح ، فدخل عليه الرسول بالقاهرة ، فجاءه بالكتاب ، فاذا فيه الاعلام بما عزم عليه العدو — دمره الله — والاعتذار على عدم المبادرة إليه بنفسه وجنده ، لما يخشى من عدو صقلية المجاورة له ، ومن أعراب أفريقية ، فافاض على ذلك الملك الصالح فى شكر الامير ابى زكرياء وأثنى عليه ، وأخذ حينئذ فى الاجتهاد للقاء العدو[1] » .

وإذا كان مؤرخو الحروب الصليبية لم يشر أى منهم إلى هذه المراسلة الهامة فربما يرجع ذلك إلى أنها وردت فى تأريخ للدولة الحفصية ، ولم يرد ذكرها فى أى من مصادر الحروب الصليبية المتداولة .

ولا شك فى أن الموقع الجغرافى للدولة الحفصية ، وبسط نفوذها على بعض مدن الأندلس ، جعلها أقرب جغرافيا إلى فرنسا ، وبالتالى أعلم بما يدور فى فرنسا من استعدادات عسكرية ، خاصة وأن الدعوة للحملة الصليبية السابعة بدأت فى مجمع ليون الذى عقد فى صيف سنة ١٢٤٥ م ، وقرر ضرورة إنفاذ حملة صليبية إلى الشرق لتدارك الموقف قبل فوات الأوان[2] ، وذلك عقب استيلاء قوات الخوارزمية — العاملة فى خدمة الصالح أيوب — على بيت المقدس سنة ٦٤٢هـ-١٢٤٤م[3] ، يضاف إلى ذلك أن استعدادات لويس التاسع لم تكن على درجة كبيرة من السرية ، ففى مجمع ليون أعلن البابا أنوسنت الرابع Innocent IV اختيار البابوية لويس التاسع لتولى قيادة الحملة الصليبية [4] . وأخذ لويس التاسع يستعد لحملته الصليبية طوال ثلاث سنوات ، تسربت خلالها أخبار حملته إلى الدول المجاورة ومن بينها الدولة الحفصية ، فكانت رسالة أمير تونس إلى سلطان مصر .

ولا شك فى أن الملك الصالح أيوب استفاد كثيراً من هذا التحذير ، فضلا

---

(١) أبن القنفذ القسنطينى : الفارسية ص ١١٢ .

(٢) سعيد عاشور — الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٠٥٢ ، ١٠٥٣ .

(٣) محمد محمد أمين : السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ص ١٠٢ وما بعدها .

(٤) زيادة : حملة لويس التاسع ص ٨٩ ، محمد محمد أمين : المرجع السابق ص ١١٢ ، ١١٣ .

عن التحذير المماثل الذى وصله من الامبراطور فردريك الثانى ، إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة[1] ، وعمل على استكمال استعداداته العسكرية .

وإذا كانت رسائل صلاح الدين إلى المنصور يعقوب شاهد على إدراك صلاح الدين إلى أهمية دول شمال أفريقيا بالنسبة للحركة الصليبية ، فان رسالة أمير الدولة الحفصية هى الدليل العملى على هذه الأهمية ، وإشارة إلى بعض ما يمكن أن يقدمه الغرب الإسلامى إلى الشرق الإسلامى فى جهاده ضد الحركة الصليبية ، وتأكيداً جديداً إلى إدراك المسلمين فى الشرق والغرب إلى أهمية شمال أفريقيا فى مجال الحروب الصليبية .

إدراك الصليبيين لأهمية شمال أفريقيا :

أما إدراك الصليبيين إلى أهمية دول شمال أفريقيا الإسلامية فى الحركة الصليبية ، فقد بدأ متأخراً نسبياً ، وتجلى هذا الإدراك فى اتجاه حملة لويس التاسع Louis IX سنة ٦٦٨ هـ - ١٢٧٠ م - وهى الحملة الصليبية الثامنة - نحو تونس .

فبالرغم مما عرف عن لويس التاسع من تقواه ، وأنه لم ينس مطلقاً الأرض المقدسة ، إذ كان يرسل كل سنة مبلغاً من المـــال للانفاق على جماعة عسكرية صغيرة تركها بعكا ، على أمل أنه سوف يعود مرة أخرى إلى الأرض المقدسة على رأس حملة صليبية ، ولكن لم تتهيا له الفرصة إلا سنة ١٢٦٧ م ، فاقسم للمرة الثانية على أن يقوم بحملة صليبية متأثراً بما جاءه من أخبار انتصارات السلطان بيبرس، [2] فبدأ يعد عدته،وذلك بعد أن حل به الارهاق والمرض،[3] وفى سنة ١٢٧٠ م أصبح لويس التاسع مستعداً للتوجه بحملته إلى فلسطين[4] ، وبالرغم من ذلك تحولت هذه الحملة عن غرضها الأساسى إلى ميدان آخر على يد شارل كونت أنجو Charles of Anjou ، شقيق الملك لويس [5] .

---

(١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص ١٠٥٤ وما بعدها ، محمد محمد أمين : المرجع السابق ص ١١٣ وما بعدها .

(٢) . باركر (ارنست) : الحروب الصليبية - ترجمة الدكتور السيد الباز العرينى ص ١٢٩

(٣) Langlois (Ch. V:.) Hist. de France, T. 3, II, P. 99.

(٤) Joinville : The Life of Saint Louis, P. 345 ; Runciman : op. cit., Vol. 3, P. 291.

(٥) يرى باركر أن لويس التاسع هو الذى هداه تفكيره إلى أنه يجوز أن يتحول باى (أمير) =

وبالرغم من محاولات تفسير حملة لويس التاسع ضد تونس فى ضوء تطورات التاريخ الأوربى ، فى ذلك الوقت ، ورغبة شارل كونت أنجو — الذى أصبح ملكاً على جنوب إيطاليا وصقلية ١٢٦٦ (١) — فى القبض على خصومه الذين فروا إلى تونس ، وأن يحصل على الجزية التى اعتاد الحفصيون دفعها إلى آل هوهنشتاوفن Hohenstaufen (٢) ، فانى أرى أنه يمكن إدراك الأسباب الرئيسية فى تحويل هذه الحملة إلى تونس ، فى ضوء أطماع كونت أنجو السياسية والاقتصادية ، ذلك أن شارل رأى ضرورة الإفادة من الفرنسيين والأموال الفرنسية لمصلحته الشخصية ، وليس لمساندة مملكة بيت المقدس ، فكان يأمل فى الحصول على مساعدة لشن هجوم على بيزنطة ، فاذا لم يتيسر ذلك ، فلا أقل من ضرورة تحويل الحملة الصليبية إلى جهة يمكن أن يجنى من ورائها مكاسب إقتصادية (٣) .

ولم يمنع شارل من اختيار تونس لتوجيه حملة أخيه إليها ، ما عرف عن أميرها أبى عبد الله محمد المستنصر بالله الحفصى (٦٤٧ — ٦٧٥ هـ — ١٢٤٩ — ١٢٧٧م) من ميله « للفرنج واستخدامهم (٤) » ، والعلاقات الودية التى تربطه

=تونس إلى المسيحية ، أما شارل فكان يكره مهاجمة تونس لارتباطها منذ أمد طويل بعلاقات تجارية مع صقلية ، وأن شارل أرغم على المشاركة فى خطط أخيه — باركر : المرجع السابق ص ١٢٩ ، أنظر ما يلى .

(١) أقنع البابا اربان الرابع Urban IV لويس التاسع بضرورة القضاء على الهوهنشتاوفن فى صقلية لضمان نجاح كل حملة صليبية مستقبله ، وبالرغم من وفاة أربان الرابع سنة ١٢٦٤م ، فان البابا كليمنت الرابع Clement IV أتم الأتفاق مع شارل كونت أنجو الذى زحف سنة ١٢٦٥ م على أيطاليا ونجح فى استخلاص جنوب أيطاليا وصقلية من آل الهوهنشتاوفن — عبد القادر أحمد اليوسف (الدكتور) : العصور الوسطى الأوربية ص ١٩٨ ، ٢٨٧ ، وما بعدها ،

Stephenson(C.) : Mediaeval History, P. 479—480 ; Julien : Hist. of North Africa, P. 143; Runciman : op. cit., Vol. 3, P. 291.

(٢) أعتاد الحفصيون دفع جزية صغيرة إلى النورمان ، ثم من بعدهم إلى آل هوهنشتاوفن فى صقلية مقابل عدم تعرض قراصنة صقلية لهم ، وحتى يتمكنوا من بيع حبوبهم فى موانى الجزيرة ولكن المستنصر رفض دفع هذه الجزية إلى شارل — سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص ١٢٣٨ ، Julien : op. cit., P. 143 ; Langlois : op. cit., T. 3, II, P. 101.Grousset. op. cit. Vol.3. P.652.

(٣) Julien : op. cit., P. 143 ; Runciman : op. cit., Vol. 3. P. 291,, Grousset, op. cit. Vol. 3. P. 652.

(٤) المقريزى : السلوك جـ ١ ق ٣ ص ٦٠١ .

بحكام أوربا المسيحيين ، فقد أقنع شارل أخاه لويس التاسع أن أمير تونس مستعد للتحول إلى المسيحية ، وأن إظهار قدر قليل من القوة كفيل بتحقيق هذه الغاية ، وبذلك يمكن إضافة إقليم جديد إلى العالم المسيحى يقع فى منطقة بالغة الأهمية الاستراتيجية لكل حملة صليبية جديدة[1]، أو على الأقل الإفادة من موارد تونس وموقعها فى القيام بحملة صليبية أخرى ضد مصر ، للرد على سلطانها بيبرس الذى أصبح نشاطه يمثل خطراً حقيقياً على الصليبيين[2]، كذلك أوضح شارل أن سيطرة المسيحيين على المحور : صقلية — مالطة — تونس — سوف يغلق النصف الغربى من البحر المتوسط أمام السفن الإسلامية فى أسبانيا ومراكش ،ويمنعها من الوصول إلى المشرق الإسلامى[3] .

لم يخف أصدقاء لويس التاسع كراهيتهم واعتراضهم على هذا المشروع ، ومن هؤلاء جوانفيل الذى يقول أنه : « اعتبر جميع من أشاروا على الملك بالقيام بهذه الحملة قد ارتكبوا ذنباً مهلكاً وخطيئة كبرى ... كان أثم الذين أشاروا على الملك بالسفر إثماً عظيماً لمعرفتهم ما كان عليه من ضعف جثمانى ، إذ لم يكن يحتمل أن يؤخذ فى عربة أو بركوبه جواداً ...[4] » وبالرغم من معارضة أصدقاء لويس ، وبالرغم من مرضه ، فان لويس التاسع وثق فى أخيه شارل ، فابحر من أيج — مورت Aigues-Mortes فى جنوب فرنسا ، فى ٤ يوليو ١٢٧٠ م ، على رأس حملة ضخمة [5]، صحبه فيها أبناؤه الثلاثة ، وصهره تيبالد ملك نافار ، وغيرهم من أبناء رفاقه فى حملته الصليبية السابقة ، أو من رفاقه الذين ظلوا على قيد الحياة [6] .

(١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص ١٢٣٨ ،
Duggan (A.) : The Story of the Crusades, P. 244 ; Sadeque (S.F.) : Baybars I of Egypt, P. 60; (Runciman : op. cit., Vol. 3, PP. 291—292, Grousset : op. cit. vol.3 . p. 651, Archer T.A.) The Crusades, p. 401.

(٢) تزايد نشاط السلطان بيبرس (١٢٦٠ — ١٢٧٧ م) ضد الصليبيين فى الشام ، ونجح فى سنة ١٢٦٨ م فى الأستيلاء على أنطاكية — أنظر تفصيل ذلك فى سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص ١١٤٣ وما بعدها ، Langlois : op. Cit., T. 3, II, P. 460.

(٣) Duggan : op. cit., P. 244, Grousset : op. cit. vol. 3. P. 652.

(٤) Joinville : op. cit. p. 346.

(٥) بالغت بعض المصادر العربية فى تقدير عدد هذه الحملة فيذكر ابن أبى زرع « وهم فى أمم لا يعلم لها عدد ، ومددهم فى البحر متصل ، فكانت الروم فى أربعين ألف فارس ، ورماتها ألف رام ، ورجالها مئة ألف راجل » أنظر الأنيس المطرب بروض القرطاس ص ٤٠٤ .

(٦) الجيلالى : تاريخ الجزائر العام جـ ٢ ص ٣٠ ،
Langlois : op. cit., P. 467 ; Runciman : op. cit., Vol. 3, P. 291, Archer ; op. cit. P. 401.

وصل أسطول لويس التاسع أمام قرطاجنة فى ١٨ يوليو ١٢٧٠ م ، فيذكر ابن القنفذ القسنطيني « نزول النصارى بتونس بسبعة من الملوك وبكرة من العدد والعدد والخيل والاخبية وذلك فى صلاة الظهر من يوم الخميس السادس والعشرين من ذى الحجة (٦٦٨ هـ) »[1].

لم تظهر أى دلائل تشير إلى رغبة أمير تونس فى التحول إلى المسيحية ، إذ أنه أعاد تحصين عاصمته ، وتعزيز حاميتها[2] ، إذ أمر « السلطان فى سائر عمالاته بالاستكثار من العدة وأرسل فى الثغور لذلك باصلاح الاسوار واختزان الحبوب »[3] كما بعث السلطان « فى ممالكه حاشداً ، فوافته الامداد من كل ناحية ، واجتمع من المسلمين عدد لا يحصى ، وخرج الصلحاء والفقهاء والمرابطون لمباشرة الجهاد بانفسهم »[4].

أدرك الظاهر بيبرس — سلطان مصر — مدى خطورة هذه الحملة — إذا م قدر نجاحها على مصر والشام ، ولذلك نجده يتناسى خصومته مع الحفصيين[5]، ويبادر بالكتابة إلى أمير تونس أبو عبد الله محمد المستنصر يخبره بعزمه على مساعدته كما أمر بحفر الآبار فى الصحراء الغربية ليعتمد عليها الجند فى طريقهم إلى تونس ، كما أمر عربان برقة بالمسارعة إلى نجدة تونس ، وفى ذلك يقول المقريزى : « فكتب السلطان إلى صاحب تونس بوصول العساكر إليه نجدة على الفرنج ، وكتب

---

(١) ابن القنفذ القسنطيني : الفارسية ص ١٣١ .

(٢) Calmette (J.) : Le Moyen Age, P. 238 ; Duggan : op. cit., P. 245.

(٣) ابن خلدون : العبر جـ ٦ ص ٢٩١ .

(٤) ابن خلدون : المرجع السابق جـ ٦ ص ٢٩٣ ، الجيلالى : تاريخ الجزائر العام جـ ٢ ص ٣٠

(٥) ترجع أسباب الخلاف بين بيبرس والحفصيين إلى إتخاذ الحفصيين ألقاب الخلافة ، ومبايعة شريف مكة للحفصيين بالخلافة والأعتراف بسيادتها على الأماكن المقدسة فى الحجاز (٦٥٧ هـ) مما يفقد دولة المماليك سيادتها على بلاد الحجاز ، وهو أمر ليس له سابقة منذ أيام الطولونيين ، ولذلك أسرع بيبرس إلى إحياء الخلافة العباسية بالقاهرة . ابن أبى دينار : (أبو عبد الله محمد بن ابراهيم) : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ص ٣٧ ، سعيد عاشور : الظاهر بيبرس ص ١١٢ ، وأنظر أيضا :
Ayalan. D. : Studies on the transfer of the Abbasid Caliphate from Bagdad to Cairo. Arabica. Vol. VII 1960. pp. 41—59.

إلى عربان برقة وبلاد الغرب بالمسير إلى نجدته ، وأمرهم حفر الآبار فى الطرقات برسم العساكر ، وشرع فى تجريد العساكر »[١].

لم يكتف الظاهر بيبرس بذلك ، بل وعد البنادقة بامتيازات تجارية فى مصر وسوريا ، حتّى لا يقدموا مساعداتهم البحرية إلى لويس التاسع ، وحتّى إذا اضطروا إلى إجابته لطلبه تكون شروطهم قاسية ، فلا يقبلها[٢].

إنتهى أمر حملة لويس التاسع ضد تونس بالفشل ، ازاء مقاومة أمير تونس ، فضلا عن شدة حرارة الجو — فى هذا الوقت من السنة — ولتفشى الأمراض فى معسكر الصليبين ، فوقع ألوف من الأمراء والفرسان والعساكر الصليبين فريسة للمرض ، وكان لويس التاسع من أوائل من فتك بهم المرض[٣].

وصل شارل كونت أنجو بجيشه فى ٢٥ أغسطس ١٢٧٠ م ، فعلم أن أخاه — لويس التاسع — مات منذ ساعات قليلة ، فتولى شارل قيادة الحملة ، وكان لما أشتهر به شارل من القوة والنشاط ، أثره فى عدم القضاء على الحملة ، ومع ذلك فان شارل تصرف على أنه ملك صقلية ، لا محارب صليبي ، فلم يهتم إلا بمصالحه الشخصية ، ومصالح مملكته ، ولذلك أسرع بعقد معاهدة مع المستنصر فى ٥ نوفمبر ١٢٧٠ م ، حصل شارل بمقتضاها على مبلغ من المال على سبيل التعويض لنفسه ولملك فرنسا ، فيذكر ابن القنفذ : « ودفع لهم من المال فى الصلح ألف قنطار من الفضة »[٤] ، كما حصل شارل أيضاً على جزية ضخمة لخزانة صقلية ، تعادل ضعف الجزية التى كان يدفعها الحفصيون من قبل إلى آل هوهنشتاوفن[٥] ، فضلا عن السماح للرهبان والقساوسة المسيحين بالاقامة فى المملكة الحفصية تحت رعاية الدولة الأسلامية ، « ولهم إتخاذ الكنائس والأديرة ، وأن تعطى لهم الأرض الكافية

---

(١) المقريزى : السلوك جـ ١ ق ٢ ص ٥٩٠ . Grousset, op. cit. vol 3, p. 654.

(٢) Heyd (W.) : Hist. du Commerce du Levant, Vol. I, P. 409 ; Sadeque : op. cit., P. 60.

(٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص ١٢٣٩ ؛ Julien : op. cit., P,144 ; Cam. Med. Hist., Vol. 6, P. 360.

(٤) أبن القنفذ القسنطينى : الفارسية ص ١٣٢ .

(٥) باركر : المرجع السابق ص ١٣٠ ؛ Julien : op. cit. p. 144.

لذلك[1] ، ثم عاد شارل إلى إيطاليا ، ولكن بعد أن قضى على الحملة الصليبية بالفشل[2].

وإذا كانت وفاة لويس التاسع ، وفشل حملته السريع على تونس ، جعلت السلطان بيبرس يوقف استعداداته لمساعدة تونس ، فان هذا لا يقلل من أهمية مبادرة بيبرس ، وادراكه لأهمية دول شمال افريقيا الإسلامية فى جهاده ضد الصليبين .

شمال أفريقيا ومشروعات دعاة الحرب الصليبية :

وإذا كانت حملة لويس التاسع على تونس قد منيت بالفشل ، فان شمال إفريقيا احتل مكانة كبيرة فى مشروعات دعاة الحرب الصليبية فى أواخر القرن الثالث عشر ، وأوائل القرن الرابع عشر الميلادى ، وأهم هؤلاء الدعاة الذين اهتموا بشمال أفريقيا : ريموند لول Raymond Lully ، أو رومان لول Roman Lull وبوركارد Burcard وفيليب دى مزير Philippe de Mezieres ومارينو سانودو Marino Sanudo

عاصر ريموند لول (١٢٣٢ – ١٣١٦ م) فترة الانهيار الصليبى فى الشرق وسمع مع معاصريه عن سقوط عكا آخر المعاقل الصليبية فى الشام سنة ١٢٩١ م ، على يد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون[3] ، وكان لول قد بدأ نشاطه الدينى سنة ١٢٦٣ م عندما أعلن توبته ، بعد حياة مملوءة بالخلاعة والمجون ، ووهب نفسه للقديس فرانسيس St. Francis [4] ، فوضع الكثير من الكتب والرسائل[5] ،

---

(١) الجيلالى : تاريخ الجزائر العام جـ ٢ ص ٣٣ .

(٢) Joinville : op. cit., P. 350 ; Julien : op. cit., P. 144 ; Runciman : op. cit., Vol. 3, P. 291.

(٣) أنظر تفصيل ذلك فى – سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص ١١٧٦ وما بعدها .

(٤) قديس إيطالى (فرانسواداسيز) ولد سنة ١١٨٢ م ، وأسس مذهبه (الفرانسيسكى) سنة ١٢٠٩ م ، وتوفى سنة ١٢٢٦ م – الجيلالى : تاريخ الجزائر العام جـ ٢ ص ٣٣ حاشية (١) ، Turner (W.) : The Catholic Encyclopedia, Vol. XII, P. 670.

(٥) ينسب إلى لول أكثر من أربعة آلاف كتاب ورسالة ، ولكن من الثابت أنه ألف على الأقل ٣٠٠ كتاب ، ووضع خططه الصليبية فى كتاب Liber de Fine أنظر Atiya (A.S.) : The Crusade in the Later Middle Ages, P. 74 ; Crrusade, Commerce and Culture, P. 96.

وسافر إلى المراكز الرئيسية فى أوربا ليلقى المحاضرات ، كما قابل البابا ، وعرف طريقه إلى المجالس الدينية ، وسافر أيضاً إلى الشرق [1].

وكان الهدف الرئيسى لرعموند لول من وراء نشاطه الدينى هو ادخال كافة الأمم بما فى ذلك المسيحيين الشرقيين ، والتتار ، والمسلمين إلى حظيرة الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ، ومن أجل تحقيق هدفه أخذ يدعو إلى القيام بنشاط صليبى أساسه التبشير كدعوة سلمية للدخول فى حظيرة الكنيسة الكاثوليكية[2]، أما الحرب الصليبية فكان يرى أنها آخر أمل لتحقيق هدفه ، وكان يقول أنه يدعو إلى حرب صليبية ليس بالسيف ولكن بالمحبة ، ولكن لم يلبث أن قال « ليس فقط فى الأراضى المقدسة ، ولكن أيضاً فى الدول الإسلامية بصفة عامة ، يجب أن تغزى بالجيوش[3].

لم يكن لول أول من عمل بالتبشير بين المسلمين[4] ، ولكنه كان أكثر مجهوداً من الذين سبقوه أو عاصروه ، وقد بدأ جهوده التبشيرية بين المسلمين بعد أن تعلم اللغة العربية فى مدرسة ميورقة — أول مدرسة فى الغرب لتعليم اللغة العربية — حتى أصبح يتكلم اللغة العربية بطلاقة ، ويكتب بها أيضاً ، ويترجم كتاباته إلى اللغة العربية[5].

وفى سنة ١٢٩٢ م أبحر لول من جنوة إلى تونس ، ليدعو إلى المسيحية عن طريق الفلسفة[6] وهناك نظروا إلى دعوته على أنها شرك وحض على الكفر ، فحكم عليه بالاعدام ، ثم خفف الحكم إلى النفى ، فنقل من زنزانته إلى مركب جنوى

---

(١) Atiya : The Crusade in the Later Middle Ages, P. 75.

(٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص ١١٩٤ ، Runciman : op. cit., Vol. 3, P. 431

(٣) Atiya : op. cit., P. 75...76.

(٤) من الأفكار الصليبية للتبشير بالمسيحية بين المسلمين ، ماظهر أثناء حملة الأطفال سنة ١٢١٢ م عندما ظهر فى حوض الرين صبى أسمه نيقولا ، نادى بأن الأطفال الألمان لن يلجأوا إلى غزو الأراضى المقدسه بالقوة ، وإنما سينجحون فى تحويل المسلمين جميعاً إلى المسيحية عن طريق التبشير — سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص ٩٥٥ ، ٩٥٦ .

(٥) Atiya : op. cit., P. 89 ; Turner : op. cit., P. 670.

(٦) Turner : op. cit., P. 670.

تحت وابل من الحجارة فى شوارع المدينة[1] .

ورغم أن حياته أنقذت باعجوبة ، فانه كان يحلم بالعودة ثانية إلى تونس « لينقذ أرواحهم» على حد تعبيره[2]، ولكنه قبل أن يعود ثانية إلى تونس سمع بغزو التتار لبلاد الشام سنة ١٢٩٩ م ، فاسرع إلى قبرص فى طريقه إلى الشام عسى أن يقابل خان التتار يدعوه إلى المسيحية ، ولكنه وصل إلى الشام بعد أن غادرها التتار فطلب من هنرى الثانى ملك قبرص مساعدته فى مهمته التبشرية فى مصر والشام ، ولكن هنرى الثانى أعادة إلى جنوه ، ومنها إلى باريس[3].

وفى سنة ١٣٠٧ م أبحر لول ثانية إلى شمال أفريقيا ، وفى هذه المرة نزل فى مدينة بجاية بالجزائر ، فى محاولة لنشر المسيحية بين المسلمين وخاصة البربر ، وفى بجاية اتصل ببعض العلماء المسلمين ، وطلب مناظرتهم فى مواضيع دينية تتعلق بالإيمان ، وحدد قاضى المدينة الزمان والمكان لتلك المناظرة ، إلا أن الرأى العام فى بجاية ثار على لول فالقى به فى السجن بتهمة الاساءة إلى المسلمين[4] ، ولحمايته من غضب الجماهير ، وبعد أن قضى فى السجن مدة ستة أشهر ، طرد من البلاد[5].

ولم يلبث أن قدم لول مشروعا إلى مجمع فيينا Council of Vienna (١٣١١ – ١٣١٢ م) للقيام بحملة صليبية[6] ، يكون على رأسها ملك ، وتشترك فيها جميع هيئات الفرسان من داوية واسبتارية وتيوتون وغيرهم ، على أن يندمجوا جميعاً فى هيئة واحدة تحت زعامة الملك الذى سيتولى قيادة الحملة ، واقترح لول أن يبدأ خط سير الحملة من أسبانيا حيث يقوم الصليبيون بطرد المسلمين منها ، ثم ينتقلون عبر المضيق إلى شمال أفريقيا[7] ، حيث يحاربون البربر فى عقر دارهم ،

---

(١) سعيد عاشور : المرجع السابق ج ٢ ص ١٢٣٩ . الجيلالى : تاريخ الجزائر العام ج ٢ ص ٣٣ . Atiya : op. cit., P. 90.

(٢) Atiya : op. cit., P. 90.

(٣) Ibid, P. 90...91.

(٤) أنظر ملخص آراء لول فى اليهودية والمسيحية والاسلام فى Atiya : op. cit., P. 92.

(٥) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٢٣٩ ، Atiya : op. cit., P. 90...91.

(٦) Turner : op. cit., P. 670.

(٧) كانت حملة لويس التاسع على تونس أول اشارة إلى أهمية شمال أفريقية كقاعدة لضرب مصر=

مبتدئين بسبته ، ثم يتوجهون نحو تونس ويزحفون بحذاء الساحل إلى مصر ، وبذلك يسهل الاستيلاء على مصر واستعادة الأراضى المقدسة(1).

ورغم فشل ريموند لول مرتين فى التبشير بالمسيحية فى شمال أفريقية ، ورغم أنه بلغ الثالثة والثمانين من عمره ، فانه عاد للمرة الثالثة والأخيرة إلى شمال أفريقيا سنة ١٣١٥ م ، وفى هذه المرة كان يحمل خطاب توصية مؤرخ ٥ نوفمبر ١٣١٤ م من جيمس الثانى ملك أرغونة James II of Aragon لأمير تونس أمير المؤمنين المولى ابى يحيى اللحيانى بن الأمير ابى العباس (٧١١ هـ — ٧١٧ هـ — ١٣١١ — ١٣١٧ م)(2) فسمح أمير تونس لريموند لول بقضاء حياة هادئة فى تونس واحتاط لول فاخذ يدعو لدعوته سراً ، ولا يجعل سبباً للعامة لطرده ، ولكن أحد كتبه التى كتبها فى حوالى ذلك الوقت ، قدم إلى مفتى تونس ، ولذلك نقل لول إلى بجاية بالجزائر(3).

وفى بجاية تحقق أمل ريموند لول ، إذ أنه كان قد أعرب منذ عشرين سنة أنه يأمل أن يظل فى مهمته التبشيرية حتى الموت ، كما عبر فى مناسبة أخرى عن خوفه من أن يموت ميتة طبيعية ، فما أن وصل إلى بجاية فى أواخر سنة ١٣١٥ م أو فى بداية سنة ١٣١٦ م حتى اكتشف أمره ، ورجم بالحجارة على الشاطىء حتى الموت وعندئذ قام أثنان من التجار الجنوية بسحب جثته إلى سفينتهما ، وعندما

= مستقبلا ، أما رومان لول فيعتبر أول من أشار إلى طريق الساحل الشمالى لأفريقيا كطريق الحملات الصليبية ، ثم تلاه فى ذلك كل من بركارد وفليب مزيير — أنظر Atiya : op. cit., Ps. 80,101,147. وانظر ما سبق ص ١٥٨ وما يلى ص ١٦٥، ١٦٦ .

(١) إعتقد الصليبيون منذ وقت مبكر أن مفتاح بيت المقدس فى مصر ، وأن استيلائهم على مصر هو الضمان الوحيد لضمان سيطرتهم على بيت المقدس ، ويؤكد هذا ما ذكره ابن واصل عن حملة لويس التاسع على مصر فيقول : « حدثته نفسه بأن يستعيد البيت المقدس إلى الفرنج إذ هو بيت معبودهم على ما يزعمون ، وعلم أن ذلك لا يتم إلا بملك الديار المصرية » أبن واصل : مفرج الكروب (المخطوطة ،) ج ٢ ورقة ٣٥٥ ب . سعيد عاشور . الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١٩٤ ، ١٢٣٩ ، Atiya : op. cit., P. 80...81.

(٢) أبن أبى دينار : المؤنس فى أخبار أفريقيا وتونس ص ١٤٢ ، ١٤٣ ، أبن منقذ القسنطينى : الفارسية ص ١٥٩ ، Atiya : op. cit., P. 93.

(٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٢٤٠ ، الجيلالى : تاريخ الجزائر العام ج ٢ ص ٣٣ ، ٣٤ ؛ Atiya : op. cit., P. 94.

وصلا إلى Las Palmas فى جزر البليار (ميورقة) دفن فى كنيسة سان فرانسسكو[1] .

أما بوركارد Burcard فهو من دعاة الحروب الصليبية فى القرن الرابع عشر الميلادى ، إذ بدأ نشاطه الدينى بالرحيل إلى الشرق الأدنى حوالى سنة ١٣٠٨ م وهناك ظل نحوا من أربعة وعشرين سنة يبشر بالمسيحية وفقاً للمذهب الكاثوليكى ، عندما عاد بوركارد إلى أوربا سمع بمشروع الحملة الصليبية التى كان يعدها ملك فرنسا فيليب السادس دى فالوا Philippe de Valois [2] (١٣٢٨ — ١٣٥٠ م) ، وفى الحال بدأ بوركارد يعد تقريره (Directorium) الذى قدمه للملك سنة ١٣٣٢ م[3].

وفى هذا التقرير اهتم بوركارد بدراسة الطرق المؤدية إلى الشرق ، وعدد منها أربع طرق رئيسية[4] ، منها الطريق الأفريقى ، الذى سبق أن ذكره رعوند لول ، كما درس فيما بعد فى تقرير فيليب دى مزيير فى تاريخ لاحق . إلا أننا نلاحظ أن بوركارد لم يحبذ استخدام هذا الطريق[5] ، نظراً لطول المسافة عبر مضيق جبل طارق إلى الساحل الشمالى لافريقيا ثم الاتجاه شرقاً عبر الطريق البرى إلى عكا ، ولا يقصر من طول هذه المسافة اتجاه الصليبيين مباشرة إلى تونس ، ومنها براً إلى الشرق ، يضاف إلى ذلك أن نزول الصليبيين فى شمال أفريقيا سوف يستتبعه

---

(١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص ١٢٤٠ ؛
Atiya : op. cit., P. 94 ; Crusade, Commerce, Culture, P. 96.

(٢) لم يقدر لمشروع حملة فيليب السادس أن يخرج إلى حيز التنفيذ ، فبينما كان فيليب يشرف على الترتيبات النهائية لاقلاع حملته من مرسيليا إلى الشرق ، إذ بلغه نبأ هجوم الأنجليز على بلاده ، فتجددت حرب المائة عام بين إنجلترا وفرنسا ، واضطر فيليب إلى العودة مسرعا إلى باريس — سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص ١١٩٨ .

(٣) Atiya : op. cit., P. 97...99 ; Runciman : op. cit., Vol. 3, P. 440.

(٤) الطرق الأربعة التى حددها بوركارد هى : الطريق الأفريقى ، وطريق البحر إلى قبرس ومنها إلى الشام ، وطريق شمال إيطاليا إلى دلماشيا وصربيا ثم إلى القسطنطينية ، وطريق المانيا وهنغارها ثم إلى القسطنطينية — أنظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص ١١٩٦ و ١١٩٧ ؛
Atiya : op. cit., PP. 101...103.

(٥) سعيد عاشور : المرجع السابق جـ ٢ ص ١١٩٦ ، ص ١٢٤٠ .

بالضرورة الدخول فى حروب مريرة ضد الممالك الاسلامية هناك وإذا نجح الصليبيون فى التغلب على هذه العقبة ، سيكون عليهم عبور الصحراء الليبية وتحمل قسوة الحياة بها ، فاذا وصلوا بأمان إلى وادى النيل ، فانهم سوف يجدون سلطان مصر قد أعد عدته للقضاء عليهم ، ولذا فان بوركارد يرى أنه لا أمل لنجاح حملة صليبية تتخذ هذا الطريق ، وفى ضوء هذه الاعتبارات لا يرى بوركارد أى مبرر لحملة القديس لويس السابقة ضد تونس(١).

أما فيليب دى مزيير Philippe de Mèzieres (١٣٢٦ — ١٤٠٥ م) (٢) والذى بدأ نشاطه الدينى سنة ١٣٤٥ م ، فقد كتب تقريراً (Songe du vieil Pélerim) سنة ١٣٨٩(٣) ، وهو تقرير مطول اخلاقى مثالى ، قدم فيه مزيير النصح والخبرة ، وكان من بين المشاكل الرئيسية التى درسها مزيير فى هذا التقرير ، الطرق التى على الصليبيين أن يسلكوها فى طريقهم إلى الشرق ، وأوضح مزيير أنه لا يرى ضرورة فى أن تسير كل القوى الصليبية فى طريق واحد ، وفى نفس الاتجاه ، فهناك طرق مختلفة تناسب أمما مختلفة ، وفى جميع الاتجاهات فان قضيتهم الرئيسية هى خدمة المسيحية(٤).

وبالنسبة للطريق الأفريقى ، رأى مزيير ، أنه الطريق المثالى الذى يجب أن يسلكه صليبيو أسبانيا ، وأرغونه ، والبرتغال ، ونافارى ، وأنه على هؤلاء الصليبيين أن يقوموا بغزو ممالك غرناطة ، وبنى مرين ، وتلمسان ، ومراكش ، وتونس ، قبل أن يتوجهوا إلى الشرق(٥).

وإذا كان ريموند لول ، وبوركارد ، وفيليب دى مزيير ، قد اهتموا بدراسة طريق شمال أفريقيا كطريق للحملات الصليبية إلى الشرق ، واختلفوا فيما بينهم فى تقدير مدى أهمية هذا الطريق بالنسبة لمشروعاتهم الصليبية ، فان

---

(١) سعيد عاشور : المرجع السابق جـ ٢ ص ١٢٤٠ ، وأنظر ما سبق ص ١٥٦ وما بعدها ، Atiya : op. cit., P. 101.

(٢) Atiya : op. cit., Ps. 137, 140, ; Grusade ..., P. 102.

(٣) Atiya : op. cit., P. 144.

(٤) Atiya : op. cit., PP. 146...147.

(٥) عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص ١٢٤٠ ، Atiya : op. cit., P. 147.

مارينوسانود Marino Sanudo (١٢٧٤-١٣٤٣م) [١] بحكم أصله البندقى اهتم بالعامل التجارى فى الحركة الصليبية ، ولم يغب عنه أهمية شمال أفريقيا التجارية، ولذا كان يرى أن القوة البحرية الصليبية ، يجب أن يشمل حصارها الاقتصادى[٢] بالاضافة إلى مصر ، تونس أيضاً ، وغيرها من الممالك الاسلامية[٣].

الحملات الصليبية على شمال أفريقيا فى القرن ١٤ م :

لم تكن فكرة أرسال حملة صليبية ضد شمال أفريقيا جديدة على أوربا فى أواخر العصور الوسطى ، فقد مهدت لها حملة لويس التاسع على تونس ، وكتابات دعاة الحرب الصليبية وخاصة ريموند لول ، وفيليب دى مزيير ، فى الوقت الذى كان فيه فيليب دى مزيير يعد تقريره ، تجمع أسطول مشترك أسهمت فيه صقلية بثلاث سفن ، وبيزا بخمس سفن ، وجنوة باثنى عشر سفينة ، واستطاع رجال هـذا الاسطول بقيادة منفرد Manfredo de Chiaramonte ، أن يستولوا سنة ١٣٨٨ م على جزيرة جربة[٤] الواقعة فى خليج قابس بشمال أفريقيا[٥] والتابعة لابى العباس أحمد الثانى المستنصر أمير بنى حفص فى تونس (٧٧٢ - ٧٩٦ هـ - ١٣٧٠ - ١٣٩٣ م)[٦] ، ولم تلبث أن وافقت جنوة - صاحبة القوة الكبرى فى الاسطول المشترك - على ضم جربة إلى مملكة صقلية ، بعد أن تعهدت ملكة صقلية مارى Marie بدفع مبلغ ٣٦٠٠٠ قطعة ذهبية لجنوة مقابل ما قامت به من جهد فى فتح الجزيرة [٧] ، وفى العام التالى قام البابا أربان السادس

---

(١) Atiya : op. cit., Ps. 116, 126 ; Crusade ..., P. 98.

(٢) عن دور الحصار الاقتصادى فى الحركة الصليبية أنظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص ١١٩٩ وما بعدها ، Heyd : op. cit., Vol. I, P. 152 ; Vol. II, P. 24, 25 ; Runciman : op. cit., Vol. 3, P. 441.

(٣) سعيد عاشور : المرجع السابق جـ ٢ ص ١١٩٨ ، ١١٩٩ ، Atiya : op. cit., P. 123.

(٤) جربة : جزيرة على مقربة من قابس ، بيها وبين البر الكبير مجاز - ياقوت : معجم البلدان .

(٥) سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص ١٢٤٠ ، Atiya : op. cit., P. 398.

(٦) ابن المنقذ القسنطيني: الفارسية ص ١٧٧ ، ١٨٨ ، الوزير السراج : الحلل السندسية جـ ١ ق ٤ ص ١٠٦٥ ، ١٠٧٠ ، ١٠٧١ .

(٧) سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص ١٢٤٠ ، Atiya : op. cit., P. 398.

Urban VI بتعيين منفرد كحاكم على جزيرة جربة وباقى الجزر الصغيرة القريبة من تونس[1] .

وكان لنجاح الأسطول الصليبي المشترك ، وفى مقدمته سفن جنوة ، فى الاستيلاء على جزيرة جربة ، حافزا لجنوة للتفكير فى القيام بحملة صليبية أكبر ضد المسلمين بشمال أفريقيا ذاتها ، ولتحقيق هذا الهدف رأت جنوة ضرورة الاعتماد على مساعدة إحدى الدول الأوربية الكبرى ، فاتجهت إلى شارل السادس ملك فرنسا (١٣٨٠ — ١٤٢٢ م) للتعاون معها فى مشروع الحملة الصليبية على شمال أفريقيا[2].

ويلاحظ أن شمال أفريقيا — فى هذا الوقت — أصبح يعانى من التدهور نتيجة لانحلال دولة الموحدين ، وقيام عدة أمارات على أنقاضها مثل بنى نصر فى غرناطة ، وبنى مرين فى فزان ، وبنى عبد الواد فى تلمسان ، والحفصيين فى تونس[3].

كانت تونس هى موضع اهتمام الصليبيين فى القرن الرابع عشر ، نظراً لأهمية موقعها التجارى ، مما جعل كثيراً من التجار الإيطاليين بصفة خاصة يترددون على تونس — العاصمة وموانيها مثل سوسة ، والمهدية ، وسفاقس ، وقابس ، فضلا عن جزيرة جربة التى استولت عليها صقلية سنة ١٣٨٨ م[4].

كما كانت موانى تونس قواعد طيبة لكثير من المجاهدين المسلمين ، والذين لم يفرقوا بين أعمال القرصنة والجهاد ، فيذكر ابن خلدون أن غزاة البحر «يصطنعون الأسطول ويتخيرون له أبطال الرجال ، ثم يركبونه إلى سواحل الفرنجة — وجزائرهم ، على حين غفلة فيتخطفون منها ما قدروا عليه ، ويصادمون ما يلقون من أساطيل الكفرة ، فيظفرون بها غالبا ويعودون بالغنائم والسبي والاسرى حتى امتلأت سواحل الثغور الغربية من بجاية باسراهم[5] » ولما عجز الحفصيون عن

---

(١) Atiya. op. cit. p. 398.

(٢) كانت فرنسا تمر بفترة استجمام بعد انتهاء الدور الأول من أدوار حرب المائة عام مع إنجلترا سنة ١٣٦٠ م — أنظر سعيد عاشور : المرجع السابق جـ ٢ ص ١٢٤٠ ، Atiya : op. cit., P. 399.

(٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص ١٢٤١ ، Atiya : op. cit., P. 401.

(٤) أنظر ما سبق ص ١٦٧ ، . سعيد عاشور : المرجع السابق جـ ٢ ص ١٢٤١ ، Julien : op. cit., P. 149.

(٥) ابن خلدون : العبر جـ ٦ ص ٣٩٩ ، ٤٠٠ .

منع أولئك المجاهدين القراصنة ، من مزاولة نشاطهم ، عمدوا إلى مساعدتهم وتشجيعهم [1].

ولم تستطع الجمهوريات الايطالية ، التي اعتمدت في حياتها على التجارة ، أن تسكت على تلك الاعتداءات ، ولا سيما بعد أن ثبت لديها أن شواطيء تونس بالذات هي الاوكار الرئيسية للقراصنة ، وأن هؤلاء يحظون بعطف أمير تونس ، وفي ذلك يقول ابن خلدون : « فشق ذلك على أمم الفرنجة ، فتداعوا لمنازلة المسلمين والاخذ بالثأر منهم »[2].

اختار الجنوية أن يوجهوا حملتهم الصليبية التالية إلى المهدية [3] ، ولذلك أرسلوا سفارة إلى شارل السادس – ملك فرنسا – تطلب معونته [4] ، وذلك في ٢٩ نوفمبر ١٣٨٩ م ، ونجح الجنوية في استثارة حماسة الملك شارل ، بعد أن صوروه في صورة حامي المسيحية ، المدافع عن كيانها ضد المسلمين ، كما تعهد الجنوية بالاشتراك في هذه الحملة بعشرين ألفا من المحاربين ، فضلا عن تقديم السفن والمؤن اللازمة للصليبيين ، ووعد الملك بالتفكير في الامر ، واتخاذ قراره خلال يومين ، ويقال أنه اعتذر عن عدم إمكانه تولي قيادة الحملة[5].

عرض شارل السادس الفكرة على أمرائه ، فعارضها البعض بحجة حاجة فرنسا إلى الاحتفاظ بقوتها ، ولا سيما وأن الحرب قد تتجدد بين لحظة وأخرى مع إنجلترا ، فضلا عن عدم جدوى مثل تلك الحملة على شمال أفريقيا ، ولكن انتصر رأى

---

(١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٢٤٢ .

(٢) ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ٤٠٠ .

(٣) المهدية : في أفريقية (تونس) منسوبة إلى المهدي عبد الله المهدي ، ولها موقع استراتيجي هام بين سفاقس والمنستير ، وهي جزيرة متصلة بالبر (أي شبه جزيرة) كهيئة كف متصلة بزند ، محصنة بسور ، وأبواب الحديد المصمت ، في كل مصراع من الأبواب مائة قنطار ، ولها بابان بأربعة مصاريع ، لكل باب دهليز يسع خمسمائة فارس ، ويقول البكري أن كل باب وزنه ألف قنطار ، وعلى طرفي المرسى برجان بينهما سلسلة حديد ولها مرسى منقور في حجر صلد يسع ثلاثين مركبا يقوم على طرفيه برجان بينهما سلسلة من حديد تحميه من طرق .مراكب الروم . ياقوت : معجم البلدان . ؛ البكري : المغرب في ذكر بلاد أفرقية والمغرب ص ٢٩ ، ٣٠ ، ابن خلدون : ج٤ ص ٧٩ ، مجهول : كتاب الاستبصار (تحقيق د. سعد زغلول عبد الحميد) ص ١١٧ ، ١١٨

(٤) أنظر ما سبق ص ١٦٧ .

(٥) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٢٤٢ ، Atiya : op. cit., P. 403.

الامراء الشبان الذين دفعتهم حماستهم إلى التمسك بفكرة مساعدة الجنوية ، ومشاركتهم فى حملتهم الصليبية على شمال أفريقيا[1] .

وافق شارل السادس على المساهمة فى مشروع الحملة الصليبية — الذى تقدمت به جنوة — ضد المهدية ، ولكنه وضع بعض الشروط لهذه المساعدة منها : أن يزود المشتركون فى هذه الحملة أنفسهم بالسلاح على حسابهم الخاص ، وليس على حساب الدولة ، وألا يستخدم كبار البارونات لهذه الحملة الرجال من خارج إقطاعاتهم ، وأن المسموح لهم بالاشتراك فى هذه الحملة هم الفرسان والمشاة فقط ، وليس للعامة هذا الامتياز ، ما داموا على الأقل ليسوا من السادة ، وأخيراً ألا يزيد عدد المشتركين فى الحملة عن خمسة عشر ألفا[2] .

ووقع الاختيار على لويس الثانى البوربونى Louis II, duc de Bourbon خال الملك ، ليتولى قيادة الحملة ، فقد كان رجلا ناضجاً ، ذو خبرة فى شئون الدولة والحرب [3]، ويقال أن لويس البربونى « توسل إلى الملك ليمنحه قيادة الحملة وأن يسمح له بالحرب باسم الملك ، وفى خدمة الرب ، وحيث لا يوجد مجد يعادل السير على خطوات لويس التاسع ، والحرب فى المنطقة التى قضى فيها القديس آخر أيامه للدفاع عن القضية المقدسة »[4].

ذاع خبر الحملة التى يعدها لويس الثانى البربونى ، فاقبل على المشاركة فيها الكثيرون ، وألحوا فى السماح لهم بحمل الصليب قبل أن يكتمل العدد حسب الأمر الملكى[5] ، كما أقبل على الاشتراك فى هذه الحملة عدد كبير من إنجلترا ، وأرغونة وفلاندرز ، ومختلف أنحاء فرنسا ، أما الفرسان الفرنسيون الذين اسهموا فى هذه الحملة فبلغ عددهم نحو ألف وخمسمائة فارس[6] ، كما بلغ عدد سفنها حوالى مائة سفينة كبيرة ، بالاضافة إلى عدد من السفن الصغيرة[7] ، وتم الاتفاق على أن

---

(١) سعيد عاشور : المرجع السابق جـ ٢ ص ١٢٤٢ ، ١٢٤٣ ، Atiya : Ibid.

(٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص ١٢٤٣ ، Atiya : op. cit., P. 404.

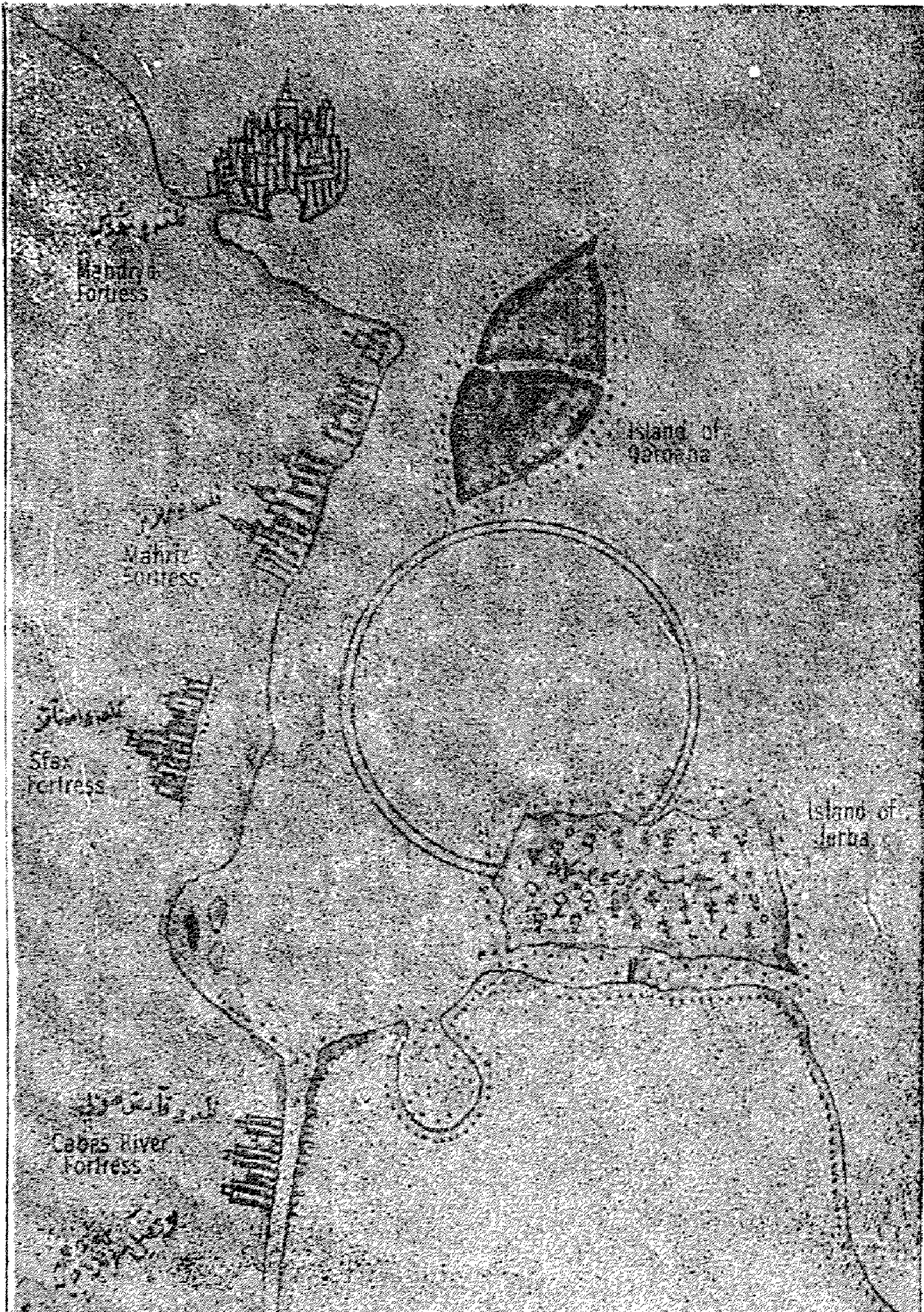
(٣) ولد لويس البوربونى فى ٤ أغسطس ١٣٣٧ ، أى أنه كان فى الثالثة والخمسين وقت الحملة — أنظر Atiya : op. cit., P. 405.

(٤) Atiya : op. cit., P. 406 ; Crusade ..., P. 105.

(٥) أنظر ما سبق ، Atiya: op. cit., P. 407, 408.

(٦) Cam. Med. Hist., Vol. 7, P. 370.

(٧) الزركشى : تاريخ الدولتين ص ١١٢ ، الوزير السراج : الحلل السندسية جـ ١ ق ٤ — ص ١٠٦٩ ، Atiya : op. cit., P. 406.



شاطىء المهدية كما فى خرائط القرن ١٦ م ـ انظر :

Atiya, A.S. : The Crusade in the Later Middle Ages, P. 398, According to the Turk Piri Re'is, Dresden (Sa chsische Staatsbibl.) Ms. Eb. 389, Fol. 117 vo

يكون تجمع القوات الفرنسية فى مرسيليا ، والقوات الجنوية فى جنوة ، ثم اجتمع الجميع فى جنوه ، ومنها أبحرت الحملة إلى المهدية فى الثالث أو الرابع من يوليو ١٣٩٠ م[١].

اتبعت الحملة أقصر طريق بين جنوة وتونس ، فسارت فى البحر التيرانى ، ثم البحر المتوسط إلى خليج قابس ، وتوقف الاسطول عند جزيرة صغيرة لاتبعد أكثر من ١٨٠ ميلا عن الشاطىء الافريقى ، وذلك لمدة تسعة أيام من أجل راحة الجنود ، ولعقد مجلس الحرب والمشورة لتقرير الخطوات التى يجب اتباعها عند الوصول إلى الشاطىء الافريقى[٢].

استقر الرأى النهائى على أن تكون المهدية (Cité d'Auffrique) الهدف الرئيسى للحملة ، وقام هذا الاختيار على أساس أن المهدية هى المركز الرئيسى للقراصنة المسلمين ، الذين كثيراً ما اعتدوا على السفن المسيحية ، وهاجموا المدن والقرى على شواطىء سردينيا ، وصقلية ، وإيطاليا[٣].

يضاف إلى ذلك أنه سبق للاوربيين الاستيلاء على المهدية مرتين : مرة سنة ٤٨٠ هـ ــ ١٠٨٧ ، عندما استولت عليها قوة مشتركة من جنوة ، وبيزا ، ونورمان صقلية ، ومرة ثانية سنة ٥٤٣ ــ ١١٤٨ م ، عندما استولى عليها نورمان صقلية ، وفى هذه المرة استمرت المهدية كمستعمرة تابعة لصقلية لمدة أثنى عشرة سنة قبل أن يستردها الموحدون فى عهد عبد المؤمن سنة ٥٥٥ هـ ــ ١١٦٠ م[٤]، وأنه طالما نجحت الجيوش المسيحية فى الاستيلاء عليها مرتين ، فيبدو أنه من الممكن الاستيلاء عليها هذه المرة أيضاً سنة ٧٩٢ هـ ــ ١٣٩٠ م .

هذا فضلا عن أن المهدية من أقوى المدن الساحلية التونسية ، وأن الاستيلاء

---

(١) ابن خلدون : العبر جـ ٦ ص ٤٠٠ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص ١٢٣٤ ، Atiya : op. cit., P. 409,410.

(٢) Atiya : op. cit., P. 411 ; Crusade ..., P. 106.

(٣) أنظر ما سبق ص ١٦٨ ، ابن خلدون : العبر جـ ٦ ص ٣٩٩ و ٤٠٠ .

(٤) ياقوت : معجم البلدان – مادة المهدية ، أبن الاثير : الكامل فى التاريخ جـ ١١ ص ١٢٥ ، ٢٤١ .

عليها يقضى على قوة تونس ، ويتيح للصليبيين الفرصة لعمليات أكبر على اعتبار أن المهدية هى مفتاح أفريقيا الشمالية[١] .

وصلت أخبار الاعداد لهذه الحملة إلى تونس ، قبل وصول الصليبيين ، فارسل أبو العباس أحمد الثانى المستنصر ، أمير تونس ابنه أبافارس « يستنفر أهل النواحى ، ويكون رصداً للاسطول هناك ويراقب الشواطىء »[٢]، ورغم هذا استطاع الصليبيون النزول إلى الشاطىء دون مقاومة[٣] ، فقد وضع المسلمون خطتهم على أساس التحصن فى مدينة المهدية ، وتجنب الاشتباك المباشر مع الصليبيين ، فيما عدا قذف النيران من الأبراج على الأسطول أثناء دخوله الميناء ، وترك الصليبيين خارج المدينة تحت رحمة حرارة الجو فى ذلك الوقت من السنة[٤].

مضى اليوم الأول دون أى اشتباك سواء من الصليبيين أو من حامية المدينة[٥]، وفى صباح اليوم التالى أمر الدوق لويس ببدء الحصار براً وبحراً ، فتولى الجنوية الحصـار مـن ناحية البحـر ، بينما قـام الفرنسيون ، وبـاقى الصليبيين الأجانب بمحاصرة المدينة من الجهات البرية الثلاث ، وقطع جميع الاتصالات بين المهدية والمناطق المجاورة ، وبالتالى منع وصول أى امدادات إليها[٦].

مرت ثلاثة أيام دون أى إشتباك بين الطرفين ، ولكن فى نهاية اليوم الثالث ، وبينما كان الصليبيون يتناولون عشاءهم ، قام المسلمون بهجوم مفاجىء على المعسكر الصليبى ، وقدرت المصادر عدد المسلمين الذين قاموا بهذا الهجوم المفاجىء بعدد

---

(١) Atiya : op. cit., P. 412.

(٢) ابن خلدون : العبر جـ ٦ ص ٤٠٠ .

(٣) لا يعرف على وجه التحديد اليوم الذى نزل فيه الصليبيون إلى البر ، فهو فيما بين يوم ٢٢ يوليو ويوم ٧ أغسطس ١٣٩٠ م – أنظر. Atiya : op. cit., P. 415.

(٤) سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص ١٢٤٤ ، Atiya : op. cit., P. 414, 415.

(٥) تذكر المصادر العربية : « فاتفق للمولى ابى فارس عبد العزيز مع النصارى وقائع منها فى يوم نزولهم وقعت بينهم وبين النصارى حروب كان للمسلمين فيها جولة » الزركشى : أخبار الدولتين ص ١١٢ ، الوزير السراج : الحلل السندسية جـ ١ ق ٤ ص ١٠٦٩ ، والمعروف أن القوات الإسلامية بقيادة ابى فارس كانت مرابطة خارج المهدية – أنظر ما يلى ص ١٧٤ .

(٦) سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص ١٢٤٤ ، Atiya : op. cit., P. 416.

يتراوح بين ستة آلاف ، وأثنى عشر ألفا ، إلا أن الحراس الصليبيين ، و كانوا نحوا من مائتى فى اسلحتهم ، وألف من الجنوية رماة الاقواس ، كانوا مستعدين لمثل هذا الهجوم المفاجىء ، وتمكنوا من صد هجوم المسلمين ، ومتابعتهم إلى بوابات المدينة ، ولم تجرؤ حامية المدينة بعد ذلك على القيام بهجوم مماثل ، وكان عليها أن تدافع عن المدينة من وراء الأسوار تاركة الأراضى الفسيحة — خارج الاسوار — للجيوش الصليبية ، والجيوش الإسلامية التى قد تأتى من أى مكان فى تونس[1].

ليس من السهل تحديد عدد الجيش الاسلامى — الذى وصل خارج المدينة — فالمصادر الغربية[2] تبالغ عادة فى اعداد المسلمين لتزيد من أهمية العمل الذى يقوم به الصليبيون ، فتذكر أن قوات إسلامية وصلت بقيادة ابى فارس — ابن أمير تونس — ، وأن مقدمة هذه القوات وصلت إلى خارج المهدية قبل وصول الصليبيين ، أما القوات الرئيسية للجيش الإسلامى ، فقد تتابع وصولها لعدة أيام ، وأنه بينما يقوم الصليبيون بمحاصرة المدينة ، جاءت سفينتان جنويتان كانتا تراقبا الشاطىء ، تخبران بتقدم الجيش الإسلامى ، وعلى رأسه امراء تونس ، وبجاية ، وتلمسان ، ويقدر عددها بستين ألفا من الجنود الأقوياء ، وفى رواية أخرى أنه بلغ عددها أربعين ألفا من الجنود[3] .

ورغم هذا تجنب المسلمون الاشتباك مع الصليبيين فى معركة فاصلة ، فعندما وصلوا إلى مرمى ضربة قوس من الصليبيين لم يتقدموا أكثر من ذلك ، وعندما حل الليل تحصنوا فى مواقعهم فوق تل صغير فى مواجهة العدو[4].

كان للصليبيين هدفين : الأول هو صد أى هجوم مفاجىء يقوم به المسلمون ، والثانى هو محاولة اخراج المسلمين من حصونهم ، وجرهم إلى معركة فى المنطقة السهلية ، ولكن ما أن وصلت الاخبار الجديدة بمقدم الجيش الإسلامى الكبير حتى

---

(١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص ١٢٤٤ ، Atiya : op. cit., P. 417.

(٢) لم تحدد أى من المصادر العربية المتداولة اعداد هذا الجيش .

(٣) ابن خلدون : العبر جـ ٦ ص ٤٠٠ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص ١٢٤٤ ، Atiya : op. cit., P. 418.

(٤) Ibid.

جمع الدوق مجلس الحرب ، للنظر فيما يمكن عمله لتحقيق أهدافهم ، فاما الجنوية الذين يعرفون أهل المغرب من المسلمين ، أكثر من غيرهم ، فقد اشاروا بضرورة احاطة المهدية بسور يعلو أربعة أقدام لمنع خيول المسلمين من القفز فى المعسكر الصليبى واشاعة الذعر بين القوات ، واقامة الابراج على هذا السور حتى يتمكنوا من مقاتلة حامية المدينة(1).

وبينما يحسن الصليبيون أوضاعهم الدفاعية ، فان المسلمين تجنبوا الدخول فى معركة حاسمة ، بل أنهم حافظوا على جعل العمليات محدودة ، وفى اضيق نطاق ، فاقتصر الأمر على مناوشات بين الطرفين ، ولكن عندما انتهى الصليبيون من بناء السور ، ونصبوا عليه برجا كبيراً يشرف على المدينة وشحنوه بالمقاتلة ، اسرع المسلمون إلى قذف ذلك البرج « بالحجارة والسهام والنفط فاحترق البرج »(2).

استمر الحصار الصليبى للمهدية تسعة أسابيع ، لم يحقق الصليبيون خلالها أى نصر أو تقدم ، فلم يستطيعوا اقتحام المدينة ، أو التغلب على الجيش الذى حضر بقيادة ابى فارس ، والذى ظل مرابطاً أمام الصليبيين ، هذا فى الوقت الذى بدأ الصليبيون — يعانون فيه من قسوة حرارة الصحراء الافريقية ، كما بدأت مؤنهم فى التناقص ، فعانوا من نقص مياه الشرب ، وزاد عدد مرضاهم ، كما بدأ الجنوية يشكون من تعطل سفنهم ، وأصبح الشعور العام فى المعسكر الصليبى يفضل رفع الحصار ، بعد أن شكوا فى جدواه ، ولم يكن المسلمون أقل رغبة من الصليبيين فى إنهاء هذا الوضع ، بعد أن تعذر عنهم أيضاً القيام بعمل حاسم ضد الصليبيين(3).

وازاء هذه الظروف فمن الطبيعى أن يرحب الطرفان بمفاوضات من أجل السلام ، وبدأ الجنويون يتوسطون لانهاء هذه الحملة الصليبية ، فهم أكثر علاقة بأهل تونس ، ومعرفة بالبلد ، كما أنهم أيضاً أقل اهتماما بالحملة الصليبية كحرب مقدسة ، ولكن كبقية أهل المدن الايطالية ، ينظرون إليها من خلال مصالحهم الاقتصادية(4).

---

(1) ابن خلدون : العبر جـ ٦ ص ٤٠٠ ، Atiya:op. cit., P. 419.

(2) ابن خلدون : العبر جـ ٦ ص ٤٠٠ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص ١٢٤٤ ، Atiya : op. cit., P. 423.

(3) سعيد عاشور : المرجع السابق جـ ٢ ص ١٢٤٤ ، Atiya : op. cit., P. 425.

(4) سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص ١٢٦٢ وما بعدها ، Atiya : op. cit., P. 426.

دخل الجنوية فى مفاوضات مع أمير تونس الحفصى ، دون أخذ رأى لويس الثانى البوربونى ، قائد الحملة[1] ، وبعد أربعة أيام توصل الطرفان إلى عقد هدنة لمدة عشر سنوات كما تعهد أمير تونس بألا يتعرض – طوال مدة الهدنة – للمسحيين فى بلاده بأذى ، وأن يدفع دخل المهدية للجنويين مدة خمسة عشر سنة ، وأن يدفع خلال عام خمسة وعشرين ألفا من الدوكات لكل من لويس البوربونى وجمهورية جنوة ، تعويضاً عن النفقات التى تحملوها فى تلك الحملة[2].

أقر لويس البوربونى ، وكبار رجال حملته ، هذه الاتفاقية ، ووجدوا فيها ترضية – كافية للصليبين ، وتعويضاً لهم عما تكبدوه من أموال ، ولذلك أمر لويس رجال الحملة بالانسحاب إلى السفن التى ابحرت عائدة إلى صقلية ومنها إلى جنوة ، حيث اتجه كل فريق من الصليبيين إلى بلده[3] ، وفى ذلك تذكر المصادر العربية : « وخيب الله سعيهم وانصرفوا بعد شهرين ونصف من نزولهم »[4] ، أو « فانصرفوا خائبين » [5]، أو « وتفرقوا شذر مذر »[6].

وهكذا انتهت الحملة الصليبية على المهدية سنة ١٣٩٠ م ، دون أن تحقق أى من أهدافها ، فلم تستولى على المدينة ، ولم تحطم قوة القراصنة ، أو الجيش الاسلامى فى شمال أفريقيا ، كما أنها لم تحقق للصليبين أى نجاح فى الشرق[7] ، مما جعل ابن خلدون يصف تلك النهاية بانها جاءت فشلا للمسيحين . ونصراً لجيوش المسلمين[8].

---

(١) اعتبرت المصادر العربية هذا الوضع غدرا من الجنوية بالفرنسيين ، فذكر الوزير السراج : « ثم ان النصارى فى أنفسهم اضطربت أحوالهم لانهم كانوا من فرقتين أهل جنوة وفرانسة ، وأراد أهل الجنوة الغدر بالفرنسيس » ، كما ذكر الزركشى : « ثم أن النصارى اختلفوا فيما بينهم واراد الجنوى الغدر بالفرنسى » – أنظر الحلل السندسية جـ ١ ق ٤ ص ١٠٧٠ ، تاريخ الدولتين ص ١١٣ .

(٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص ١٢٤٥ ،

Atiya : op. cit., P. 427 ; Crusade ..., P. 106.

(٣) سعيد عاشور : المرجع السابق جـ ٢ ص ١٢٤٥ ، Atiya : op. cit., PP 428...430.

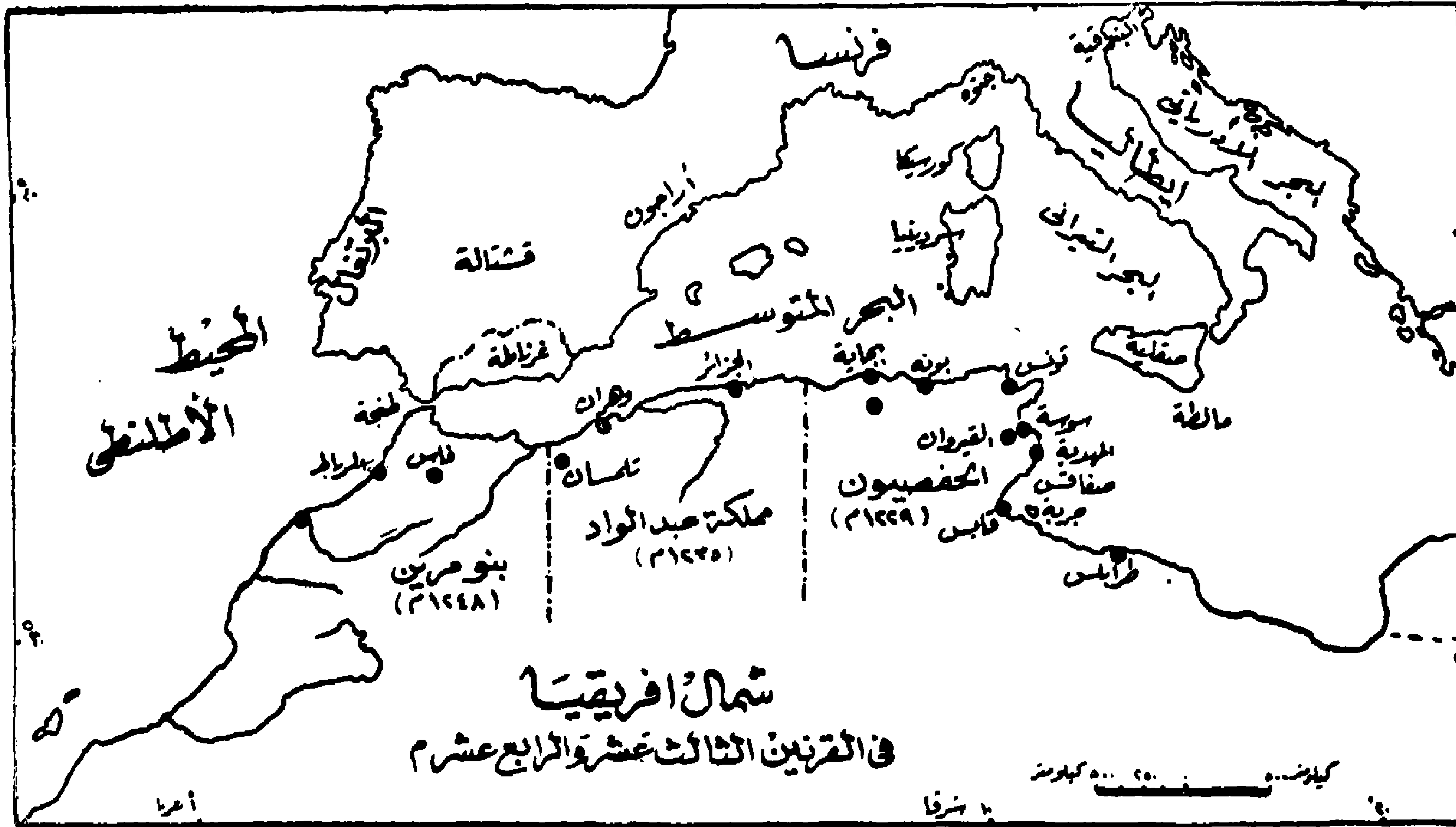
(٤) ابن القنفذ القسنطينى : الفارسية ص ١٨٨ .

(٥) الزركشى : تاريخ الدولتين ص ١١٣ .

(٦) الوزير السراج : الحلل السندسية جـ ١ ق ٤ ص ١٠٧٠ .

(٧) Atiya : op. cit., P. 432.

(٨) ابن خلدون : العبر جـ ٦ ص ٤٠٠ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص ١٢٤٥ .



المصدر : Fage, J.D. An Atlas of African Hist. P. 15

هازارد : أطلس التاريخ الإسلامي ص ١٩، ٢١

لم ينته دور شمال أفريقيا فى الحركة الصليبية ، بانهاء هذه الحملة ، فمن المعروف أن الحروب الصليبية نقلت ميدانها من المشرق إلى المغرب فى القرن الخامس عشر ، وأن الإسبانيين والبرتغاليين هم الذين تزعموا الحركة الصليبية فى ذلك الوقت ، وكما تطلع المشرق إلى المغرب فى جهاده ضد الصليبيين ، عندما كان المشرق هو الميدان الرئيسى للحركة الصليبية ، فان المغرب تطلع إلى المشرق أيضاً فى جهاده ضد الحركة الصليبية فى القرن الخامس عشر ، ذلك التطلع الذى انتهى باستيلاء العثمانيين على الجزائر سنة ١٥٢٩ م ثم ، على تونس سنة ١٥٣٤م .

مراجع البحث

أولا : المصادر :

١ ـ ابن ابى دينار (أبو عبد الله محمد بن ابى القاسم الرعينى القيروانى من علماء تونس فى اواخر القرن ١١ هـ ـ ١٧ م) :
ـ المؤنس فى أخبار أفريقيا وتونس
تحقيق وتعليق محمد شمام ـ الطبعة الثالثة
تونس ١٩٦٧ .

٢ ـ ابن أبى زرع (على الفاسى ت ٧٤١ هـ / ١٣٤٠م) :
ـ الأنيس المطرب بروض القرطاس (فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس)
الرباط ١٩٧٣

٣ ـ ابن الاثير (عزالدين أبو الحسن ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢م) :
ـ الكامل فى التاريخ
١٢ جزء بيروت ١٩٦٦

٤ ـ ابن ايبك (أبو بكر عبد الله ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م) :
ـ كنز الدرر وجامع الغرر
الجزء السابع وعنوانه : الدر المطلوب فى اخبار بنى أيوب.
تحقيق الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور
القاهرة ١٩٧٢

٥ ـ ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥م) :
ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر
بولاق ١٢٨٤ هـ .

٦ ـ ابن القنفذ القسنطيني ـ (أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب ت ٨١٠ هـ ١٤٠٧م) :
ـ الفارسية في مبادىء الدولة الحفصية.
تقديم وتعليق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي
تونس ١٩٦٨

٧ ـ ابن منكلي (محمد بن منكلي من علماء القرن ٨ هـ/١٤م) :
ـ الأحكام الملوكية والضوابط الناموسية في فن القتال في البحر .
مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٣ فروسية تيمور
(قام بدراستها وتحقيقها الدكتور / عبد العزيز محمود عبد الدايم ـ رسالة دكتوراه غير منشورة بجامعة القاهرة ١٩٧٤) .

٨ ـ ابن واصل (جمال الدين محمد ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧م) :
ـ مفرج الكروب في أخبار بني أيوب
الأجزاء ١ ـ ٣ نشر الدكتور جمال الدين الشيال .
القاهرة ١٩٥٣ ـ ١٩٦٠
الجزء الرابع نشر وتحقيق الدكتور حسنين محمد ربيع
القاهرة ١٩٧٢ .
باقي الكتاب مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٣١٩ تاريخ .

٩ ـ أبو شامة (شهاب أبو محمد عبد الرحمن ت ٦٦٥ هـ ١٢٦٦م) :
ـ كتاب الروضتين في أخبار الدولتين .
القاهرة ١٢٨٧ هـ .

١٠ ـ البكري (ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤ م)
ـ المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب
نشر دى سلان الجزائر ١٨٥٧م)

١١ — الزركشى (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم من علماء القرن ٩ هـ/١٥م)
— تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية .
تحقيق وتعليق محمد ماضور
الطبعة الثانية — تونس ١٩٦٦

١٢ — القلقشندى (أبو العباس أحمد ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨م) :
— صبح الاعشى فى صناعة الانشا .
١٤ — جزء القاهرة ١٩١٣ — ١٩١٨ .

١٣ — مجهول (كاتب مراكشي مجهول)
— كتاب الاستبصار
نشر وتحقيق : الدكتور سعد زغلول عبد الحميد
الاسكندرية ١٩٥٨

١٤ — المقريزى (تقى الدين أحمد بن على ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) :
— السلوك لمعرفة دول الملوك
الجزء الأول والثانى (٦أقسام)
نشر الدكتور محمد مصطفى زيادة .
القاهرة ١٩٣٦ — ١٩٥٨
الجزء الثالث والرابع (٦ أقسام) نشر الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور .
القاهرة ١٩٧٠ — ١٩٧٣

١٥ — الوزير السراج (محمد بن محمد الاندلسى ت ١١٤٩هـ / ١٧٣٦م) :
الحلل السندسية فى الأخبار التونسية
الجزء الأول —أربعة أقسام .
تحقيق وتقديم محمد الحبيب الهيلة .
تونس ١٩٧٠ .

١٦ — ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله الحموى ت٦٢٦هـ / ١٢٢٩م)
— معجم البلدان .
طهران ١٩٦٥ م طبعة بالأوفست عن طبعة ليبزج ١٨٦٦ م .

ثانيا – المراجع العربية :

١٧ – باركر (ارنست) :

– الحروب الصليبية

ترجمة الدكتور السيد الباز العريني – بيروت ١٩٦٧ .

١٨ – الجيلالى (عبد الرحمن بن محمد)

– تاريخ الجزائر العام – جزءان

بيروت ١٩٦٥ .

١٩ – سعد زغلول عبد الحميد (الدكتور) :

– العلاقة بين صلاح الدين وأبى يوسف يعقوب المنصور

بن يوسف بن عبد المؤمن الموحدى .

مجلة كلية الآداب – جامعة الأسكندرية ١٩٥٢ –١٩٥٣

ص ص ٨٤ – ١٠٠ .

٢٠ – سعيد عبد الفتاح عاشور (الدكتور) :

– الحركة الصليبية جزءان – القاهرة ١٩٦٣ .

– أوربا العصور الوسطى الجزء الأول – القاهرة١٩٧٢

– الظاهر بيبرس – القاهرة ١٩٦٣ .

– الناصر صلاح الدين – القاهرة ١٩٦٥

٢١ – السلاوى (أبو العباس أحمد بن خالد الناصرى)

– الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى – ٣ أجزاء

الدار البيضاء ١٩٥٤ .

٢٢ – عبد القادر أحمد اليوسف (الدكتور) :

– العصور الوسطى الأوربية

بيروت ١٩٦٨

٢٣ – محمد محمد أمين (الدكتور) :

– السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب

رسالة ماجستير غير منشورة – جامعة القاهرة ١٩٦٨ .

٢٤ – محمد مصطفى زيادة (الدكتور) :

– حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته فى المنصورة

القاهرة ١٩٦١

ثالثا - المراجع الاوربية :

25. Archer, (T. A.) :
— The Crusades. London 1914.

26. A tiya (A.S) :
— The Crusade in the Later Middle Ages. London 1938.
— Crusade, Commerce and Culture, Blomington 1962.

27. Calmette (J) = Le Moyen Age, Paris 1948.

28. Duggan (A.) = The Story of the Crusades 1097-1291 London 1963.

29. Gibb. (S.H.) : The Life of Saladin. Ox ford 1973.

30. Grousset (R.) : Hist-des Croisades 3 vols. Paris 1943-6.

31. Heyd W. : Hist. du Commerce du Levant, 2 vols. Leipzig, 1936.

32. Joinville : The Life of Saint Louis ed-Penguin 1963.

33. Julien (ch. A.) : History of North A frica, translated by John Petrie, ed. C.C. Stewart, London 1970.

34. Langlois (ch.-v.): Hist. de France, Tome 3' II (1226-1328), ed. Ernest Lavisse, Paris 1901.

35. Runciman (S.) : A History of the Crusades, 3 vols, Cambridge 1951-1955.

36. Sadeque (S.F.) : Baybars I of Egypt, Dacca 1965.

37. Stephenson (C.) : Mediaeval History, United States Armed Forces Institute, 1943.

38. Turner (w.) : The Catholic Encyclopedia, Vol. XII.

39. Cam. Med. Hist. vols. VI, VII, Cambridge 1957-1958.

وأنظر أيضا:

1. Brunschvig (R.) : La Berberie Oriental sous Les Hafcides, 2 vols. Paris 1940-1949.

2. Mas Latrie (M. de). ed. Commerce et expéditions militaires de La France et de Venise au moyen age, Paris 1835.

3. Mirot (L.) : Une Expédition française en Tunisie au XIVe siécle, le siége de Mahdia, 1390, Revéu des eutdés historique, Paris 1932.

4. Peers, E. Allison : Roman Lull, London. 1929.

5. Wolff (R.W.), and Hazard (H.R.) eds. The Later Crusades, Philadelphia, 1961.

الاكلوجيا البشرية

(المفهوم ، المجال ، الهدف)

دكتور فاروق عبد الجواد شويقة
مدرس الانثروبولوجيا الطبيعية

الكلمات الدالة : الاكلوجيا . الجغرافيا الانثروبولوجية .

«HUMAN ECOPOLGY»

ABSTRACT

Ecology deals wi:h the relations of living creatures to each other and to their environment. The word is derived from two Greek words meaning «study of the home». Ecology accordingly enters the scope of geographical studies specially the physical approach.

The ecological studies began to apear and take shape with the start of the twentieth century. The human ecology involves the relations between man and his environment. It is mostly classified as being both a biological and a social sience. Raiher, it identifies relationships that contribute to understanding a wide variety of problems.

Shuwayqah, Faruq A.

التعريف والمفهوم

ظهر مصطلح Ecology لأول مرة فى اللغة الألمانية Ökologie عندما وضعه أستاذ البيولوجيا الألمانى أرنست هايكل Haeckl, E. Heinrich [*] ، محدداً له مجالا واطاراً يشمل دراسة التعاون بين الكائنات الحية التى تعيش فى بيئة معينة ودرجة تلاؤمها مع هذه البيئة .

وفى عام ١٨٦٩ دخل اللغة الإنجليزية oecology ، وأخذ مفهومه يتسع فشمل واهتم بالعلاقات المزدوجة المتبادلة بين مختلف النظم الحيوية والأشكال البيولوجية وبيئاتها [١] .

وقد بدأ إستعمال هذا المصطلح أولا لدراسة البيئة النباتية ، وأخيراً فى عام ١٩٣٠ أمتد مجاله إلى الحياة الحيوانية [٢]. وتنطق هذه الكلمة فى الإنجليزية ē. col'ō.g.y [٣] أما فى الفرنسية فتكتب oecology وتنطق Ök-ec-logie [٤] وفى الألمانية تكتب وتنطق Ökologie [٥] .

ومن التعريفات المحددة للاكلوجيا إعتبارها الدراسة العلمية عن توزيعات الكائنات الحية [٦] ، وقد عرف هذا المصطلح بأنه علم البيئة[٧] ، ويتضمن هذا التعريف مفهوم التفاعل interaction .

(*) حيث اشتقه من الكلمة اليونانية oikos بمعنى بيت house مضافا إليها logy
(The Concise Oxford Dictionary of Current English. London, Oxford University, 1968, p. 386 Second column)

(١) Webester's Third New International Dictionary. Springfield, Marriam Co., 1967, p.720 Second column.

(٢) The Oxford English Dictionary ; supplement bibliography. Oxford, The Clarendons Press, 1933, Vol. 3, p. 319 Third column.

(٣) Webster's New Twentieth Century Dictionary of the English Language ; Unabridged. 2 rd. ed.New York, The world publishing, 1968, p. 574 Midde column.

(٤) Harrap's Standard French and English Dictionary ; Edited by J. E. Mansion. Part 2 : Engiish-French, with supplement. London, George Harrap & Co. LTd., 1962, p.368 Second column.

(٥) Webster's Seventh New Collegiate Dictionary. Sprinfield, Marriam Co., 1961, p.262 Second column.

(٦) Andrewartha, H. G. : Introduction to the Study of Animal Population. Chicago, University of Chcago Press, 1961, p. 22.

(٧) الإتحاد العلمى العربى : المصطلحات العلمية . القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٢ ، ص ٧٧

والاكلوجيا عند اللغويين المترجمين تعنى « علم البيئة » أو « التبيوء » وتعنى علم أثر البيئة فى عالم الاحياء(١) ، ومنها الاكلوجيا البشرية Human Ecology وهى تلك الدراسة التى تهتم بالعلاقة بين المجتمعات البشرية وبيئاتها المتباينة وبأوجه نشاطاتها المتعددة (٢) ، أو بمعنى آخر التفاعل المتبادل بين الانسان وبيئته بجوانبها المتعددة الثابتة والمتغيرة. وهى بذلك تدخل فى مجال إهتمام الجغرافيا الطبيعية بقدر ما تدخل فى مجال الجغرافيا الانثروبولوجية Anthropogeography وهى بحق تشمل دراسة العلاقة بين الإنسان والحياة أى بين البيئة وبين نشاط سكانها (٣) .

وعلى ذلك فيطلق مصطلح أكلوجيا على الدراسات التى تبحث فى العلاقة المتبادلة أو فى التفاعل بين الإنسان وبيئته . وهذه الدراسات تشمل التقدم الصناعى والتكنولوجيا واستعمالاتها المختلفة بما فى ذلك الحرف التقليدية (٤) والمتقدمة .

وفى نطاق الأنثروبولوجيا يعطى هذا المصطلح أكثر من دلالة ، فهناك الدلالة البيولوجية والدلالة الإجتماعية وغيرهما ولكنه بعامه يتعلق بالتأثيرات البيئية على الظروف الطبيعية والثقافية والإجتماعية ، وعلى ذلك فان البيئة لها أثرها على حجم المجتمع ونظام تركيبه لذا فانه يكثر إستعمال النمط الأكلوجى فى الدراسة الأنثروبولوجية (٥) .

وقد عرب هذا المصلطح بدخوله العربية (١٩٦٥)* بلفظه وحروفه حيث

---

(١) ألياس أنطون ألياس : القاموس العصرى ، إنكليزى - عربى . ط ٩ . القاهرة ، المطبعة المصرية ، دت ، ص ٢٢٧ العمود الثانى

(٢) Webester's Third New Internationa Dictionary, p. 110 3 rd. column.

(٣) محمد السيد غلاب (مترجم) : الأرض والتطور البشرى ، تأليف لوسيان فيفر . ط ٢ . أسكندرية ، داو المطبوعات الجديدة ، ١٩٧٣ ، ص ١٦

(٤) Beals, Ralph L. & Hoijer, Harry : An Introuction to Anthropology. 4 th. ed. New York, Macmillan, Co., 1972, p.113

(٥) Ibid, p.114

* بأقرار لجنة الجغرافيا بمجمع اللغة العربية له ثم بموافقة موتمر المجمع فى الدورة الحادية والثلاثين فى الجلستين السادسة والسابعة المنعقدتين بتاريخ ٢٣ من فبراير ١٩٦٥ ، ٢٨ من فبراير ١٩٦٥ .
(مجمع اللغة العربية : مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التى أقرها المجمع . مج ٧ ، ١٩٦٥ . القاهرة ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٩٦٦ ، ص ٤٠)

أصبح رسمه العربى « الأكلوجيا » (بدون ياء قبل الكاف) . وقد ورد فى تعريف هذا المصطلح فى المعجم الجغرافى الذى أصدره مجمع اللغة العربية أنه : « علم البيئة : وهو العلم الذى يدرس الترابط بين الأحياء والبيئة الطبيعية[1] . ويلاحظ على هذا التعريف أنه قد استعمل كلمة ترابط بدلا من تفاعل التى أفضلها والتى شاع استعمالها كتعبير عن المفهوم المقصود ، وأيضاً لأن كلمة ترابط التى استعملت فى التعريف لا تعطى الدلالة الكاملة التى تحملها كلمة interrelationship التى تضمنها تعريف Oxford * وتعريف Webster ** للمصطلح وهى تعنى العلاقة المتبادلة أو التفاعل ، كما أن كلمة ترابط لا تتعدى معنى العلاقة والصلة بين الشيئين [2] ، بينما التفاعل يعنى أن تتفاعل مادتين مما ينتج عنهما مادة أخرى جديدة [3] ، وهذا هو المعنى المقصود [4] .

كما أن تعريف المجمع استعمل تعبير البيئة الطبيعية فحسب فى حين أن الكائنات الحية لا تتأثر بها فقط ؛ بل تتعداها إلى سائر جوانب البيئة الأخرى من ثقافية واجتماعية واقتصادية وتكنولوجية وغيرها ، لذلك يقترح أن يكون تعريف المصطلح هو : « الأكلوجيا : علم البيئة : وهو العلم الذى يدرس التفاعل بين الكائنات الحية وبين مكونات وعناصر المكان بجوانبها المختلفة » . وبذلك يتحقق الايضاح المطلوب ونتلافى تكرار استعمال لفظ البيئة فى المصطلح وفى التعريف .

---

(١) مجمع اللغة العربية : المعجم الجغرافى (٢) ، ١٩٦٥ . القاهرة ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٩٦٦ ، ص ٤٠ .

* وهو : Branch of biology dealing with living organisms, habits, modes of life and relations to their surrounding» (The Concise Oxfored Dictionary of Current English. London, Oxfored University, 1968, p. 386 Second column),

** وهو : «A branch of science concerned with the interrelationship of organisms and their environments.»

(Webster's third New International Dictionary, p. 720 Second column).

(٢) مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط . جـ ١ . القاهرة ، المجمع ، ١٩٦٠ ، ص ٢٣

(٣) نفس المرجع ، ص ٨١٤

(٤) Worthington, E. Barton : «What is Human Ecology». *In* : Rogers, Paul (ed.) : The Education of Human Ecology. London, Charles Kinght & co., 1972, p. 8

مجال الاكلوجيا

لعل من الأسباب الرئيسية فى اتساع مجال الأكلوجيا كونها علماً ومنهجا فى نفس الوقت ، وكان من نتيجة هذا الوضع المزدوج أن تشعبت مجالاتها بحيث شملت نطاقات متسعة من العلوم الطبيعية والإجتماعية ، وعلى ذلك فان الدراسة الحالية تقسم مجال الدراسات الأكلوجية إلى ثلاث نطاقات رئيسية هى :

الأكلوجيا الطبيعية	Physical Ecology
الأكلوجيا الإجتماعية	Social Ecology
الأكلوجيا الحيوية	Biological Ecology (١)

وتتضمن هذه الأخيرة ثلاث مجالات إهتمام هى :

الأكلوجيا النباتية	Botanical Ecoloay
الأكلوجيا الحيوانية	Zoological Ecology
الأكلوجيا البشرية	Human Ecology

نطاق دراسة الاكلوجيا البشرية :

تهتم الأكلوجيا البشرية بالأنسان وتفاعله مع البيئة بمجالاتها المختلفة ، لذلك فانه يصعب التركيز على الجزئية الخاصة بالاكلوجيا البشرية كأحد فروع نطاق الأكلوجيا الحيوية ، وعلى هذا فسوف نتعرض بالدراسة لسائر نطاقات الدراسات الاكلوجية باعتبار أن كل البيئات ما كانت لتظهر أهميتها وما كانت لتستحق الدراسة إلا لغرض خدمة الأنسان وأهدافه(٢) ، وعليه فسوف نعرض لأهم مكونات الدراسات الاكلوجية ذات الصلة المباشرة بالأنسان ، وهى تلك التى تعرف فى عرف البعض بالأكلوجيا البشرية .

تعتمد الأكلوجيا البشرية فى بحوثها ودراساتها على مجالين من مجالات المعرفة هما : —

(١) Worthington, E. Baroton :op. cit., p. 9

(٢) Newbould, P.J. : «The Contribution of Ecology to the Study of Human Ecology». *In* : Rogers, Paul (ed.) : The Education of Human Ecology. p. 37

الجغرافيا الإقليمية الدقيقة	Micro-Regional geogrεphy
الجغرافيا الأنثرويولوجية	Anthropo-geography

ويتضمن المجال الأول اهتمامات متعددت لعل أهمها دراسة التربة Soil بما تشمله من عناصر وكائنات ، كما يشمل دراسة المناخ الحيوى Bioclimatology الذى يشمل علم المناخ الطبي Medical-climatology بفروعه المختلفة ومنها الجغرافيا الطبية Medical-geogrεphy والاختلافات المرضية الفصلية Seasonal Variation (Diseases) وأثر المناخ على المحاصيل Crops and Climate ، وتفاعل الانسان مع عناصر المناخ المختلفة ، وأخيرا سلاسل الغذاء Food chains بما فيها من تتابع غذائى ومن كيمياء حيوية وتمثيل غذائى .

أما المجال الثانى فيتضمن عدة اهتمامات يتسع نطاقها كثيراً عن نطاق المجال الأول ، إذ أنها تتصل بصورة أو بأخرى بالمجالات التالية :

تفاعل الإنسان والبيئة	Man-Influence of environment
العلوم الإجتماعية ، خاصة :	Social Sciences
علم النفس الإجتماعى	Social psychology
علم الإجتماع	Sociology
السكان	Population
علم الأجنة البشرية	Human embryology

من هذا يتضح أن الأكلوجيا تمثل مجالا متسعا من الدراسات المتشعبة التى يدخل بعضها نطاق العلوم البحته والعلوم التطبيقية ، والبعض الآخر نطاق العلوم الاجتماعية والإنسانية ، ومع ذلك فان هناك من يقول بأنها ليست علما وإنما هى منهج بحث[1]. ومما لاشك فيه أن الأكلوجيا تمثل منهجا للبحث يلجأ إليه المشتغلون فى العلوم المختلفة عند محاولة تفهم أسس المشكلات التى تطرأ علىالموضوع محل الدراسة ، ولكنها تمثل فى نفس الوقت أيضاً علما قائما بذاته له منهجه وأهدافه وأساليب بحثه وموضوعاته الفرعية المتخصصة .

(١) جمال حمدان : « هذه هى الجغرافيا » . فى : مرآة العلوم الإجتماعية . القاهرة ، العدد الأول ، ديسمبر ١٩٥٧ ، ص ٣٣

وتتخذ الأكلوجيا البشرية فى دراستها منهجين. الأول : المنهج الوصفى وهو الذى يتضمن وصف الجوانب المختلفة للبيئة ، وأما الثانى : فهو المنهج التحليلى الذى يدرس العلاقة بين عناصر ومكونات البيئة وما تحدثه من تفاعل يخلق فى النهاية نمطاً متميزاً تعرف به البيئة (١) .

ويعتمد السبيل الوصفى الميدانى على جمع المادة العلمية من الحقل ويستعمل لذلك أسلوب الملاحظة وجمع القياسات والعينات وغيرها من أساليب العمل الحقلى ، ويراعى فى الملاحظة أن تكون علمية منهجية يقوم بها الباحث بصبر للكشف عن تفاصيل الظواهر وعن العلاقات الخفية التى توجد بين عناصرها أو بينها وبين بعض الظواهر الأخرى (٢) .

أما السبيل التحليلى فيعتمد على شقين :

١ - التحليلات المعملية المتعددة من فزيائية وكيميائية للبيانات التى تجمع من العينات التى أتخذت محلا للبحث، وإجراء الدراسة المقارنة لها مع عينات مماثلة من بيئات متعددة متباينة ، أو مع عينات متعددة من ذات البيئة أخذت على فترات زمنية متباعدة .

٢ - التحليلات الرياضية وتعتمد أساساً على التحليل الاحصائى وهو الذى يتم فيه تحويل الحقائق العلمية إلى رموز رياضية تدخل فى مقاييس واختبارات تأكد للتحقق من مدى صحة الفرض المعروض تعليلا للمشكلة محل البحث .

ولما كان منهج دراسة الأكلوجيا البشرية يهدف أساساً لوضع أفضل الخطط للاستغلال الأمثل للبيئة التى يحيا فيها الانسان،وذلك بعد دراسة دقيقة وتفصيلية لظروفها الواقعية ومدى انعكاسها على الانسان ووظائفه المتعددة ، فانه يتضح أن هذه النتائج لاتكاد تتحقق إلا إذا أتبع أسلوب تكاملى يستخدم المناهج الأكلوجية المتعددة ، ولما كانت دراسة البيئة البشرية لاتخرج أطلاقا عن كونها دراسة للأرض بعناصرها المتعددة وأثرها على الانسان فلا مفر إذن من إتباع المنهج التكاملى .

(١) Krebs, Charles J. : Ecology ; the experimental analysis of distribution and abundance. London, Harper & Row Publishers, 1972, p. 9

(٢) Ibid, p. 11

بعض الأهداف

يتسع هدف الأكلوجيا البشرية اذ يهتم أولا بدراسة البيئة التى يحيا فيها الانسان بجوانبها المتعددة الطبيعية والإجتماعية والنفسية والاقتصادية والسياسية . . . ، كما يهتم بمحاولة وضع منهج للأنسان ليصل به إلى أفضل إستعمال مناسب لهذه الجوانب المتعددة ليحقق أهدافه القريبة والبعيدة فى الحياة (١) .

وعلى هذا فقد دعت الأمم المتحدة إلى مؤتمر البيئة البشرية الذى عقد فى ستوكهلم فى صيف عام ١٩٧٢ والذى تركزت مهمته الرئيسية فى أن تحدد بوضوح ما يجب اتخاذه للحفاظ على الأرض كمكان مناسب للأنسان ليس الآن فحسب ولكن للأجيال القادمة أيضاً(٢) ، وذلك لأن تقدير الزمن الأكلوجى لا يقاس بالسنين المحدودة ولكن بمئات وآلاف الأجيال (٣) .

ويتركز هدف الأكلوجيا البشرية الحديث حول التفاعل المتبادل بين الإنسان والبيئة باعتبارها الاطار الذى يحيا فيه الانسان ويمارس نشاطه ، وأن هذا التفاعل تحدد إلى مدى بعيد درجة التخلف الفكرى (٤) .

ولما كانت الموضوعات المتعلقة بالبيئة البشرية متعددة ومتشعبة فان بحثها يتطلب جهوداً اجتماعية بالإضافة إلى المعرفة العلمية المتخصصة الدقيقة ومع هذا فيمكن لغير المتخصص من المثقفين العامين أن يسهم برأى يكون فى جل الأحوال ذا نفع كبير ، ويرجع هذا فى الواقع إلى نظرته الشاملة للمشكلات المعقدة الخاصة بالإنسان والبيئة تلك النظرة التى لا يشوهها محدودية التفكير الذى غالبا ما يصاحب التفكير المتخصص .

---

(١) Ibid, p.623

(٢) باربارا وارد ، رينيه ديبو : أنه عالم واحد ترجمة سعيد دويدار وآخرون . القاهرة ، دار المعرفة ، ١٩٧٣ ، ص ٣٨

(٣) Krebs, C.J. : op. cit :, p.514

(٤) محمد عبد الفتاح القصاص : « الإنسان والبيئة » . فى : محاضرات المجمع المصرى للثقافة العلمية ، ١٩٧٢

فى مجال الدراسات الجغرافية :

تسهم الدراسات الجغرافية فى مجال الاكلوجيا عن طريق بحوث الجغرافية الاقليمية الدقيقة التى يتركز هدفها فى الوقت الحاضر على دراسة استعمال الأرض بصورها المختلفة Land Use وبهذا المفهوم نصل إلى أن دراسة الأكلوجيا البشرية تدخل فى نطاق الجغرافيا التطبيقية ، يضاف إلى ذلك أنها تعتبر حلقة الصلة الحديثة بين الأنثرويولوجيا والجغرافيا على أساس اعتبارين : الأول هو كون الأكلوجيا البشرية أحد فروع الأنثروبولوجيا الطبيعية (١). أما الثانى فهو أن الجغرافيا هى أقدر المعارف على شرح العلاقة بين الانسان والبيئة وتفسيرها وذلك بطريقة كلية (٢) تملأ متصل الزمكان .

ولقد حاول الكتاب فى القرن الماضى فهم الطبيعة البشرية عن طريق التبرير وليس التعليل ، ذلك أنهم كانوا يربطون بين المجتمعات الأنسانية والبيئة الجغرافية دون سابق فحص أو دراسة علمية سببية (٣) وأستمر الحال كذلك حتى كتابات تشارلز دارون Darwin, Charles R. (١٨٠٩–١٨٨٢) خاصة كتابيه عن : أصل الأنواع (١٨٥٩)* ، أصل الانسان (١٨٧١)** ، وهى التى زادت من شأن البيئة بحيث جعلت منها قوة عارمة فى اختيار الأنواع التى تناسبها فتسمح بتكاثرها واستمرارها أما الأنواع الأخرى فلا تجد ما يناسبها ولاتستطيع الملائمة معها فتزوى ولاتعقب فتنقرض. تلك هى باختصار أسس فكر دارون التى تركت أثرا كبيراً فى المدارس الفكرية المختلفة ومنها الفكر الجغرافى خاصة فى مجال الجغرافيا الأنثروبولوجيا ، وهو ذلك الإطار الذى تأثر أكثر من غيره بعوامل التطوروالاختيار الطبيعى .

---

(١) Morel, P. : L. Anthropologie Physique. Paris, Presses Universitaires de France, 1962, p. 9.

(٢) عبد الفتاح محمد وهيبة : « الجغرافى والدراسة الميدانية » . فى: المجلة الجغرافية العربية ، السنة الأولى ، العدد الأول ، ١٩٦٨ ، ص ٥٣

(٣) محمد السيد غلاب : البيئة والمجتمع . ط ٣ . القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٣ ، ص ٢٠

* صدر فى ٢٤ من نوفبر سنة ١٨٥٩ بعنوان : «On the Origin of Species by means of Natural Selection or Preservation of Favoured Races in the Struggle for life»

** وقد صدر بعنوان : «Descent of Man, and Selection in Relation to sex

وفى الحقيقة أن الغالبية العظمى من صعوبات الانسان البيئية المعاصرة تنشأ من سوء تعايش الإنسان مع البيئة مما يفرض زيادة الاهتمام بالدراسات الاكلوجية خاصة الجانب البشرى منها وهنا تدخل الجغرافيا المجال (١)* .

ولقد تطورت الدراسات الجغرافية الحديثة بحيث أصبح هدفها الأول تطبيق الأساليب الجغرافية على مشكلات المجتمع المعاصرة بهدف الوصول إلى أفضل الحلول ، وتلك هى أهم أهداف الجغرافيا التطبيقية (٢) التى تمثل أحدى حلقات دراسة الجغرافيا الانثروبولوجية باعتبار أنها تدرس احتياجات كل من الأرض والانسان إلى التخطيط والتنمية .

ويتفق منهج الاكلوجيا البشرية الذى يعتمد فى المرتبة الأولى على المنهج التكاملى بجانبية الوصفى الميدانى والتحليلى المعملى الرياضى ، مع منهج الجغرافيا التطبيقية إلى حد كبير** ، وكان هذا من أكبر عوامل الربط بين الاكلوجيا البشرية والجغرافيا التطبيقية ، ذلك الربط الذى جعل كلا منهما يتبادل أحيانا المجال والهدف ، ومن هذا أصبح الجغرافى هو انسب باحث للعمل فى مجال الاكلوجيا البشرية فهو يبدأ دائما بالأرض وينتهى بالتخطيط .

---

(١) Bowen-Jones, H. : «A Geographer's Viewpoint» *In* : Rogers, Paul (ed.) : The Eduction of Human Ecology. p. 60

* من الدراسات التى أجريت على نسق هذا المنهج :

Rizkana, I. and Abou El Ezz, M.S. : The Heigh Dam Lake in Aswan ; A new Environment in the Making.» *In* : Bulletin de la Societe de Geographie e'Egypte T. 37, 1964, pp. 101-110

(٢) محمد محمد سطيحة : « الجغرافيا التطبيقية ؛ تطورها ومناهجها وأهدافها » فى : المجلة الجغرافيا العربية . السنة الأولى العدد الأول ، ١٩٦٨ ، ص ٢٨

** من الدراسات التى توضح هذا المنهج :

فؤاد محمد الصقار : التخطيط الاقليمى . إسكندرية ، منشأة المعارف ، ١٩٦٩

جمال الدين الدناصورى : الجغرافيا التطبيقية ؛ طرق التطبيق وإنجازاته ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧١ .

صلاح الدين الشامى : الجغرافيا دعامة التخطيط . إسكندرية . منشأة المعارف ، ١٩٧١ .

وتتميز الجغرافيا التطبيقية عن الدراسات الجغرافية العامة بان هدفها هو تقييم الظاهرات المدروسة وتقديم النتائج فى صورة كمية . لذا فانها تتخذ المنهج العلمى أسلوبا لها فى سبيل إيضاح وجهة نظر علمية تتنبأ بأوضاع المستقبل(١) .

فى مجال الدراسات الحضارية والإجتماعية :

عند دراسة المظاهر الحضارية فى إحدى المجتمعات وما يرتبط بها من دراسة حجم المجتمع ونمط حياته يكون البحث قد دخل فى نطاق الدراسات الاكلوجية . ويهتم النسق الاكلوجى فى الدراسات الاجتماعية بدراسة العلاقة عميقة بين البيئة الطبيعية والمناشط الاجتماعية ، ولكى يتكامل دورة نجده يعتمد على عدة عناصر منها : البيئة والسكان والتنظيم الاجتماعى ثم التقدم الحضارى ممثلا فى التكنولوجيا الحديثة (٢) .

ويتركز محور هذا النسق حول إيضاح دور وتأثير البيئة على تغير ظروف وأنماط الحياة والاجتماعية لدى السكان ، ونظراً للدور الملموس الذى تقوم به التكنولوجيا الحديثة فى تغيير معالم البيئة . فان هذا النسق الاكلوجى لايظهر أثره فى المجتمعات البسيطة إلا لدى الجماعات المحدودة التقدم الحضارى والتى تخضع لظروف البيئة . تلك الجماعات المنعزلة بيئياً وثقافياً يعتبر النسق الاكلوجى أفضل الانساق لدراستها اجتماعياً وحضارياً (*) .

---

(١) محمد محمد سطيحة : المصدر السابق ، ص ٤٦ .

(٢) Beals, Ralph L. & Hoyer, Harry : An Introduction to Anthropology. Fourth edition. New Beals, Ralph L. & Hoyer, Harry : An Introduction to Anthropology. Fourth edition. New York, Macmilan Co., 1971, p.113.

(٣) أحمد الخشاب : دراسات انثروبولوجية : ط ٣ ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٠ ، ص ص ٣٠٢ – ٣٠٣ .

(*) ظهرت بعض الدراسات التى تتبع هذا المنهج منها :

Evans-Pritchard, E.E. : «Non-Dinka Peoples of Amadi and Rumbek». S.N.R., Vol. 20,1937., part. I, pp. 156-158.

—— : «Economic life of the Nuer ; cattle». S.N.R., Vol. 20,1937, part 2, pp. 209-246.

—— : «Economic life of the Nuer ; cattle part 2, S.N.R. Vol. 21, 1938, part I, pp. 31-78

—— : Nuer Religion. Oxford, clarendon press, 1956.

—— : The Azande ; History and political institutions. Oxford, clarendon press, 1971.

Abou-Zeid, A.M. : « The Nomadic and semi-Nomadic Tribal populations of the Egyptian Western Desert and the Syrian desert.» Bulletin of the Faculty of Arts, Alexandria University. Vol. 12, 1963, pp. 71-133.

ويعتبر الاحساس بالمكان والزمان من المظاهر الاساسية فى دراسة الاكلوجيا العامة خاصة عند دراسة الجماعات القبلية البسيطة التى تعتمد فى تحديد فكرة المكان والزمان على تجربتها الخاصة تلك التجربة التى تعتمد أساساً على تتابع وتكرار الأحداث الطبيعية والتطور البيولوجى للكائنات الحية خاصة الإنسان (١) .

من هذا يتضح صدق أهمية العناية بدراسة العوامل الطبيعية والعلاقات الأكلوجية فى الابحاث الاجتماعية والانثروبولوجية التى تنتهج نهجا بنائيا وظيفيا فى دراسة المجتمع أيا كانت درجة تخلف هذا المجتمع أو تقدمه (٢) .

وعلى هذا فان دراسة موضوعات الاكلوجيا البشرية التى تركز بالدرجة الأولى على التفاعل بين الانسان والبيئة تتطلب القيام بابحاث جماعية يشترك فيها العديد من المتخصصين فمن جغرافى بشرى بالمفهوم الانثروبولوجى Antropogeo-grapher إلى الاجتماعى إلى المؤرخ الحضارى إلى سائر المتخصصين فى مجالات المعرفة الإنسانية العديدة .

وبهذا المفهوم تتخطى أبحاث الاكلوجيا البشرية الحدود التعريفية للعلوم المختلفة حيث يكون هدفها محاولة فهم أكبر قدر ممكن من جوانب التفاعل بين الإنسان والبيئة والعلاقات المكانية التى تربط عناصر البيئة المختلفة وربط الظاهرات والأحداث بعضها ببعض وتشكيل الانماط المختلفة لهذا التفاعل (٣) (٠) .

---

(١) أحمد أبو زيد : البناء الإجتماعى ؛ مدخل لدراسة المجتمع . جـ ٢ الإنساق. ط ٢. إسكندرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٦٧ ، ص ص ٤٥ — ٤٨

(٢) نفس المصدر ، ص ٨٥ .

(٣) فاروق محمد الجمال : « المنهج الرياضى والإحصائى فى البحث الجغرافى » فى : المجلة الجغرافية العربية ، السنة الثانية ، العدد الثانى ، القاهرة ١٩٦٩ ، ص ٩٨ .

(٠) من البحوث والدراسات التى أجريت متبعة هذا المنهج :

سليمان أحمد حزين : « البيئة والموقع الجغرافى وأثرهما فى تاريخ مصر العام » فى : مجلة الجمعية الجغرافية المصرية ، المجلد ٢٠ ، ١٩٣٩ — ١٩٤٢ ، ص ص 437 - 464

Huzayyin, S.A. : «Some new light on the beginning of Egyptian Civilization». *In*: Bul'etin de la Société de Geographie d'Egypte. T. 20, 1939-1942, pp.203-273.

-«ABD Al-» Aziz Kamil : «Sudan profile ; a comparative Cultural Study.»
In : Bulletin de la Société de Geographie d'Egypte. T. 40 1967, pp. 6-34.

والتخطيط للعلاقات الاجتماعية يتطلب دراسة عناصر الاكلوجيا البشرية المتاحة والمتوقعة بجوانبها المختلفة ، وقد جرت معظم الدراسات الاكلوجية المعاصره في مجتمعات مرت خلال مرحلة تغيير من بيئة استاتيه هامدة أشبه بالبكر طبيعيا وبالفطرة اجتماعياً وحضارياً ، إلى بيئة متطورة دينامية سريعة التطور والتغيير ، وفي الغالب يحدث هذا عند إقامة مشروعات إنتاجية ضخمة تدخل على البيئة تغيراً كبيراً ، مثل إقامة سد على أحد الأنهار ، أو فتح منجم أو إنشاء مجمع صناعي ، أو توسع زراعي ، فكل هذه المشروعات يصحبها دائما حدوث تغير كبير في عناصر ووظائف المجتمع وفي أهدافه الاجتماعية والحضارية ، وتدخل دراسة جميع هذه المراحل بصورة أو بأخرى في أحد مجالات الانثروبولوجيا التطبيقية [1] التي تتصل على أكثر من محور بالاكلوجيا البشرية .

في مجال الدراسات البيولوجية :

يصعب تحديد نطاق الاكلوجيا البشرية في مجال الدراسة البيولوجية ذلك أن مفهوم ومجال كل من الاكلوجيا والأنثروبولوجيا مازال يبحث عن التحديد والتكوين [2] ؛ فمن أهم حاجات الإنسان البيولوجية الحاجة إلى الطعام والصحة والتكاثر ، ومن هنا تدخل العلوم البيولوجية في دراسة الاكلوجيا البشرية : ذلك أن المعضلات الكبرى التي تواجهها ما هي إلا معضلات بيولوجية في الدرجة الأولى [3].

ويقسم البعض نطاق دراسة الاكلوجيا البشرية إلى :

(ا) Autecology وتختص بدراسة الكائن الحي كفرد وعلاقته بالبيئة .

(ب) Synecology وتهتم بدراسة مجموعات الكائنات الحية وعلاقتها ببيئاتها المختلفة ، وتقسم المجموعة الثانية إلى المجالات التالية :

---

(١) Beals, R.L. & Hoijer H. : An Introduction to Anthropology. p. 616.

(٢) Sheddick, N.G. : «The Contribution of Anthropology to the Study of Human Ecology». *In* : Rogers, Paul (ed.) : The Education of Human Ecology. p. 75.

(٣) Benton, A.H & Werner, W.E. : Field Biology and Ecology. New York, McGraw-Hill, 1966, p. 2.

(*) يتكون الغلاف البيو - الحيوي من المكونات الرئيسية الثلاثة لعناصر الحياة وهي : الغلاف الصخري ، الغلاف الجوي ، الغلاف المائي . وأن التفاعل المتبادل بين الكائنات الحيه في هذه المكونات الثلاث أمر لا مفر منه وتنتج عنه سلاسل الغذاء التي تمثل الدعامة الأولى في توازن واستمرار الحياه .

الأنظمة البيئية Ecosystems ، الجماعات Communities ، المجموعات السكانية Populations (١) .

وعلى ذلك فانها تتداخل مع دراسة الفسيولوجيا البيئية والسلوك البيئى ، ومن هذا يبدو إهتمام الاكلوجيا بمجالات معينة مثل :

علم الأرصاد الجوية والجيولوجيا والجيوكيمياء (٢) والسكان (٠) وغيرها من العلوم والدراسات الطبيعية والتطبيقية . ومن هنا تزايد اهتمام البيولوجيين بالاكلوجيا حيث كان يعتقد بعض البيولوجيين فى أوائل هذا القرن أن الاكلوجيا هى التعبير الحديث لمجال دراسة التاريخ الطبيعى (٣) ، ذلك أن للبيئة أثر ملموس على بيولوجية الإنسان (٤) .

ويقدر أثر البيئة فى مجال الدراسات البيولوجية بعدة وسائل قياسية يتصل بعضها بقياس السمات الظاهرية للكائن الحى ويتصل بعضها الآخر بقياس الجانب التركيبى له ، والاثنين معا يهدفان إلى تحديد موقف الكائن الحى من الصحة والمرض .

وبالنسبة للانسان نجد أن تأثير البيئة يدخل إليه عن عدة سبل لعل أهمها المناخ والغذاء ، أما المناخ فؤثر بعناصره المختلفة على كثير من الصفات الظاهرية للإنسان (٥) . فيقوم الضوء وأشعة الشمس فوق البنفسجية إذا كانت بكمية كبيرة بتنشيط التفاعلات البيوكيميائية بين الأكسوجين وأحد الأحماض الأمينية المسمى Tyrosine فى

---

(١) Krebs, Charles J. : Ecology. p.12.

(٢) Ibid p.10

(٠) من الدراسات التى أجريت فى مجال السكان تطبيقاً لهذا المنهج :

Abdel Hakim, M. Sobhi : «The Population of Egypt A demoglographic study.» *In* : Bulletin of the Faculty of Arts Cairo University, Vol. XXXIX, Parts 1 & 2 1967, pp. 17-44.

Sadek, Dawlat : «Industries Employment and Urban Redevelopment in Egypt». *In* : Bulletin of the Faculty of Arts, Alexandria University. Vol. 16, 1962, Alexandria University Press 1963. The European Section pp. 49-59.

(٣) Adams, Charles C. : «The new natural history ; Ecology.» *In* : Am. Museum J., Vo . 17, 1917, pp.491-492.

(٤) Wolstenholme, G. (ed.) : Man and his future. London, Churchi TLD, 1967, p. 135

(٥) Coon, C.S. ; Hunt E.E. : The Living Races of Man. London, Jonathan cape 1966, p. 213 ff.

طبقة الجلد العميقة مما ينتج زيادة فى المادة الملونة وهى التى بانتقالها إلى خلايا البشرة الظاهرية يظهر اللون الأسمر بدرجاته المختلفة (١) .

ويظهر أثر درجة حرارة الجو على الإنسان فى إرتفاع القامة Stature وفى نوعية الأمراض السائدة فى فصول السنة المختلفة ، وأيضاً فى درجة الخصوبة والرغبة فى الاتصال البيولوجى بين الجنسين ، اتضح هذا من عدة بحوث أجريت على احصاءات جمعت عن عينات من العالم القديم والامريكتين يظهر منها أن العامل الأكبر فى تحديد الخصوبة هو درجة الحرارة(٢) ، ومن الذين بحثوا هذا الموضوع الاستاذ اليابانى Takahashi (١٩٦٤) فى بحثه الذى أجراه على عينات أوربية ويابانية حيث استنتج أن أعلى درجة خصوبة تكون عندما يصل المتوسط الشهرى لدرجة حرارة الجو إلى ٢٠°م (٣) .

ويظهر أثر البيئة أيضاً فى معدل المواليد ومدى ارتباطه بالمعدل العام فى الإقليم أو الدولة ، وتتداخل هنا عدة عوامل بيولوجية واجتماعية واقتصادية وجغرافية والجدير بالذكر أنه إذا ما أجريت مقارنة إحصائية بيولوجية بين عشيرتين متماثلتين بيولوجيا (٠) وتعيش كل منهما فى بيئة متباينة حتى ولو كانتا متجاورتين – فانه يظهر فرق واضح فى معدل المواليد بينهما وما هذا إلا نتيجة تباين البيئة (٤).

أما الغذاء فانه عن طريق نوعيته وكميته ونظام تعاطيه وهى أمور تمكن للانسان أن يتحكم فيها الآن إلى حد كبير ، أن يزيد من احتمال ظهور أثر العوامل الوراثية الايجابية بحيث يتم التلاؤم أكثر مع الحياة فى البيئة التى يرغب الانسان المعيشة فيها .

---

(١) Montagu, Ashley: The concept of Race. London, Macmillan, 1964, p. 110

(٢) Cawgill, Ursula M. : «The Season of Birth in Man.» *In* : Man . Vo . I, No.2, June 1966, p. 238

(٣) Ibid, p. 233.

(٠) ويمكن التأكد من ذلك باجراء دراسة انثروبولوجية دقيقة(أنثروبومترية ، انثروبوسكوبية ، بيوكيميائية ، باثولوجية) .

(٤) فاروق عبد الجواد شويقة : النوبة المصرية؛ دراسة فى تفاعل الإنسان والبيئة. رسالة دكتوراه، غير منشورة ، القاهرة، جامعة القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص ص ٢٦٦ – ٢٧٣ .

ويظهر غنى البيئة ومدى استفادة الانسان منها بعدة مقاييس انثروبولوجية لعل أهمها : وزن الجسم وارتفاع القامة الكلى ثم محيط الصدر وارتفاع الجلوس، ويجرى التقييم باستخراج معامل بنية الجسم ومقارنته بمثيله فى بيئة متباينة أو بمقارنته بمعامل مماثل لنفس الشخص بعد فترة معينة يكون فيها الشخص تحت الملاحظة أو الاختبار أو التوجيه الغذائى فى ذات البيئة أو بيئة مغايرة .

وهناك أيضاً مقارنة الأمراض المسببة للوفاة إذ المعروف أن لكل بيئة أمراضها الشائعة الخاصة المسئولة إلى حد بعيد عن معظم حالات الوفيات .

وتدخل فى هذا المجال أيضاً الآثار المترتبة على مشاكل البيئة فى الدول الصناعية المتقدمة من تلوث للمحيط البيئى باجزائه المختلفة ذلك التلوث الذى يأخذ أكثر من صورة فمن تلوث فيزيائى حيث يتزايد احتمال إرتفاع متوسط حرارة الجو نتيجة تراكم ثان أكسيد الكربون فى الهواء، إلى تلوث كيميائى بيولوجى حيث يتزايد احتمال الاصابة بالأمراض وحدوث الوفيات بين الكائنات الحية نتيجة استعمال مركبات كيميائية سامة فى إحدى حلقات سلسلة الغذاء .

ورغم عدم معرفة منهج سلوك الصفات الجينية Geno type فى المستقبل إلا أنه من المعروف أن للبيئة أثر ملموس كالعوامل الوراثية فى تحديد صفات الكائن الحى [١]. وقد اتضح ذلك من ظهور السلالات البشرية خاصة المحلية Local Races منها [٢] .

(١) Young, J.Z. : An Introduction to the study of Man. Oxford, Carendon Press, 1971, p. 543.

(٢) Garn, Stanley M. : Human Races. 2rd. ed. Springfied, Charles & Thomas. 1969 p 140.

خاتمـــــة(٠)

يتركز محور اهتمام الاكلوجيا البشرية فى مجال العلوم البيولوجية والدراسات الجغرافية ، وقد تجلى ذلك بوضوح من أن مبتكر المصطلح من البيولوجيين المهتمين بموضوع التطور الحيوى ، ويتجلى أيضاً من الاهتمام المتزايد من الجغرافيين خاصة المهتمين منهم بالدراسات الانثروبولوجية وبمشكلات البيئة وعلاقتها بالانسان والنتائج المترتبة على التفاعل المتبادل بين البيئة والإنسان .

وعلى هذا فان إطارى الاكلوجيا البشرية هما: البيئة والإنسان، وبذلك فانها تدخل بصورة أو بأخرى مجال معظم فروع المعرفة الانسانية ، وكان من نتيجة ذلك إتساع مجال بحوثها ودراساتها ، فبعضها يدخل نطاق العلوم البحته والتطبيقية ، والبعض الآخر يدخل نطاق العلوم الإجتماعية والإنسانية .

وتتركز الاهتمامات الحديثة للاكلوجيا البشرية فى دراسة أثر التكنولوجيا على مكونات البيئة، وانعكاس ذلك على حلقات سلسلة الغذاء وأثرها على الانسان وذلك بغرض التوصل لانجح أساليب علاج المشكلات التى تطرأ على متصل البيئة – الانسان .

هذا ويبدو أن درجة نجاح الإنسان مادياً فى الحياة تتركز فى التعايش الأنسب وفى خلق التوازن الأمثل مع كائنات محيطه البيئى ، التى تمثل حلقات متتابعة فى سلسلة غذائه وحياته . هذا التعايش والتوازن يضع الانسان على بداية طريق السعادة والرفاهية المادية .

وقد فرض الهدف على الاكلوجيا البشرية شمولية النظرة، ودقتها فى معالجة مشكلاتها ، ولا يتحقق هذا إلا باتباع أسلوب البحث الجماعى المنظم الهادف .

---

(٠) الشكر واجب للسيد الأستاذ الدكتور محمد صبحى عبد الحكيم أستاذ الجغرافيا البشرية وعميد كلية الآداب بجامعة القاهرة على قراءته هذا المقال قبل النشر .

ببليوجرافيه بأهم المراجع والمصادر

أولا : أهم المراجع :

1. Dewey Decimel Classification. 18th. ed. Washington, Library of Congress, 1971.

2. Majmal Lugha al' rabia : المعجم الجغرافى (٢) ، ١٩٦٥ :
القاهرة ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٩٦٦ .

3. ـــــــــــــ : المعجم الوسيط . جـ ١ . القاهرة ، المجمع ، ١٩٦٠ : ـــــــــــــ

4. The Oxford English Dictionary : Oxford, Clarendon press, 1933.

5. Subject Headings, Used in the Dictionary Catalogs of the Library of Congress. 7th. ed. Washington, Library of Congress, 1966.

6. Webster's Third New International Dictionary. Springfield, Marriam Co., 1967.

ثانياً : أهم المصادر :

7. Abcu Zeid, A.M. : البناء الاجتماعى ، مدخل لدراسة المجتمع . جـ ٢ الانساق.
ط ٢ . أسكندرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٦٧ .

8. Barbara. Word & Dubos, Bene : أنه عالم واحد ،
(الترجمة العربية) . القاهرة ، دار المعرفة ، ١٩٧٣ .

9. Beals Railph L. & Hoijer Harry An introduction to Anthropology. 4th. ed., New York, Macmilan Co., 1972.

10. Benton, A.H. & Werner, W.E. : Field Biolcgy and Ecology. New York, 1966.

11. Coon, C.S.; Hunt, E.E. : The Living Races of Man. London, Jonathan cape, 1966.

12. Gammal al, Farūq : « المنهج الرياضى والاحصائى فى البحث الجغرافى » :
فى : المجلة الجغرافية العربية . السنة الثانية . العدد الثانى . القاهرة ، ١٩٦٩

13. Ghallab, M.A. : البيئة والمجتمع . ط ٣ : القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٣ .

14. ———————— : الأرض والتطور البشرى (الترجمة العربية) : ط ٢ . اسكندرية ، دار المطبوعات الجديدة ، ١٩٧٣ .

15, Kassas, .A. : « الإنسان والبيئة » . فى المجتمع المصرى : للثقافة العلمية ، ١٩٧٢ .

16. Krebs, Carles J. : Ecology ; the experimental analysis of distribution and abundance. London, Harper & Raw Publishers. 1972.

17. Mines, Samuel : The last days of mankind ; ecological survival or ex ine- tion. New york, Simon and Schnster, 1971

18. Morel, P. : L'Anthropologie Physique. Paris, Presses Univcsitaives de France, 1962.

19. Odum, Eugene P. : Ecology. New Delhi, Amerined Publising Co., 1970

20. Rogres, Paul (ed.) : The Education of Human Ecologists. London, Charles Knight & Co. 1972.

21. Setiha, M.M : « الجغرافيا» التطبيقية ؛ نطورها ومناهجها وأهدافها . فى الحلة الجغرافية العربية . السنة الأولى .العدد الأول ، القاهرة . ١٩٦٨

22. Smith, R.L, : The ecology of man ; and ecosystem approach. New York, Horper& Raw, 1972.

23. Weheba, A. M. « الجغرافى والدراسة الميدانية » : فى : المجلة الجغرافية العربية ، السنة الأولى ، العدد الأول . القاهرة ، ١٩٦٨

24. Wolstenholme, G. (ed.) : Man and his future. London churchill LTD, 1967, p. 135.

25. Young, J.Z. : An Introduction to the Study of Man. Oxford, Clarendon Press, 1971.

التكرار الجينى لأليلات مجموعة الدم ABO فى بعض مناطق مصر

وعلاقتها بتوزيع السلالات البشرية فى القارة الأفريقية

دكتور السيد غلاب ، دكتور نجيب نصار ، دكتور فاروق عبد الجواد شويقة

الكلمات الدالة : التكرار الجينى ، مجموعة الدم ABO، مصر

«GENE FREQUENCY OF ABO BLOOD GROUP IN EGYPT AND ITS RELATION TO TRIBES DISTRIBUTION IN AFRICA»

ABSTRACT

Gene frequency of ABO blood group in different regions of Africa was discussed. An experiment for determining gene frequency of ABO alleles in Egypt was carried out and a comparison between gene frequencies was made. It was obvious that «i» frequency was in accordance with the distribution of Arabian and Nigroides immigrations.

Ghallab, M.S. ; Nassar, N. ; Shuwayqah, F.A.

لعب توزيع فصائل مجموعة الدم ABO دوراً كبيراً فى تحديد مدى انتشار السلالات البشرية المختلفة فى العالم ، ويرجع هذا لما تتميز به من عدم تأثرها بالعوامل البيئية وندرة تعرضها للطفرات[1] ، والأهم من هذا كله سلوكها الوراثى البسيط الذى يرجع إلى جين واحد ذى ثلاثة اليلات ، وعلى هذا يسهل تماما على باحث الوراثة العشائرية أن يخضعها لقوانين وراثة العشائر وأن يرى من خلال انتقالها عبر الأجيال مؤشراً جيداً إلى تحديد الأصل السلالى .

(١) Lundman, Bertil : The ABO-System and Racial Geography. In ; Current Anthropology, Vol. 7, 1966, p. 183

والحقيقة أن الحاجة لتحديد سلالة بشرية عن أخرى من خلال مفهوم وراثى قد ازدادت بصورة شديدة فى القرن العشرين حتى لقد عرفت السلالة البشرية بأنها تلك العشيرة التى تختلف عن العشائر الأخرى فى تكرار بعض جيناتها ، Gene frequency أى أن السلالة البشرية عشيرة من الجينات Community of Genes ولا شك أنه ما من جين اسهل فى حساب تكراره من جينات مجموعة الدم ABO .

ولقد أدى استعمال التكرار الجينى خاصة جين مجموعة الدم ABO فى دراسة السلالات البشرية خدمة كبيرة لعلماء السلالات التقدميين ، فلم يعد لون البشرة أو غيره من الصفات الانثروبولوجيه الظاهرية هى الصفات الوحيدة التى تختلف فيها الناس ، ولقد وضح هذا منذ زمن بعيد وأن اقتصر الأمر على المشاهدة الظاهرية دون الحساب الرياضى . ويظهر هذا واضحا فى بعض الجماعات ذات الصفات المتميزة ومنها البوشمن فى جنوب القارة الافريقية. فهم بشعرهم المفلفل وبشرتهم المائلة للصفار أكبر دليل على صعوبة الاعتماد على لون البشرة أو أى صفة أخرى ظاهرية بمفردها فى تمييز السلالات البشرية .

والأكثر من هذا أهمية ، وهو مانود ابرازه هو استعمال صفات أخرى وراثية يمكن اخضاعها للتحليل الرياضى . فهى بجانب الصفات الظاهرية تعطى دلالة فائقة الأهمية على موقف السلالة البشرية وعلى أصلها السلالى .

ولقد أوضح هاريسون (١٩٦٤)[1] فى كتابته عن التكرار الجينى لمجموعة الدم ABO ، أن تكرار الجين (المسبب وجوده بحالة أصيلة لمجموعة الدم O) يسود فى مصر بنسبة ٦٠ — ٧٠٪ فى الصعيد، وتتناقص هذه النسبة كلما اتجهنا شمالا (خريطة ١) حتى تصل إلى ٦٠ — ٤٠ ٪ فى الدلتا وشبه جزيرة سيناء .

وفى دراستنا الحالية أخذنا عينات من سجلات فصائل الدم من المستشفيات الجامعية بالقاهرة والمنصورة وأسيوط تراوح عددها ما بين ١٠٦١ بالقاهرة ١٥٠٣ بالمنصورة ، ٦٦٥ بأسيوط (جدول ١) كما أوردنا بيانا بعينات أخرى من مصادر موثوق بها (جدول ٢) .

---

(١) Harrison, G.A. : Human Biology. Oxford, 1964

جدول ١ — النسبة المئوية لفصائل الدم ABO فى بعض مناطق مصر (الدراسة الحالية) :

المنطقة	العينة		A		B		AB		O	
	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪
المنصورة	١٥٠٣	١٠٠	٥٢٢	٣٤ر٧٣	٣٣٢	٢٢ر٠٩	١٧١	١١ر٣٨	٤٧٨	٣١ر٨٠
القاهرة	١٠٦١	١٠٠	٣٧٣	٣٥ر١٦	٢٤٨	٢٣ر٣٧	١١٩	١١ر٢٢	٣٢١	٣٠ر٢٥
أسيوط	٦٦٥	١٠٠	٢٢٢	٣٣ر٣٨	١٧٩	٢٦ر٩٢	٧٠	١٠ر٥٣	١٩٤	٢٩ر١٧

جدول ٢ — النسبة المئوية لفصائل الدم ABO فى بعض مناطق مصر (من مصادر متعددة) :

المنطقة.	العينة		A		B		AB		O	
	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪
سيوة(١)	٢٩٧	٩٩ر٨٧	٩٩	٣٣ر٣٣	٧٠	٢٣ر٥٧	١٠	٣ر٣٧	١١٨	٣٩ر٦٠
بدو الصحراء الغربية(٢)	٦١٧	١٠٠	٢٢٨	٣٦ر٩٥	١٢٨	٢٠ر٧٥	٤٢	٦ر٨١	٢١٩	٣٥ر٤٩
جعافرة كوم أمبو(٣)	٥٢	٩٩ر٩٧	١٧	٣٢ر٦٨	١١	٢١ر١٥	٢	٣ر٨٤	٢٢	٤٢ر٣٠
كنوز أسوان(٤)	١١٥	٩٩ر٩٨	٣٦	٣١ر٣٠	٢٠	١٧ر٣٩	٤	٣ر٤٧	٥٥	٤٧ر٨٢
فديجة عنيبه(٥)	٢٠٨	١٠٠ر٠١	٧٤	٣٥ر٥٨	٣٣	١٥ر٨٣	٨	٣ر٨٥	٩٣	٤٤ر٧١

(١) Publication of the Joint Arabic — Polish Anthropological Expedition, Vol. 2, 1964, p. 252.

(٢) Ibid, Vol. 2, p. 31 ٣ – عونى و كامل ، مادة غير منشور ، ١٩٦٠

(٤) Awny, A. Y.; Kamel, Karim and Hoerman, Kirk C. : ABO Blood Groups and Hemoglobin Variants among Nubians, Egypt, AUR. In : A. J. P. A., vol. 23, No. 7, March 1965, p, 82.

(٥) محمد فوزى جاب الله وعايدة عبد العظيم : مادة غير منشورة ، ١٩٧٣ .

ولا يجاد التكرار الجيني لكل من أليلات مجموعة الدم ABO استعملت المعادلات الآتية (طنطاوى ١٩٦٦) :

التكرار الجيني للأليل I^A (p) = $1 - \sqrt{\bar{O} + \bar{B}}$

التكرار الجيني للأليل I^B (q) = $1 - \sqrt{\bar{O} + \bar{A}}$

التكرار الجيني للأليل i (r) = $\sqrt{\bar{O}}$

فاتضح التكرار الجيني الموضح في الجدول رقم (٣) .

جدول ٣ — التكرار الجيني لفصائل دم المجموعة ABO فى بعض مناطق مصر
(الدراسة الحالية)

المنطقة	تكرار الجين I^A (p)	تكرار الجين I^B (q)	تكرار الجين i (r)
المنصورة	٢٦ر٥٨	١٨ر١٨	٥٦ر٣٩
القاهرة	٢٦ر٧٢	١٩ر٠٧	٥٥ر٠٥
أسيوط	٢٥ر١٠	٢٠ر٨٨	٥٤ر٠٤
سيوه	٢٩ر٧٣	٧ر٥٤	٦٢ر٩٣
بدو الصحراء الغربية	٢٥ر٠١	١٤ر١٩	٥٩ر٥٧
جعافرة كوم أمبو	٢٠ر٣٥	١٣ر٤٠	٦٥ر٠٤
كنوز أسوان	١٩ر٢٥	١١ر٠٥	٦٩ر١٥
فدنجة عنيبيه	٢٢ر١٧	١٠ر٤٠	٦٦ر٨٧

وكما يظهر من هذا الجدول يتضح أن تكرار الجين i يقل فى مصر كلما اتجهنا نحو الشمال الشرقى إذ تصل نسبته إلى ٦٩ر١٥ فى محافظة أسوان بينما تصل نسبته إلى ٥٦ر٣٩ فى المنصورة ، ٥٥ر٥ فى القاهرة ، ٥٤ر٠٤ فى أسيوط وهذا يتفق مع رأى هاريسون السابق الاشارة إليه ، وهو أمر متوقع فوادى النيل يعتبر ممر Corridor تعبر من خلاله جينات العشائر الزنجية من الجنوب إلى الشمال ومن

الطبيعى أن يقل التكرار الجينى لهذا الجين كلما اتجهنا شمالا حيث تكثر الهجرات السامية وهى عشائر تتميز بانخفاض التكرار الجينى فيها للأليل (هاريسون ١٩٦٤) (خريطة ٢) .

وبمقارنة هذه النتيجة بتلك التى أظهرها تقرير عونى وكامل (جدول ٤) وتلك التى أظهرها فوزى وعايدة (جدول ٥) نجد اتفاقا فى التكرار الجينى للأليلات مع كل مما أظهره الباحثون السابقون .

جدول ٤ – التكرار الجينى لفصائل دم المجموعة ABO عند كنوز أسوان [١]

تكرار الجين I^A (p)	تكرار الجين I^B (q)	تكرار الجين i (r)
١٩٫٣١	١١٫٠٨	٦٩٫٥٩

جدول ٥ – التكرار الجينى لفصائل دم المجموعة ABO عند فدجة عنيبه [٢]

تكرار الجين I^A (p)	تكرار الجين I^B (q)	تكرار الجين i (r)
٢٢٫٢٢	١٠٫٤٢	٦٧٫٣٦

وقد أكدت دراسات أخرى غير هاريسون من تميز الجماعات الزنجية بتكرار عاليه للجين i ، ونشير هنا إلى تلك الدراسة التى اجراها ليستر وآخرون (١٩٦٦) على سكان جزيرة سوقطرة وهى موضحة بالجدول رقم ٧ [٣] .

(١) Awny, A.Y., Kamel, Karim and Hoerman. Kirk C. : op. cit p ; 82

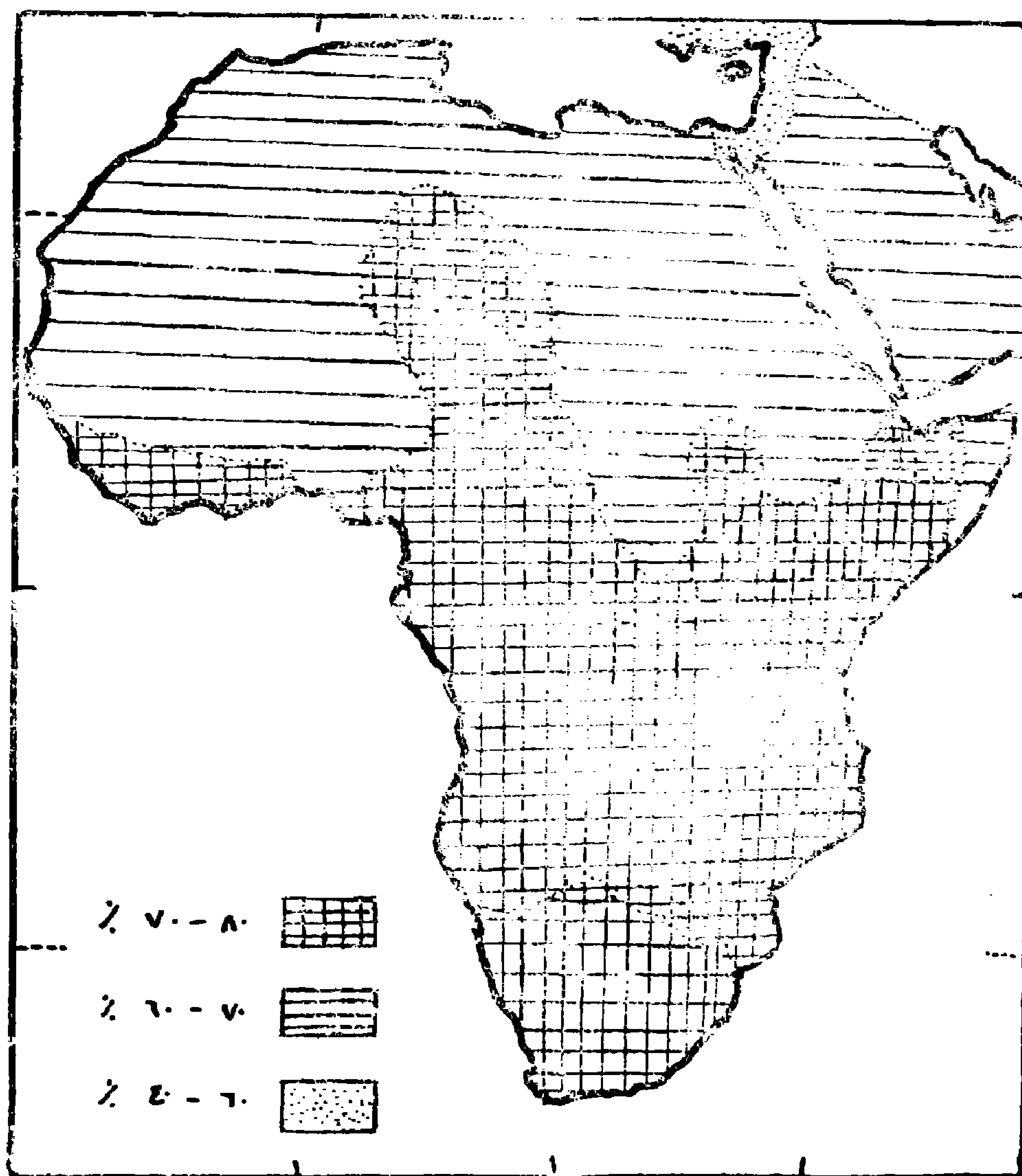
(٢) عن فوزى جاب الله ، عايدة عبد العظيم : بحث غير منشور ، ١٩٧٣ .

(٣) Lister. R.W., and others : «The Blood Groups and Hoemoglobin of the Bedouin of Socotra». In : Man, Vol. I, March 1966.

جدول ٧ – التكرار الجينى لفصائل دم المجموعة ABO عند سكان سكان جزيرة سوقطرة

تكرار الجين I^A_1 (p_1)	تكرار الجين I^3_2 (p_2)	تكرار الجين I (q)	تكرار الجين i (r)
٨ر٤٢	٦ر٢٧	٤ر١٢	٨١ر٢٠

خريطة ١ – التكرار الجينى للجين ، فى افريقيا



هاريسون ، ١٩٦٤

ومنها يتضح أن تكرار جين i فى جزيرة سوقطرة يقرب من ٨١٫٢٠٪ وهو تكرار عال يشير هاريسون إلى أنه يغلب وجوده فى المناطق الزنجية بالقارة الأفريقية (خريطة ١)، غير أن ما يدعو للتساؤل حقا وجود التكرار الجينى لهذا الأليل بهذه النسبة العالية فى جزيرة سوقطره التى يعرف عنها مجاورتها لسواحل شبه الجزيرة العربية والصومال واستقبالها الهجرات العربية العديدة عبر القرون .

خريطة ٢ ـ التكرار الجينى للجين i فى بعض مناطق مصر

ببليوجرافية بالمصادر

1. Awny, A.Y. : Kamel, Karim and Horeman, Kirk C. : "ABO,, Blood Group and Hemoglobin Variants among Nubians, Egypt, AUR"

In : American Journal of Physical Antrropology Vol. 23, No.1, March 1965.

2. Harrison, G.A. : Human biology. Oxford, 1964.

3. Lister, R.W., and others : "The Blood Groups and Hoemoglobin of the Bedouin of Socotra", In : Man, Vol. I, No. 1, March 1966.

4. Lundman, Bertil:"The ABO-System and Rocial Geography", In : Current Anthropology, Vol. 7, 1966.

5. Publication of the Joint Arabic-Polish Anthropological Expedition. 3 Vols. Cairo, 1961, 1964, 1965.

6. Tantawy,' : وراثة العشائر . اسكندرية ، دار المعارف ، ١٩٦٦

الاتجاهات الحديثة للنظام السياسي فى السودان

بين الواقع وتقنين الفكر السياسي المايوى

للدكتور أحمد عامر
مدرس العلوم السياسية بجامعة اسيوط

CONTEMPORARY POLITICAL SYSTEM IN MODERN SUDAN

The purpose of this paper is not only to describe How the Modern Sudan is governed or the Way the Political System works but it is also an attempt to explain how the contemporary polctical system in Modern Sudan came to be what it is and the origins of its character in Sudan's Histery . It is a survey of the pcli ical development of the political system describing how and why it has come to work in the way that it does to-day.

The first part deals wtih the descripfive study of the polifical powers, legislative, executive and judiciary and the Pcoples Political Onganization. It also studies the various factors which deeply affected the polihcal structure whether historical, economic social or relegions.

The Second partisan analytical study explaining the political system in the Sudan and surveying the factors which create the principles of its balance.

As a matter of fact, the two parts the desctiptive and the analytical treatment, are complementary and give a picture of the systeur in united frame.

(القسم الأول)

فى الحادى عشر من شهر أبريل سنة ١٩٧٣ أجاز أول مجلس للشعب — فى جلسته العاشرة بعد المائة — مشروع الدستور الدائم للسودان ثم وافق عليه رئيس الجمهورية فى ٨ مايو من العام نفسه . ومنذ ذلك الحين أصبح الدستور الدائم نافذ المفعول[١] ، وانتهى العمل بالامر الجمهورى الخامس ويتضمن الدستور الدائم ٢٢٥ مادة موزعة على ١٣ بابا [٢] .

أولا : وصف النظام السياسى المعاصر فى السودان

النظام السياسى هو الشكل الذى يتخذه الحكم فى الدولة كالنظام البرلمانى أو النظام الرئاسى أو حكومة الجمعية وغيرها من الأنظمة السياسية المختلفة التى ترتديها الحكومات . ومن ثم فالنظام السياسى بهذا المفهوم لا يختلف كثيراً عن النظام الدستورى ، ذلك لأن لكل دولة عصرية دستوراً ولا بد للسلطة التى هى العنصر المتحرك من شكل تنساب به وتسير بمقتضاه . فالدستور يرتبط بالمجتمع السياسى ارتباطا أصيلا لأنه ينبثق عن كيان المجتمع البشرى ذاته ومن ثم فهو يتصل فكريا وتاريخياً بالفلسفات والنظريات والقيم والمعتقدات السائدة على اختلاف اتجاهاتها إذ منها ومن الواقع يستمد الدستور جذوره ومبادئه بل جذور النظام السياسى بأكمله .

(١) المادة ٢١٧ من الدستور الدائم للسودان .

(٢) سبق إصدار الدستور الدائم للسودان عملية مخاض طويلة نسبياً ، فقد قدمت مسودة مشروع الدستور إلى مجلس الشعب السودانى سنة ١٩٧٢ وناقشها المجلس فى لجانه العشر المختلفة والتى انتهت إلى إقرار جزء كبير من مواد مسودة المشروع فقد كان هناك اتفاق كامل فى القضايا الدستورية الجوهرية التى حسمها الفكر السياسى المايوى (نسبة إلى ثورة مايو) كالنظام الرئاسى ومبدأ الإرادة الشعبية وتوحيد الجهود السياسية فى تنظيم سياسى واحد كما كان هناك اتفاق شبه تام أيضاً على نوع الهيئات والمؤسسات الدستورية والعلاقات بينها ، إلا أنه كان هناك أيضاً بعض القضايا التى احتاجت إلى إعادة النظر فأحيلت إلى المكتب السياسى للاتحاد الاشتراكى وكلفت لجنة مختارة « لجنة التنسيق » لتنظر فى هذه القضايا وأبدا مقترحاتها فيها وعقدت اللجنة إحدى وثلاثين إجتماعاً الفترة من ٢٤ يناير حتى ٨ مارس سنة ١٩٧٣ وذلك للتوحيد وجهات النظر المختلفة فى مشروع موحد . وتضمن مشروع الدستور المعدل ٢٣٩ مادة أى بزيادة قدرها ٥٥ مادة على موارد المسودة كما تضمن ٢٤ فصلا أى بزيادة قدرها أربعة فصول على فصول المسودة ثم حيل مشروع الدستور المعدل بعد ذلك إلى مجلس الشعب الذى اجتمع فى هيئة لمناقشته واستمرقت هذه المناقشة من ٦ مارس حتى أول أبريل سنة ١٩٧٣ .

وقد وعى الدستور الدائم للسودان هذه الحقيقة فنص عـلى أن هذا الدستور « استلهاما لتاريخ نضالنا واهتداء بقيم امتنا وبوحى من ضميرها ووجدانها »[1]. ذلك أن الدستور فى الدولة العصرية هو القانون الأساسى الذى تدور فى فلكه حياتها السياسية ويتجاوب فيه كيانها الاجتماعى وترتكز عليه أوضاعها الإدارية ومنه تستمد مبادئها القانونية والسياسية .

وبعبارة أخرى فان دراسة الدستور لا تعتبر دراسة للنظام السياسى بالمعنى العلمى إلا إذا اقترنت بمعرفت الأفكار والآراء والقيم السياسية المختلفة والمشاكل الحياتية خاصة المشاكل السياسية التى تصطدم بها السلطة الحاكمة .

وانطلاقا من هذه الحقيقة فان دراسة النظام السياسى فى السودان يجب ألا تقتصر بداهة على تفسير قواعد الدستور واستنباط معانى نصوصه بل لابد من الاستناد إلى الوسط الاجتماعى الذى انبثقت منه دولة السودان العصرية إذ أنه بين الدولة وقيامها تفاعلا دائما وتداخلا لا ينقطع تاثيره المتبادل .

وأود أن استاذن فى اعفائى من تحليل مكونات المجتمع السودانى والذى يتضمن :

١ — الاقليم كوسط جغرافى ، وتأثير الاقليم على المجتمع باعتبار أن الإنسان هو العامل الجغرافى الأول والأهم كما أثبت التاريخ فى جميع أحقابه ثم علاقة الوضع الاقليمى بقوانين المجتمع .

وهنا يمكن أن نشير إلى أن السودان تقع فى الشمال الشرقى من أفريقيا وهى أوسع دول القارة مساحة (٢ر٥٠٦ر٨٠٠ كيلو متر مربع) يحدها من الشمال مصر ومن الشرق البحر الاحمر وأثيوبيا ومن الجنوب كينيا وأوغندا وزائير ومن الغرب جمهورية أفريقيا الوسطى وتشاد وليبيا .

٢ — البشر فهم مادة المجتمع ويشكلون كالاقليم عنصراً أساسياً فى تركيب الجماعة السياسية ولابد من دراسة النواحى البيولوجية والديمجرافية — (العددية) والمرفولوجية (الشكلية) .

---

(١) ديباجة الدستور .

ونشير فى هذا الصدد إلى أن عدد سكان السودان ٠٠٠ر٨٠٠ر١٥ نسمة(١٩٧٠) واللغة الرسمية هى العربية ويتحدث بها حوالى ٥١٪ من السكان كما توجد لغات ولهجات أخرى فى الجنوب تبلغ حوالى ٣٢ لهجة مختلفة والدين الإسلامى هو ديانة أغلبية السكان (٧٠٪) ومعظمهم يتركزون فى الاقاليم الست الشمالية ومعظم الجنوب قبائل ورعاة وثنيون وتوجد نسبة من السكان تدين بالمسيحية .

كما أود أن أستاذن أيضاً فى إعفائى من دراسة القيم الاجتماعية السائدة فى المجتمع السودانى سواء من حيث شكلها ومصادرها ومضمونها ودرجة الزامها .

ومهما يكن من أمر فان طريقة ممارسة الحكم فى السودان تدور حول خمس هيئات أو مؤسسات دستورية وهى :

١ — السلطة التنفيذية (رئيس الجمهورية)

٢ — السلطة التشريعية (مجلس الشعب)

٣ — السلطة القضائية .

٤ — التنظيم السياسى : (الاتحاد الاشتراكى السودانى)

٥ — الحكم الذاتى الاقليمى للجنوب .

ويقتضى وصف النظام السياسى فى السودان أن نشير إلى كل مؤسسة بشىء من التفصيل .

١ — السلطة التنفيذية

رئيس الجمهورية هو رأس الدولة ويتولى السلطة التنفيذية ويشارك فى السلطة التشريعية (١) وهو رمز الوحدة الوطنية والسيادة وممثل الإرادة الشعبية (٢) ويساعد مجلس الوزراء رئيس الجمهورية فى اداء المهام التنفيذية (٣) ورغم أنه يجوز لرئيس الجمهورية أن يعين رئيساً للوزراء لمعاونته(٤) إلا أنه يظل مسئولا بمفرده عن السلطة التنفيذية (٥) .

---

(١) المادة ٨٠ من الدستور .

(٢) المادة ٨٢ من الدستور .

(٣) المادة ١١٠ من الدستور .

(٤) المادة ٩٠ من الدستور .

(٥) الملاحظ أنه إزاء احتمال أن يكون هناك رئيسان أحدهما يتولى رئاسة الدولة والآخر يعينه رئيس—

طريقة اختيار رئيس الجمهورية :

يمارس رئيس الجمهورية مهام منصبه بناء على تفويض مباشر من الشعب فيرشحه الاتحاد الاشتراكى السودانى ويستفتى عليه الشعب[1] ويشترط فى رئيس الجمهورية أن يكون سودانياً ومن أبوين سودانيين وألا تقل سنه وقت الترشيح عن ٣٥ عاما وأن يكون متمتعا بحقوقه السياسية والمدنية[2] . وفترة الرياسة مدتها ست سنوات ميلادية تبدأ من تاريخ أداء القسم « ويجوز انتخاب الرئيس لأى عدد من الفترات تالية ومتصلة[3] . ولقد تخوف بعض أعضاء مجلس الشعب السودانى عند مناقشة هذا النص من أن عدم تحديد عدد مرات تجديد فترة الرياسة يغرى رئيس الجمهورية بالاستبداد . إلا أن البعض قد رد على ذلك بأنه يجب أن ننظر إلى المؤسسات الدستورية ونوعها وإلى طبيعة المجتمع واحتياجاته فالمجتمع السودانى المعاصر مازال فى طريق الوحدة الوطنية التى لم تكتمل له مقوماتها بعد ولاتزال خصائصه الثقافية والحضارية مشتته كما أن مزاجه انشطاريا فيه الكثير من الفرقة والفتة. ومن ثم فان المجتمع السودانى يحتاج إلى قوة جمع مغناطيسية تستقطب وتوجه قواه المختلفة فى قوة واحدة هى قوة الارادة الشعبية وهى ليست قوة رئيس أو شخص معين أو قوة وظيفة معينة فالشعب السودانى لايخشى الاستبداد والقهر ولم يشكوه إلا أنه يعانى التخلف ويحتاج إلى قيادة تستطيع أن تمحو هذا التخلف .

والضمان لعدم استبداد رئيس الجمهورية هو أن الاتحاد الاشتراكى السودانى يرشح رئيس الجمهورية والاتحاد الاشتراكى منظم على أساس تسلسل هرمى من الوحدات المنتخبه ومن ثم فان رئيس الجمهورية لايمكنه أن يحكم إلا برضاء الشعب [4] .

= الدولة لتولى رئاسة الوزراء فاننا نجد دستور السودان يستخدم كلمة رئيس الجمهورية بدلا من كلمة الرئيس (رئيس الدولة والحكومة معاً) كما يجرى عليه العمل فى معظم النظم الرئاسية .

(١) المادة ٨٠ من الدستور .

(٢) المادة ٨٣ من الدستور .

(٣) المادة ٨٤ من الدستور .

(٤) أنظر محاضر جلسات مجلس الشعب السودانى لمناقشة مشروع دستور السودان الدائم فى الفترة من ٦ مارس حتى أول أبريل سنة ١٩٧٣ .

ولكن ماذا يحدث إذا خلا منصب رئيس الجمهورية ؟ لعلاج هذه القضية ليست هناك مشكلة إذا كان هذا الخلو نتيجة انهاء فترة الرياسة فيستمر الرئيس السابق فى تصريف اعباء الرئاسة إلى أن يتقلد الرئيس الجديد مهام منصبه [1].

أما إذا كان خلو منصب رئيس الجمهورية بسبب استقالته[2] أو عجزه عجزاً دائماً عن ممارسة سلطاته أو فقد أهليته أو أدين بتهمة الخيانة العظمى[3] . فى هذه الحالات يتولى رئاسة الجمهورية مؤقتاً النائب الأول لرئيس الجمهورية ويليه بالترتيب نائب الرئيس ثم رئيس مجلس الشعب فرئيس المحكمة العليا إلى أن يتم اختيار الرئيس الجديد خلال مدة لاتجاوز ستين يوما من تاريخ خلو منصبه[4].

اختصاصات الجمهورية :

يتضح من تحليل الدستور السودانى واتجاهات مناقشاته فى مجلس الشعب واللجان المختلفة أن رئيس الجمهورية يتمتع بالسيطرة والتفوق بمعنى أن له السلطة العليا والأخيرة وتكاد تكون هذه السلطة مطلقة فهو المسئول الوحيد عن العمل التنفيذى وإدارته كما أنه ممثل الإرادة الشعبية وممثل الأمة وتتجلى هذه النظرة فى أن الرئيس الجمهورية فى السودان يختص بالآتى :

١ — مسئولية صيانة الدستور واستقلال الوطن وسلامة أراضيه وحماية كيان الدولة وكفالة حسن سير السلطات العامة[5] . كما أنه مسئول أيضاً عن حماية انتصارات ثورة مايو ومكاسب الشعب ودعم تضامن قوى الشعب العاملة وتحقيق العدل والرفاهية للشعب[6].

---

(١) المادة ١٠٩ من الدستور .

(٢) يشترط أن تعتمد المحكمة العليا بناء على إبلاغ مجلس الشعب و مجلس الوزراء إذا كان مجلس الشعب غير قائم أن رئيس الجمهورية قد تقدم باستقالته مكتوبة لرئيس مجلس الشعب وتليت أمام المجلس (المادة ١٠٤ من الدستور) .

(٣) يتم إتهام الرئيس بالخيانة العظمى بناء على طلب أعضاء مجلس الشعب وموافقة مثل هذه النسبة من أعضاء المجلس فى جلسة سرية أمام محكمة خاصة (المادة ١٠٧ من الدستور) .

(٤) المادة ١٠٦ من الدستور .

(٥) المادة ٨١ من الدستور .

(٦) المادة ٨٢ من الدستور .

٢ — تعيين رئيس الوزارء والوزراء واعفائهم من مناصبهم وقبول استقالاتهم[١] كما يرأس اجتماعات مجلس الوزراء وتلقى تقارير الوزراء ويعين ذوى المناصب العليا فى الخدمة المدنية[٢].

٣ — يتولى القيادة العليا للقوات المسلحة[٣] ، وله أن يرسلها فى أية مهمة خارج البلاد إذا اقتضت مصلحة البلاد أو التزاماتها ذلك [٤]. كما أنه يعين الضباط [٥].

٤ — يعين ويعزل رئيس وقضاة المحكمة العليا وقضاه الاستئناف والمحاكم الأخرى . وجميع القضاه مسئولون أمامه عن حسن أدائهم[٦].

٥ — لرئيس الجمهورية سلطات سيادية كحق منح العفو عن العقوبة وتخفيفها أما العفو الشامل فلا يكون إلا بقانون[٧].

٦ — يختص رئيس الجمهورية فى مجال العلاقات الخارجية بتعيين رؤساء البعثات الدبلوماسية وعزلهم[٨] واعتماد سفراء الدول الأجنبية وممثليها الدبلوماسيين لدى حكومة السودان[٩]. كما يعلن الحرب بعد موافقة مجلس الشعب[١٠]. ويبرم المعاهدات ويصدق عليها ماعدا معاهدات الصلح والتحالف والمعاهدات التى يترتب عليها تعديل فى أراضى الدولة أو تتعلق بحقوق السيادة أو تؤثر فى نظام الحكم أو تفرض على الدولة التزامات جديدة أو تحمل خزانة الدولة نفقات غير واردة بالموازنة العامة للدولة أو تنطوى على تعديل لنصوص تشريعية أو تغيير للحقوق المدنية للأشخاص هذه المعاهدات لاتكون نافذة إلا بعد تصديق مجلس الشعب عليها[١١].

---

(١) المادتان ٨٩و ٩٠ من الدستور .

(٢) المادتان ٩١و ٩١ من الدستور .

(٣) المادة ٩١ من الدستور .

(٤) المادة ٩٧ من الدستور .

(٥) المادة ٩٢ من الدستور .

(٦) المادتان ج٩١و ١٩٥ من الدستور .

(٧) المادة ٩٦ من الدستور .

(٨) المادة ٩٢ من الدستور .

(٩) المادة ٩٢ من الدستور .

(١٠) المادة ٩٧ من الدستور .

(١١) المادة ٩٨ من الدستور .

٢ ـ السلطة التشريعية

يتولى مجلس الشعب – وهو مجلس نيابى مكون من مجلس واحد – السلطة التشريعية مع رئيس الجمهورية [١] .

تشكيل مجلس الشعب وطريقة عمله :

يشكل مجلس الشعب بحيث يمثل المناطق الجغرافية والوحدات الإدارية وتحالف قوى الشعب العاملة [٢] ولرئيس الجمهورية تعيين عدد من الأعضاء فى المجلس لا يتجاوز العشرة لتمثيل الكفاءات المختلفة فى المجلس بشرط ألا يكونوا من الوزراء [٣] وان كان يجوز الجمع بين منصب الوزارة وعضوية المجلس .

ويشترط فى عضو مجلس الشعب : أن يكون سودانياً وألا يقل عمره عن ٢١ سنه وأن يكون سليم العقل متمتعاً بحقوقه السياسية ملماً بالقراءة والكتابة وألا يكون أدين فى جريمة تمس الشرف والأخلاق وأمن الدولة [٤]. ولا يجوز لعضو مجلس الشعب أن يشغل أى منصب بمرتب فى الدولة أو القطاع العام أو أجهزة الحكم الشعبي والمحلى [٥] .

ويكون اجتماع المجلس قانونيا بحضور نصف الأعضاء ويصدر قراراته بالاغلبية المطلقة ماعدا الأحوال التى ينص فيها الدستور على خلاف ذلك وإذا تساوت الأصوات فى أى موضوع يعتبر مرفوضا [٦]. ويجتمع المجلس بناء على دعوة رئيس الجمهورية وينفض بقرار منه أيضاً و يجوز لرئيس الجمهورية دعوة المجلس إلى دورة استثنائية وأى إجتماع للمجلس فى غير الزمان والمكان الذى يحدده رئيس الجمهورية يعتبر لاغياً كما أن قراراته تكون باطلة .

---

(١) المادة ٩٥ من الدستور .

(٢) المادة ١٢٦ من الدستور .

(٣) المادة ١٢٧ من الدستور .

(٤) المادة ١٢٩ من الدستور .

(٥) المادة ١٥١ من الدستور .

(٦) المادة ١٤٢ من الدستور .

ومدة المجلس أربع سنوات تبدأ من تاريخ أول جلسة له وتجرى انتخابات المجلس الجديد خلال ستين يوما بعد نهاية مدة المجلس السابق . والمقر الرسمى لمجلس الشعب مدينة أم درمان .

اختصاصات مجلس الشعب :

تتعلق اختصاصات مجلس الشعب بالتشريع والعلاقات الخارجية والعمل التنفيذى والشئون المالية والإدارية وأهمها :

١ – رقابة ومحاسبة السلطة التنفيذية [١] .

٢ – اقرار الخطة العامة للتنمية[٢] . واقرار مشروع الموازنة العامة ومناقشة الحساب الختامى للدولة[٣] ولمجلس الشعب حق رفض أى تقديرات شملها مشروع اعتماد الموازنة كما له أن يعترض على المشروع[٤] ولا يجوز للسلطة التنفيذية بعد إقرار الموازنة من مجلس الشعب نقل أى مبلغ من باب إلى آخر أو الصرف على بند غير وارد فيها أو تجاوز تقديرات الصرف المعتمدة إلا بعد موافقة مجلس الشعب[٥].

٣ – تعديل الدستور بناء على اقتراح ثلثى أعضاء مجلس الشعب ويصبح الاقتراح نافذا بموافقة ثلثى أعضاء المجلس وموافقة رئيس الجمهورية وإذا لم يتفق رئيس الجمهورية ومجلس الشعب على التعديل يطرح الامر على الاستفتاء الشعبى .

٤ – حق سحب الثقة من الوزراء واستجوابهم .

العلاقة بين السلطتين التنفيذية والتشريعية

يمارس رئيس الجمهورية بعض اختصاصاته بالتعاون مع مجلس الشعب وأول هذه الاختصاصات هى المشاركة فى السلطة التشريعية[٦] وتتجلى مظاهر هذه المشاركة أن رئيس الجمهورية له الحق فى الآتى :

(١ و ٢) المادة ١١٥ من الدستور .

(٣) المادتان ١٦٩ و ١٨١ من الدستور .

(٤) المادة ١٧١ من الدستور .

(٥) المادة ١٧٧ من الدستور .

(٦) المادة ٨٠ من الدستور .

١ — حق اقتراح القوانين[١] ، بل أن هذا الحق مكفول أيضاً لرئيس الوزراء ومجلس الوزراء والوزراء وفي حالة غياب مجلس الشعب أو نشوء ظرف هام وعاجل يحق لرئيس الجمهورية أن يصدر أوامر جمهورية مؤقته لها قوة القانون على أن تعرض هذه الأوامر على مجلس الشعب خلال خمسة عشر يوما من تاريخ صدورها أو في أول جلسة للمجلس في حالة الحل أو وقف جلساته أو انتهاء دورته فاذا لم تعرض أو عرضت ولم يقرها المجلس زال ما كان لها من قوة القانون ولكن بدون أثر رجعي[٢]

٢ — حق الاعتراض (الفيتو) على مشروعات القوانين التي أجازها المجلس ويردها إلى المجلس مشفوعة باسباب الاعتراض خلال ثلاثين يوما من رفعها إليه فاذا لم يردها في هذا الموعد اعتبر قانونا واصدر اما إذا ردها في الموعد المحدد إلى المجلس واجازها ثانية باغلبية أعضائه اعتبر قانونا واصدر [٣] .

٣ — حق اقتراح تعديل الدستور بشرط أن يوافق مجلس الشعب على ذلك باغلبية ثلثي أعضائه[٤] ومن حق ثلثي أعضاء مجلس الشعب اقتراح تعديل الدستور وإذا نشب خلاف بين السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية حول التعديل عرض الأمر على الاستفتاء الشعبي .

أما مظاهر التعاون بين السلطتين التنفيذية والتشريعية فتتلخص في أن رئيس الجمهورية يقوم ببعض الاعمال التي تعد تدخلا في شئون السلطة التشريعية (مجلس الشعب) في حين أن الأخير يمارس بعض الاختصاصات التي تعد من صميم العمل التنفيذي وسوف تعرض بعض صور التعاون على النحو الآتي :

(ا) يتدخل رئيس الجمهورية في عمل مجلس الشعب حيث يتمتع الرئيس بالاختصاصات التالية :

١ — تعيين عدد من الأعضاء في مجلس الشعب لايتجاوز العشرة أعضاء يمثلون الكفاءات المختلفة [٥] .

(١) المادة ١٦٢ من الدستور .
(٢) المادة ٩٨ من الدستور .
(٣) المادة ٩٩ من الدستور .
(٤) المادة ٢٢٥ من الدستور .
(٥) المادة ١٢٧ من الدستور .

٢ – يلقى بيانا يتضمن السياسة العامة للدولة وذلك عند افتتاح دور الانعقاد العادى لمجلس الشعب[١].

٣ – يصدر اللائحة التى تنظم أعمال مجلس الشعب[٢].

٤ – يدعو مجلس الشعب إلى الانعقاد ويأمر بفض دورته[٣] وله أن يدعوه إلى دورة غير عادية بالتشاور مع رئيس مجلس الشعب[٤].

٥ – يخاطب مجلس الشعب بشخصه أو بالرسائل وله أن يطلب رأى المجلس فى موضوع معين ويعطى هذا الطلب الأولوية على أعمال المجلس الأخرى [٥].

٦ – يستفتى الشعب فى المسائل الهامة التى تتصل بمصالح البلاد العليا بالتشاور مع مجلس الشعب ونتيجة الاستفتاء ملزمة ونافذة من تاريخ اعلانها [٦].

٧ – يعلن حالة الطوارىء إذا حدث خطر داهم يهدد استقلال البلاد أو وحدة وسلامة أراضيها أو كيانها الاقتصادى أو النظام الجمهورى ومؤسساتها الدستورية أو تنفيذ التزاماتها الدولية أو مكاسب الشعب [٧].

(ب) يتدخل مجلس الشعب فى عمل رئيس الجمهورية حيث يتمتع المجلس بالاختصاصات التالية :

١ – يؤدى رئيس الجمهورية اليمين أمام مجلس الشعب قبل مباشرة مهام منصبه [٨].

---

(١) المادة ١٥٦ من الدستور .

(٢) المادة ١٣٦ من الدستور .

(٣) المادتان ١٣٢ و ١٣٣ من الدستور .

(٤) المادة ١٣٤ من الدستور .

(٥) المادة ١٠٢ من الدستور .

(٦) المادة ١٠٨ من الدستور .

(٧) يشترط أن يعرض إعلان حالة الطوارئ على مجلس الشعب خلال خمسة عشر يوما وإذا لم يكن المجلس منعقدا يدعوا لرئيس المجلس للنظر فيها أو إتخاذ قرار بشأنها فى مدة لا تتجاوز ثلاثين يوما وإذا كان المجلس منحلا يعرض الأمر على المجلس الجديد فى أول جلسه له وتنفذ حالة الطوارئ لمدة لا تتجاوز ثلاثين يوما وبخلاف الأحوال التى لا يكون فيها المجلس منحلا لا يجوز للرئيس تجديدها و زيادتها لا بعد موافقة مجلس الشعب (المادة ١٠٣ من الدستور .)

(٨) المادة ٨٥ من الدستور .

٢ – يكلف مجلس الشعب – بموافقة رئيس الجمهورية – أية لجنة من أعضائه بالتحقيق فى أية مسالة تدخل فى اختصاص ومسئولية السلطة التنفيذية وترفع هذه اللجنة تقريرها إلى المجلس[١] .

٣ – يفوض مجلس الشعب رئيس الجمهورية أو رئيس الوزراء أو أى من الوزراء اصدار أية أوامر لوائح أو أحكام تكون لها قوة القانون .

العلاقة بين الوزارة ومجلس الشعب :

تتضح هذه العلاقة فى الصور الآتية :

١ – يجوز الجمع بين المنصب الوزارى وعضوية مجلس الشعب[٢] ، كما يجوز للوزراء حضور جلسات مجلس الشعب والاشتراك فى مناقشاته دون أن يكون لهم حق التصويت إلا إذا كانوا اعضاء فى المجلس[٣].

٢ – رئيس الوزراء والوزراء مسئولون أمام مجلس الشعب منفردين عن تصرفاتهم[٤] إلى جانب مسئوليتهم أمام رئيس الجمهورية عن اداء مهامهم[٥] ، وهم ملزمون بالمثول أمام مجلس الشعب أو لجانه للرد على أسئلة اعضاء المجلس واستفساراتهم واستجواباتهم وعلى الوزراء تقديم أى بيانات يطلبها المجلس أو لجانه[٦] ، ويحق لعضو مجلس الشعب توجيه أسئلة إلى رئيس الوزراء أو الوزراء كل فى اختصاصه[٧] ويحق له أيضاً أن يستجوب أيا منهم عن مسألة ذات صيغة عامة[٨].

ولمجلس الشعب أو احدى لجانه أن يطلب من رئيس الوزراء أو أى من الوزراء الادلاء ببيان عن موضوع يدخل فى نطاق اختصاصه[٩].

---

(١) المادة ١٦٠ من الدستور .
(٢) المادة ١١٧ من الدستور .
(٣) المادة ١٢٨ من الدستور .
(٤) المادتان ١١٣ و ١١٦ من الدستور .
(٥) المادة ١١٤ من الدستور .
(٦) المادة ١١٥ من الدستور .
(٧) المادة ١٤٨ من الدستور .
(٨) المادة ١٤٩ من الدستور .
(٩) المادة ١٥٠ من الدستور .

٣ – رغم أن الأصل فى انشاء الضرائب الجديدة أو تعديل الضرائب القائمة أو الغائها يكون بموافقة مجلس الشعب [(١)] . إلا أنه لمجلس الوزراء أن يصدر أمراً بسريان ضريبة مقترحة أو أى تعديل أو إلغاء مقترح لضريبة قائمة من تاريخ عرض مشروع القانون الخاص بذلك على مجلس الشعب ولكن بشرط أن ينتهى العمل بذلك الأمر عند صدور القانون المالى أو عند رفض مجلس الشعب للمشروع [(٢)] .

٤ – يحق لمجلس الشعب أن يتقدم باغلبية ثلثى أعضائه بطلب إلى رئيس الجمهورية باعفاء رئيس الوزراء أو أى من الوزراء من منصبه إذا رأى مجلس الشعب أن تصرفاته فى مسالة معينة تستوجب اللوم أو أنه فقد ثقة المجلس بصفة عامة[(٣)] وإذا ما أصدر المجلس قرارا بعدم الثقة وجب على رئيس الوزراء أو الوزير المعنى وضع إستقالته رهن تصرف رئيس الجمهورية[(٤)] . ويجب أن نشير فى هذا الصدد إلى أنه قدم اقتراح عند مناقشة مشروع الدستور بان ينص على أنه يجب على رئيس الجمهورية الإستجابة لطلب ثلثى أعضاء مجلس الشعب سحب الثقة من الوزير إلا أنه عدل عن الأخذ بهذا الاتجاه للأسباب الآتية :[(٥)].

– أن النظام السياسى الذى جاء به الدستور الدائم ليس برلمانيا أو رئاسيا وإنما هو مزيج وخليط .

– أن هذا الاقتراح يجعل النظام السياسى نظاما برلمانيا بحتا لانه يلزم رئيس الجمهورية بقبول الاستقالة وتنحية الوزير وهذا خطا لانه يمنع الوزير من القيام بواجبه على الوجه الاكمل وتصبح كثير من الاصلاحات متعذرة فضلا عن أنه يؤدى إلى تبارى الوزراء فى كسب رضاء وثقة أعضاء مجلس الشعب .

– أن الوزير ملزم إذا فقد ثقة المجلس أن يضع استقالته تحت تصرف رئيس الجمهورية .

---

(١) المادة ١٧٨ من الدستور .
(٢) المادة ١٧٩ من الدستور .
(٣) المادة ١٥٢ من الدستور .
(٤) المادة ١٥٣ من الدستور .
(٥) محاضر جلسات مجلس الشعب لمناقشة مشروع الدستور فى الفترة من ٦ مارس حتى أول أبريل سنة ١٩٧٣.

– أن رئيس الجمهورية مكلف بمهمتين أولها : إدارة الجهاز التنفيذى ثانيهما الاستجابة للرغبات الشعبية بوصفه ممثلا للارادة الشعبية .

التوازن بين السلطتين التشريعية والتنفيذية :

تتجلى أهم مظاهر التوازن بين السلطتين التشريعية والتنفيذية فى النظام السياسى السودانى بانه لرئيس الجمهورية حل مجلس الشعب إذا رأى أن المصلحة العامة تقتضى ذلك وأن الظروف تحتم الاحتكام من جديد إلى الناخبين[1] . ومن الملاحظ أنه فى النظام الرئاسى لا يستطيع الرئيس حل المجلس مطلقا وفى مقابل ذلك لايستطيع المجلس أن يسقط الوزارة ولا أن يسائل السلطة التنفيذية أو يستجوب الوزراء أو يسحب الثقة منهم أو يطالبهم بالاستقالة . وفى النظام البرلمانى يستطيع رئيس الوزراء أن ينصح رئيس الدولة بحل المجلس النيابى كما أن الاخير يستطيع أن يسقط الوزارة .

أما فى دستور السودان الدائم فاننا إزاء نظام رئاسى يقتبس بعض ملامح النظام البرلمانى فيحق لمجلس الشعب كما سبق أن اشرنا استجواب الوزراء والزامهم بالمثول أمامه للرد على استفساراته ولتقديم البيانات وللاستجواب وأن يسحب الثقة ويوصى رئيس الجمهورية بقبول استقالة أى من الوزراء وفى مقابل ذلك منح الدستور رئيس الجمهورية حق حل المجلس النيابى (مجلس الشعب) إلا أن هذا الحق مقيد بأربعة ضوابط أولها : أن تكون هناك ظروف تستدعى اللجوء إلى الناخبين ثانيها : أن يتضمن قرار الحل دعوة لانتخاب مجلس جديد . ثالثها : أن يجتمع المجلس الجديد خلال خمسة عشر يوما من تاريخ انتخابه . رابعها : عدم جواز حل المجلس الجديد خلال سنة من تاريخ انتخابه[2] .

وعلى كل فان المفهوم السياسى الذى يكمن وراء فكرة فصل السلطات يعتمد أساساً على الشك فى السلطة سواء كانت تشريعية أو تنفيذية أو قضائية . ولعلاج ذلك ابتداع نظام التوازن والتعاون بين السلطات والذى بمقتضاه لايستطيع صاحب أى سلطة أن يذهب إلى نهاية الشوط إلا أن هذا الفصل بين السلطات نظرى بحت

---

(١) المادة ١٠٠ من الدستور .

(٢) المادة السابقة .

أثبتت التجارب أنه غير ممكن عمليا . وفى دستور السودان الدائم فان الوزير الذى الذى يفقد ثقة مجلس الشعب ملزم بأن يضع استقالته تحت تصرف رئيس الجمهورية كما أن حق الرئيس فى حل مجلس الشعب هو حق احتياطى للظروف الاستثنائية وهو حق بغيض ذلك لأن اللجوء إليه باستمرار يعنى أن النظام لا يعتمد على ثقة شعبية وفى الوقت نفسه فهو رخصة ضرورية فى الأزمات الطارئة ليؤكد لكل السلطات أن عملها مكمل لبعضها البعض وأن التعاون والوئام يجب أن يسود بينها . . .

علاوة على ذلك فان حق الرئيس حل مجلس الشعب يعطى الجماهير الشعبية الفرصة المباشرة للمشاركة فى العملية الديمقراطية إذ أن لهذه الجماهير أن تؤثر على من تنتخبه سواء كان رئيس جمهورية أو اعضاء مجلس الشعب . فعن طريق الحل تستطيع الجماهير إذا رأت أن سياسة المجلس لاتمثل رغباتها أن تلجا للضغط على رئيس الجمهورية لحله وتستطيع أيضاً أن تضغط على أعضاء المجلس إذا رأت أن سياسة الرئيس حادت عن التكليف الذى كلفته به ، ليطلبوا من الرئيس أن يعرض سياسته على الاستفتاء الشعبي إذا كانت تضير بالمصلحة العامة ولاتحوز على تأييد الجماهير ورئيس الجمهورية ملزم بالاستجابة لهذا الطلب خلال ستين يوما من تاريخ رفعه[1]. وبذلك تستطيع الجماهير أن تمارس هذا الحق بجدية تملك به أمرها .

٣ ـ السلطة القضائية

رغم أن القضاة مسئولون أمام رئيس الجمهورية عن حسن أدائهم[2] إلا أنه من ناحية أخرى نجد أن ولاءهم لهيئة مستقلة هى الهيئة القضائية التى هى بدورها أيضاً مسئولة مباشرة أمام رئيس الجمهورية عن اداء عملها[3] . كذلك فقدضمن الدستور استقلال القضاه فى اداء واجباتهم القضائية ولا سلطان عليهم إلا الحكم القانون .

---

(١) المادة ١٠١ من الدستور . وأنظر أيضاً محاضر جلسات مجلس الشعب لمناقشة مشروع الدستور فى الفترة من ٦ مارس حتى أول أبريل سنة ١٩٧٣ .

(٢) المادة ١٩٤ من الدستور .

(٣) المادة ١٩٣ من الدستور .

وقد أحدث الدستور الدائم للسودان هئتين قضائيتين هما :

١ ــ المحكمة الدستورية العليا وهى حارسة للدستور وتختص بتفسيره والطعن فى دستورية القوانين وتنازع الاختصاص القضائى والطعن بالنقض فى جميع المواد القانونية .

٢ ــ مجلس القضاء العالى : ويختص بالشئون الإدارية للقضاء ، وهو يختلف فى مفهومه عن النظم التى يكون فيها للقضاء وضعا مستقلا خارجا عن نطاق السلطة الممنوحة فالقضاء حسب الدستور الدائم محكوم ومقيد بولاية للارادة الشعبية (رئيس الجمهورية) وهو يختلف بذلك عن معظم البلدان التى نجد فيها السلطة القضائية موازية للسلطتين التشريعية والتنفيذية ذلك أن النظام السياسى فى السودان يجعل جميع السلطات خاضعة للارادة الشعبية ، وسلطة الارادة الشعبية وضعت لتمثل السلطة التنفيذية ولذا فان رئيس الجمهورية هو المشرف والمسئول عن القضاء .

وبالجملة فان استقلال القضاء فى المفهوم السودانى ليس استقلالهعن السلطتين التنفيذية والتشريعية ولكن حق القضاة فى التصرف بحرية حسب القانون [١] .

٤ ــ التنظيم السياسى

يقوم التنظيم السياسى فى السودان على أساس تحالف قوى الشعب العاملة المتمثلة فى الزراع والعمال والمثقفين والرأسماليين الوطنيين والجنود ، وهو التنظيم السياسى الوحيد فى السودان وتقوم أجهزته وتنظيماته على أساس مبادىء المشاركة الديمقراطية[٢] . وذلك أمر طبيعى مادامت ثورة الخامس والعشرين من مايو قد تفجرت من كفاح جماهير العمال والمزراعين والجنود والمثقفين والرأسمالية الوطنية[٣]

(١) محاضر جلسات مجلس الشعب لمناقشة مشروع الدستور فى الفترة من ٦ مارس حتى أول أبريل سنة ١٩٧٣ .

(٢) المادتان ٣ و ٤ من الدستور .

(٣) فاتحة ميثاق العمل الوطنى الذى قدمه الرئيس جعفر محمد نميرى رئيس الجمهورية ورئيس الاتحاد الاشتراكى السودانى إلى المؤتمر القومى التأسيسى للاتحاد الأشتراكى السودانى فى ٢ يناير سنة ١٩٧٢ والذى أقره بالإجماع فى جلسته الختامية فى ١٠ يناير من العام نفسه .

أنظر ميثاق العمل الوطنى ، الاتحاد الاشتراكى السودانى ، شركة الطابع السودانى ص ٣ .

«وتتلاحم فيها قوى الثورة وصولا إلى تحالف كافة القوى ذات المصلحة فيها[1]»
ذلك أن الشعب السودانى «يحشد قواه فى الاتحاد الاشتراكى السودانى التنظيم السياسى الثورى الشامل ليحمى إرادته فى الحرية . . . بارساء الديمقراطية السليمة ونقل السلطة إلى أيدى الشعب»[2] .

وسنعرض بالتحليل أهداف الاتحاد الاشتراكى السودانى واختصاصاته وواجباته وأساس ممارسته السلطة وهيكله وبنيانه التنظيمى بمستوياته المختلفة ومسئولية كل مستوى والعلاقة بينها وبين جهاز الحكم ومؤسساته .

١ ـ أهداف الاتحاد الاشتراكى السودانى :

الاتحاد الاشتراكى السودانى هو التنظيم السياسي الوحيد ومن ثم فهو يشكل الاطار السياسى الشامل للعمل الوطنى ويتسع مع منظماته الجماهيرية لجميع قوى الشعب العاملة علاوة على ذلك فان الاتحاد الاشتراكى السودانى هو المسئول عن قيادة الحياة فى السودان وتوجيهها لأنه يتولى قيادة العمل الوطنى وقيادة نشاط الدولة كله فله سلطة وضع السياسات العامة والخطط والبرامج وله حق الاشراف والمراقبة باسم الشعب كما أنه يتصدى للدفاع عن مصالح الجماهير وهو أعلى تنظيم فى الدولة بل هو سلطة الثورة على أجهزة الدولة إذ أنه يمثل السلطة الشعبية ولذا فان مجلس الشعب ومجالس الحكم الشعبى المحلى تنفذ السياسة التى يرسمها الاتحاد الاشتراكى[3]

ويلتزم الاتحاد الاشتراكى بحماية الميثاق التزاما فكريا ووطنيا «وحماية الميثاق هى الالتزام الفكرى والوطنى به ، مبادىء واهدافا واسلوب عمل ، وهى باستيعابه وتمثله سلوكا يوميا فى حركة جماهيرنا وهى الوقوف فى وجه المحرفين والانتهازيين والمتسلقين والمتاولين وهى الجهد الدائب والمتجرد ليصير الميثاق واقعا معاشا ينتقل

---

(١) المرجع السابق ص ٥ .

(٢) ميثاق العمل الوطنى مرجع سابق ، الباب الثانى ص ٢٩ .

(٣) الأمانة العامة ، الاتحاد الاشتراكى السودانى ، النظام الأساسى للاتحاد الأشتراكى السودانى ، صادر بالقرار الجمهورى رقم ٣٠ فى ٢٥ يناير سنة ١٩٧٢ ، دار الأيام للطباعة والنشر ، الخرطوم بحرى . ص ٥ .

به المجتمع السوداني بإرادة الجماهير الثورية وبأدلتها من التخلف الاقتصادي والاجتماعي إلى مجتمع التقدم »[1] ويمكن أن تجمل أهداف الاتحاد الاشتراكي السوداني في الآتي[2] :

– توحيد قوى الشعب العاملة لحماية منجزات وأهداف ثورة مايو ولبناء السودان الاشتراكي الواحد .

– دفع العمل الثوري وقيادته لتحقيق الديمقراطية السليمة ولتحقيق مبدأ نقل السلطة إلى الشعب .

– بناء وقيادة المنظمات الجماهيرية الشعبية .

أما أسس وقواعد وضوابط ممارسة العمل السياسي داخل الاتحاد الاشتراكي السوداني فانها تقوم على : احترام الأقلية لرأى الاغلبية وخضوع الأجهزة الدنيا للأجهزة العليا وكسب ثقة الشعب على أساس من الاقناع والاقناع والارتكاز على نظام الطاعة الواعية لا السلبية في العلاقات بين أجهزة الاتحاد والمنظمات الجماهيرية وعدم تعالى أجهزة الاتحاد على الجماهير وعدم انعزالها عنها والعمل بالجماهير لمصلحتها مع الحرص على نشر الحقائق على الجماهير والاعتراف بالخطأ واصلاحه ، وقبول استخدام النقد والنقد الذاتي البناء في العمل والالتزام باحترام النشاط النقابي ومساعدة النقابات في الاحتفاظ باستقلالها واحترام نظامها الداخلي . كل هذه الضوابط في ممارسة العمل السياسي تهدف أن تجعل من الاتحاد الاشتراكي السوداني تنظيما جماهيرياً فعالا يقوم على أسس ديمقراطية سليمة وانفتاح صحي وايجابي بين أجهزته وبينه وبين الجماهير[3] .

---

(١) ميثاق العمل الوطني مرجع سابق ، الباب السادس ص ٧٧ .

(٢) المادة الأولى من النظام الأساسي للاتحاد الأشتراكي السوداني ، مرجع سابق ص ٦ وأيضاً خطاب الرئيس جعفر محمد نميري في الجلسة الأفتتاحية للموتمر القومي التأسيسي للاتحاد الاشتراكي السوداني في ٢ يناير سنة ١٩٧٢ منشورات الأمانة العامة للاتحاد الأشتراكي ، مطابع مؤسسة القرشي ، الخرطوم . ص ١٣ .

(٣) المادة الثانية من النظام الأساسي للاتحاد الأشتراكي السوداني ، مرجع سابق . ص ٦ وما بعدها أيضاً خطاب الرئيس جعفر محمد نميري في الجلسة الأفتتاحية للمرتمر القومي التأسيسي للاتحاد الأشتراكي السوداني في ٢ يناير سنة ١٩٧٢ مرجع سابق ، ص ١٤

٢ – عضوية الاتحاد الاشتراكي السوداني :

يجب ألا تقل نسبة العمال والمزارعين عن ٥٠٪ من مجموع الاعضاء عند تشكيل اجهزة الاتحاد الاشتراكي من الوحدة الأساسية حتى المؤتمر القومي العام وذلك باستثناء مؤتمرات ولجان الاتحاد الاشتراكي التي لاتتوافر في عضويتها هذه النسبة[١].

وعضوية الاتحاد الاشتراكي السوداني حق لكل مواطن صالح سوداني لاتقل عمره عن ١٨ سنة ولم تصدر ضده أحكام جنائية ماسة بالامانة والشرف ، ولم يعزل سياسياً و يؤمن باهداف وأفكار ثورة مايو ومبادئها وبالميثاق دليل عمل الثورة مع استعداده للعمل في أجهزة الاتحاد لتحقيق أهدافه [٢].

ويترتب على إكتساب عضوية الاتحاد الاشتراكي حقوق[٣] وواجبات [٤]

---

(٢) المادة ٢٣ من النظام الأساسي للاتحاد الاشتراكي السوداني مرجع سابق ص ٢٤ .

(٣) حددت المادة ٢٥ من النظام الأساسي للاتحاد الأشتراكي حقوق عضو الاتحاد الاشتراكي في الآتي :

– الانتخاب والترشيح لمناصب الإتحاد الإشتراكي القيادية .

– الاشتراك في المناقشات وابداء الرأي في إجتماعات الإتحاد التي هو عضو فيها .

وأن يناقش العوامل المؤثرة على رفع المستوى الإجتماعي والاقتصادي والثقافي لوحدته الأساسية ويشترك في لجان البحث والدراسة للوصول إلى الحلول المناسبة لها .

– التقدم باقتراحات واسئلة إلى أجهزة الاتحاد والتوجه بالانتقادات لرفع مستوى عمل الإتحاد وأجهزته وأن يرفع رأيه إلى أية هيئة قيادية للاتحاد إذا كان مخالفا القرار من قرارات الإتحاد .

(٤) حددت المادة ٢٤ من النظام الأساسي للاتحاد الإشتراكي واجبات العضو في الآتي :

– التمسك بالقيم الروحية الإنسانية والإشتراكية للثورة والشعب .

– المحافظة على وحدة الاتحاد الأشتراكي وأجهزته والمنظمات الجماهيرية الشعبية .

– بذل كل جهده وأمكاناته في تنفيذ قرارات الإتحاد الإشتراكي .

– الإلمام بقرارات وبحوث أجهزة الاتحاد وشرحها للجماهير وأن يكون قدوة حسنة للجماهير ومثالا صادقا للمواطن في المجتمع الاشتراكي .

– أن يقبل قرار الأغلبية وينفذه باخلاص حتى ولو كان مخالفا لرأيه .

– أن يرفع باستمرار من مستواه الفكري والثقافي وأن يتفهم بعمق مبادئ الميثاق ويشرحه للشعب .

– التضحية بمصلحته الشخصية في سبيل مصلحة الإتحاد الإشتراكي ومصلحة الشعب والثورة وألا يطلب لنفسه أو لغيره منفعة أو أمتيازات واستثناءات

للعضو . وتزول عضوية الاتحاد الاشتراكي أو تسقط عن الشخص فى أحدى حالتين [1].

الأولى : العضو العامل الذى لايسدد اشتراكه لمدة ستة أشهر متتالية تسقط عنه العضوية العاملة .

الثانية : عضو اللجنة الذى يتخلف بدون سبب مقبول عن مزاولة نشاطه فى أعمال اللجنة لمدة ستة أشهر متتالية تسقط عنه عضوية تلك اللجنة .

كما أن النظام الاساسى للاتحاد الاشتراكى قد حدد القواعد والاجراءات التنظيمية الخاصة بمحاسبة الاعضاء على المخلفات التى يرتكبونها[2] .

٣ ـ البنيان التنظيمى للإتحاد الاشتراكى :

يتكون البنيان التنظيمى للاتحاد الاشتراكى من مؤتمر ولجنة على خمس مستويات ثم المكتب السياسى والامانة العامة ونناقشها على النحو التالى :

أولا ـ مؤتمر ولجنة الاتحاد الاشتراكى على خمس مستويات :

(ا) الوحدة الأساسية أو الفرع .

الوحدة الأساسية هى قاعدة التنظيم وتتكون فى القرية أو الحى أو موقع

ـ التعرف على مشاكل الجماهير المحيطة بمجاله وأن يعمل لحلها وفق توجيهات الإتحاد الإشتراكى وأن ينقل رأى الجماهير وملاحظاتها للإتحاد الإشتراكى

ـ إجتذاب العناصر الطلعية لعضوية الإتحاد الإشتراكى ومراكزه لقيادته والوقوف بقوة ضد أعداء الثورة والإتحاد الإشتراكى .

(١) المادة ٣٧ من النظام الأساسى للاتحاد الإشتراكى ، مرجع سابق ص ٣١ .

(٢) المواد من ٢٦ إلى ٣٠ من النظام الأساسى للاتحاد الإشتراكى ، مرجع سابق ص ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ : وتتلخص أحكام هذه المواد فى أن العضو يحاسب إذ إنحرف عن مبادئ الميثاق وأهمل فى القيام بواجباته أو امتنع عن تنفيذ قرارات الإتحاد الإشتراكى وأجهزته أو أدين فى أية جريمة من الجرائم المخلة بالشرف أو الأمانة أما الجزاءات التى يجوز توقيعها على العضو هى : التنبية واللوم ولوف من العضوية لمدة محددة والفصل من لجان منظمات الإتحاد والفصل من العضوية العامة ، على أنه من حق العضو الدفاع عن أى إتهام يوجه إليه كما تكنه الطعن فى القرارات الصادرة بتوقيع جزاءات عليه لمام لجنة النظام الداخلى التى يشكلها المكتب السياسى من ثلاثة من أعضاء اللجنة المركزية .

أنظر أيضاً : قواعد محاسبة الأعضاء التى أصدرها المكتب السياسى للاتحاد الإشتراكى السودانى .

الانتاج أو ماعاثلها [1] أو أى تجمع سكانى به مائة شخص أو أكثر .

ومؤتمر الوحدة الأساسية[2] هو أعلى سلطة للاتحاد الاشتراكى فى مستوى الوحدة ويختص بانتخاب أعضاء الجنة الوحدة الاساسية وانتخاب مندوبى الوحدة الاساسية لمؤتمر القسم[3] .

وإلى جانب مؤتمر الوحدة الأساسية فهناك أيضاً وعلى نفس المستوى مؤتمر الفرع . فالوحدات الفرعية فى مجالات العمل هى قاعدة الهرم التنظيمى للاتحاد الاشتراكى فى مجال العمل وينشأ فرع الاتحاد الاشتراكى فى أى مجال عمل به ثلاثون أو أكثر أما المناطق التى لا يتوفر فيها الحد الادنى فيجوز تجميع العاملين فى أماكن عمل متعددة فى فرع واحد وينطبق على مؤتمر الفرع نفس قواعد تنظيم واختصاصات مؤتمر الوحدة الاساسية [4] .

أما لجنة الوحدة الأساسية فهى تتكون فى مكان السكن من أحد عشر عضواً ينتخبهم مؤتمر الوحدة الأساسية مرة كل سنتين [5] وتختص بقيادة العمل السياسى فى الوحدة والاتصال بالجماهير والعمل وسطها وإدارة النشاط اليومى وتنفيذ سياسات وخطط الاتحاد الإشتراكى والتوجيهات التى تصدر إليها من لجنة الاتحاد فى المستوى الأعلى ودراسة التقارير التى تقدم إليها أو المرفوعة منها إلى الأجهزة العليا وتعميق التربية الفكرية الملتزمة بمبادىء واهداف ثورة مايو والعمل المستمر لترقية الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للجماهير وتعبئة الجهود لزيادة الإنتاج فى جميع مجالاته كما تختص أيضاً بالتعرف على احتياجات ومشاكل الجماهير

---

(١) المادة ٤ من النظام الأساسى للاتحاد الإشتراكى ، مرجع سابق ص ٨

(٢) يتكون مؤتمر الوحدة الأساسية من جميع أعضاء الإتحاد الإشتراكى فى الوحدة الأساسية ومدته عامان ويجتمع دوريا مرة كل ستة أشهر على الأقل أو فى دورات غير عادية بناء على طلب لجنة الوحدة الأساسية أو طلب ¼ أعضاء الوحدة وتشرف أمانة التنظيم بلجنة القسم على التحضير والدعوة للمؤتمر وتشرف على وضع جدول أعماله ومشروعات قراراته (المادة الخامسة من النظام الأساسى للاتحاد الإشتراكى مرجع سابق ، ص ١١) .

(٣) نفس المصدر السابق .

(٤) أنظر قواعد تأسيس وتنظيم الإتحاد الإشتراكى التى أصدرها المكتب السياسى للاتحاد .

(٥) المادة ٦ من النظام الأساسى للاتحاد الاشتراكى مرجع سابق ص ١١ .

ودراستها والعمل علـى حلها بالتعاون مع المؤسسات والمنظمات المحليـة ورفع ما استعصى منها عـلى الحل إلى تنظيمات الإتحاد الإشتراكي في المستوى الأعلى لحلها والعمل على خلق حياة تنظيمية إيجابية سليمة داخل الوحدة الأساسية والتأكد من أن كافة الاعضاء يؤدون واجبات العضوية بهمة ومن أن الوحدة مجتمعة على دعم الوحدة الوطنية [1] .

أما بالنسبة إلى لجنة الفرع فانها تتكون من أحد عشر عضواً ينتخبهم مؤتمر الفرع مرة كل سنتين وتنطبق عليها نفس قواعد ونظم لجنة الوحدة الأساسية من حيث طريقة العمل والاختصاصات . . . . الخ [2] .

(ب) القسم : هو قسم الإتحاد الإشتراكي الذي يشمل جميع الوحدات الأساسية القائمة في دائرة مجلس الحكم الشعبي المحلي بالمديرية .

ومؤتمر القسم هو أعلى سلطة للاتحاد الاشتراكي على مستوى القسم ويتكون من مندوبين[3] لجميع الوحدات الاساسية الموجودة في نطاق القسم ومدته عامان

---

(١) المادة ٧ من النظام الإساسي للاتحاد الإشتراكي ، مرجع سابق ص ١٢ .
تنتخب اللجنة من بين أعضائها أمينا عاما وأمينا مساعدا للتنظيم والنشاط ومساعدين آخرين لاوجه النشاط المختلفة وتعقد إجتماعات دورية عادية مرة كل شهر على الأقل واجتماعات غير عادية بناء على قرار من أمينها العام . (المادة ٦ من النظام الأساسي)

(٢) أنظر قواعد تأسيس وتنظيم الإتحاد الإشتراكي ، مرجع سابق .

(٣) أصدر المكتب السياسي للاتحاد الأشتراكي قواعد تأسيس وتنظيم مؤتمر القسم على النحو التالي :

– كل وحدة أساسية وكل فرع لا تزيد عضوية كل منها عن ٣٠٠ يمثل كل منهما مندوب واحد .

– كل وحدة أساسية وكل فرع لا تقل عضوية كل منها عن ٣٠٠ ولا تزيد عن ٤٠٠ يمثل كل منها مندوبان .

– كل وحدة أساسية وكل فرع لا تقل عضوية كل منهما عن ٤٠٠ ولا تزيد عن ٨٠٠ يمثل كل منهما ٣ مندوبين .

– كل وحدة أساسية وكل فرع لا تقل عضوية كل منهما عن ٨٠٠ ولا تزيد عن ١٦٠٠ يمثل كل منهما ٤ مندوبين .

– كل وحدة أساسية وكل فرع لا تقل عضوية كل منهما عن ١٦٠٠ ولا تزيد عن ٣٢٠٠ يمثل كل منهما ٥ مندوبين .

– كل وحدة أساسية وكل فرع لا تقل عضوية كل منهما عن ٣٢٠٠ ولا تزيد عن ٦٤٠٠ يمثل كل منهما ٦ مندوبين .

– لا يزيد عدد مندوبي الوحدة الأساسية لمؤتمر القسم عن عشرة مندوبين بأي حال من الأحوال .

ويجتمع دوريا كل ستة أشهر أو فى دورات غير عادية بناء على طلب لجنة القسم أو طلب ربع عدد أعضاء المؤتمر أو ربع عدد لجان الوحدات الأساسية للقسم[1].

ومهمة مؤتمر القسم مناقشة تقارير نشاط الوحدات الاساسية وتحديد سياسات العمل وخططه بين فترات انعقاده فى إطار السياسة العامة للاتحاد الاشتراكى وانتخاب لجنة القسم من بين أعضائه وانتخاب مندوبى القسم إلى مؤتمر المنطقة[2].

أما لجنة القسم فانها تتكون من عدد من الاعضاء[3] ينتخبهم مؤتمر القسم كل عامين من بين اعضائه وتنتخب اللجنة من بين أعضائها أمينا عاما وأمينا مساعداً للفكر وأمينا مساعداً للتنظيم ومساعدين لاوجه النشاط المختلفة وتجتمع مرة كل شهر على الأقل[4].

وتختص لجنة القسم بكل اختصاصات الوحدة الأساسية بالاضافة إلى مهمتها فى قيادة العمل السياسى بالقسم والإدارة اليومية لنشاط الاتحاد فى مجالها وتوجيه كافة الوحدات الأساسية بالقسم لاداء واجبها عن طريق لجانها وتنفيذ قرارات وتوجيهات لجنة المنطقة وتقديم التقارير إليها [5].

(ج) المنطقة : هى منطقة الاتحاد الاشتراكى التى تشمل عدداً من الأقسام القائمة فى دائرة المديرية . ومؤتمر المنطقة هو أعلى سلطة للاتحاد الاشتراكى على مستوى المنطقة ويتكون من مندوبين[6] لجميع الأقسام فى المنطقة ومدته عامان

---

(١) المادة ٨ من النظام الأساسى للاتحاد الأشتراكى ، مرجع سابق ص ١٤

(٢) نفس المصدر السابق .

(٣) حددت قواعد تأسيس وتنظم الاتحاد الأشتراكى التى أصدرها المكتب السياسى للاتحاد أعضاء لجنة القسم على النحو الآتى .

- يكون عدد أعضاء لجنة القسم التى تضم أقل من ١٠ وحدات أساسية أو ١٠ فروع أو ١٠ وحدات أساسية وفروع خمسة عشر عضواً .

- يكون عدد أعضاء لجنة القسم التى تضم أكثر من ١٠ وحدات أساسية و ١٠ فروع أو ١٠ وحدات أساسية وفروع ٣٠ عضواً .

(ج) المادة ٩ من النظام الأساسى للاتحاد الإشتراكى ، مرجع سابق ص ٥

(٥) المادة ١٠ من النظام الأساسى للاتحاد الإشتراكى ، مرجع سابق ص ١٥ وما بعدها .

(٦) حدد المكتب السياسى للاتحاد الإشتراكى قواعد تأسيس وتنظيم مؤتمر المنطقة على النحو التالى :

ويجتمع دوريا كل ستة أشهر أو فى دورات غير عادية بناء على طلب لجنة المنطقة أو طلب ربع عدد لجان الأقسام فى المنطقة ويختص مؤتمر المنطقة بمناقشة تقارير نشاط الأقسام وتحديد سياسات العمل وخططه بين فترات انعقاده وانتخاب لجنة المنطقة ومندوبى المنطقة لمؤتمر المديرية من بين أعضائه[1] .

أما لجنة المنطقة فانها تتكون من ٢٠ عضواً كحد أدنى و ٢٥ عضواً كحد أقصى[2] ينتخبهم مؤتمر المنطقة من بين اعضائه كل عامين وتنتخب من بين أعضائها أمينا عاما وامينا مساعداً للفكر وأمناء للتنظيم وأمناء مساعدين لادارة أوجه النشاط المختلفة وتجتمع مرة كل شهر على الأقل ومهمتها قيادة العمل السياسى بالمنطقة والادارة ، اليومية لنشاط المنطقة وتوجيه كافة الأقسام بالمنطقة لاداء واجباتها عن طريق لجانها وتنفيذ قرارات وسياسات وخطط مؤتمر المنطقة وتوجيهات لجنة المنطقة وتقديم التقارير إليها[3].

(د) المديرية : وهى المديرية أو المحافظة حسب التقسيم الإدارى للسودان وتشمل جميع المناطق القائمة بها .

ومؤتمر المديرية هو أعلى سلطة للاتحاد الاشتراكى على مستوى المديرية ويتكون من مندوبين[4] لجميع المناطق بالمديرية ومدته عامان ويجتمع دوريا مرة كل ستة

= – كل قسم يضم من أثنين إلى خمس وحدات أساسية أو فروع أو وحدات أساسية وفروع يمثل فى مؤتمر المنطقة بخمسة مندوبين .

– كل قسم يضم من خمسة إلى عشرة وحدات أساسية أو فروع أو وحدات أساسية فروع يمثل فى مؤتمر المنطقة بعشرة مندوبين .

– كل قسم يضم من عشرة إلى عشرين وحدة أساسية أو فروع أو وحدات أساسية وفروع يمثل فى مؤتمر المنطقة بعشرين مندوبا .

– كل قسم يضم من عشرين إلى اربعين وحدة أساسية أو فروع أو وحدات أساسية وفروع يمثل فى مؤتمر المنطقة بأربعين مندوبا .

– كل قسم يضم أكثر من أربعين وحدة أساسية أو فروع أو وحدات أساسية وفروع يمثل فى مؤتمر المنطقة بثمانين مندوباً .

(١) المادة ١١ من النظام الأساسى للاتحاد الاشتراكى ، مرجع سابق ص ١٦

(٢) أنظر قواعد تأسيس وتنظيم الاتحاد الإشتراكى التى أصدرها المكتب السياسى .

(٣) هذه الاختصاصات علاوة على كافة الإختصاصات المخولة للجنة القسم أنظر المادتين ١٢ و ١٣ من النظام الأساسى للاتحاد الإشتراكى ، مرجع سابق ص ١٦ وما بعدها .

(٤) حدد المكتب الأساسى عضوية مؤتمر المديرية كالآتى : =

أشهر كما يعقد دورات غير عادية بناء على طلب لجنة المديرية أو طلب ربع اعضاء المؤتمر أو ربع عدد لجان المناطق بالمديرية .أو بناء على طلب الاجهزة القيادية للاتحاد الاشتراكى على نطاق الجمهورية . ومهمة المؤتمر مناقشة تقارير نشاط المناطق وتقارير الامناء واللجان الفرعية والمكاتب الفنية وتحدد سياسات العمل وخططه بين فترات انعقاده كما تختص المؤتمر بانتخاب لجنة المديرية من بين اعضائه وانتخاب مندوبى المديرية إلى المؤتمر القومى العام[1].

أما لجنة المديرية فانها تتكون من أربعة وعشرين عضواً كحد أدنى وستة وثلاثين عضواً كحد أقصى[2] ينتخب ثلثيهم مؤتمر المديرية من بين اعضائه كل عامين ويعين المكتب السياسى الثلث الاخر كما يعين المكتب السياسى أيضاً أمينا عاما وامناء مساعدين من بين اعضاء لجنة المديرية وتجتمع اللجنة مرة كل شهر ومهمتها القيام بجميع وظائف لجان المنطقة علاوة على قيادة العمل السياسى بالمديرية والادارة اليومية لنشاط الاتحاد الاشتراكى وتوجيه كافة المناطق بالمديرية لأداء واجباتها عن طريق لجانها والاشراف على نشاط أجهزة الاتحاد والمنظمات الجماهيرية بالمديرية وتنفيذ قرارات وسياسات وبرامج مؤتمر المديرية وكذلك تنفيذ قرارات وتوجيهات اللجنة المركزية والمكتب السياسى والأمانة العامة وتقديم التقارير الدورية إلى الأمانة العامة واختيار وتدريب الكوادر واصدار النشرات الدورية والكتب والموافقة على الترشيحات لمجالس الحكم الشعبى المحلى ومجلس الشعب[3].

(هـ) مستوى الجمهورية ، وهى دولة السودان ويتكون الاتحاد الاشتراكى على مستوى الجمهورية من :

= – كل منطقة تضم من اثنين إلى خمسة أقسام تمثل فى مؤتمر المديرية بخمسة مندوبين .
– كل منطقة تضم من خمسة إلى عشرة أقسام تمثل فى مؤتمر المديرية بعشرة مندوبين .
– كل منطقة تضم من عشرة إلى عشرين قسما تمثل فى مؤتمر المديرية بعشرين مندوبا .
– كل منطقة تضم من عشرين إلى أربعين قسما تمثل فى مؤتمر المديرية بأربعين مندوبا .
– كل منطقة تضم أكثر من أربعين قسما تمثل فى مؤتمر المديرية بثمانين مندوبا .

(١) المادة ١٤ من النظام الأساسى للاتحاد الإشتراكى ، مرجع سابق ، ص ١٧ وما بعدها
(٢) أنظر قواعد تأسيس الإتحاد الإشتراكى التى أصدرها المكتب السياسى .
(٣) المادتان ١٥ و ١٦ من النظام الأساسى للاتحاد الإشتراكى ، مرجع سابق ، ص ١٨ ومابعدها.

١ ــ المؤتمر القومي العام : وهو أعلى سلطة للاتحاد الاشتراكي على مستوى الجمهورية ويتكون من مندوبين لمؤتمرات المديريات وينعقد مرة كل عامين ويجوز انعقاده في دورة غير عادية بدعوة من اللجنة المركزية أو المكتب السياسي أو رئيس الاتحاد الاشتراكي .

ويختص المؤتمر القومي العام برسم السياسة العامة للدولة والخطوط الموجهة للحياة في السودان وتقرير سياسة الاتحاد الاشتراكي وخططه العامة وبرنامج العمل الوطني بين فترات انعقاده وانتخاب رئيس الاتحاد الاشتراكي الذي يصبح في الوقت نفسه رئيساً للمؤتمر القومي العام واللجنة المركزية والمكتب السياسي كما يختص المؤتمر القومي العام أيضاً بترشيح رئيسه لرئاسة الجمهورية وانتخاب واعفاء اعضاء اللجنة المركزية ومناقشة تقرير اللجنة المركزية[1] .

٢ ــ اللجنة المركزية : هي السلطة العليا للاتحاد بين فترات انعقاد المؤتمر القومي العام . وهي تتكون من عدد من الاعضاء ينتخب نصفهم كل عامين المؤتمر القومي العام من بين اعضائه ويعين رئيس الاتحاد الاشتراكي النصف الآخر وتجتمع اللجنة المركزية دوريا مرة كل ستة شهور على الأقل بدعوة من المكتب السياسي أو بناء على طلب ربع أعضاء اللجنة المركزية بشرط موافقة رئيس الاتحاد الاشتراكي ومكان اجتماعاتها هو الخرطوم .

وتختص اللجنة المركزية بقيادة العمل السياسي بين فترات انعقاد المؤتمر القومي العام والبت في جميع المسائل الرئيسية التي تثور في حالة عدم انعقاد المؤتمر القومي العام عن السياسة الداخلية والخارجية وتوعية الجماهير ودعوتها لتاييد سياسات الحكومة ومناقشة خطط التنمية وتنفيذ قرارات وتوصيات المؤتمر القومي العام ومناقشة ومراقبة تقارير مؤتمرات ولجان المديريات أو انتخاب أعضاء المكتب السياسي واصدار القرارات التنظيمية للاتحاد وحل أجهزة الاتحاد الاشتراكي إذا أخلت بواجباتها وعزل أي من أعضائها[2] كما يدخل في اختصاص اللجنة المركزية أيضاً

---

(١) المادتان ١٨ و ١٩ من النظام الأساسي للاتحاد الأشتراكي ، مرجع سابق ص ٢٠ وما بعدها .

(٢) المادة ٢٠ من النظام الأساسي للاتحاد الأشتراكي مرجع سابق ص ٢١ وما بعدها .

الغاء أو تعديل أى قرار صادر من أجهزة الاتحاد الاشتراكى من المستويات الدنيا إذا كان فيه خروج على أهداف الاتحاد الاشتراكى أو سياساته[1] .

٣ ـ المكتب السياسى : هو القيادة السياسية العليا للاتحاد الاشتراكى بين فترات انعقاد اللجنة المركزية ويباشر كل اختصاصاتها فيما بين فترات انعقادها بالاضافة إلى قيادة العمل اليومى للاتحاد الاشتراكى وتوجيه أجهزته سياسياً ومناقشة تقارير هذه الاجهزة وتنفيذ قرارات وتوجيهات اللجنة المركزية واصدار القرارات التنفيذية وتشكيل الأمانة العامة ومتابعة عملها ويتكون المكتب السياسى من الرئيس وهو رئيس الاتحاد الاشتراكى وأربعة عشر عضواً هم : أعضاء مجلس قيادة الثورة السابق بالاضافة إلى ثمانية أعضاء تنتخبهم اللجنة المركزية من بين عشرة من أعضائها يرشحهم رئيس الاتحاد [2] .

٤ ـ الأمانة العامة :

ينشئها المكتب السياسى ويرأسها أمين عام يعينه رئيس الاتحاد وتتكون من أمانة الفكر والتوجيه وأمانة التنظيم والتعبئة وأمانة التنظيمات الجماهيرية [3] وأمانة العلاقات العامة وأية أمانات أخرى ينشئها المكتب السياسى .

والأمانة العامة تنحصر مهمتها فى أنها مسئوله أمام المكتب السياسى عن تنفيذ جميع قرارات وتوصيات المكتب السياسى وعن المسائل الإدارية والتنظيمية وأجهزة الاتحاد الإشتراكى وعن الإشراف على الإدارات والمكاتب السياسية الفنية الموجودة برياسة الاتحاد الإشتراكى والمديريات والمنظمات الجماهيرية[4]، ويجب أن نشير إلى أنه من الملاحظ على جميع المستويات لاتكون اجتماعات موتمرات ولجانا

---

(١) المادة ٣٤ من النظام الأساسى للاتحاد الإشتراكى ، مرجع سابق ص ٣٠

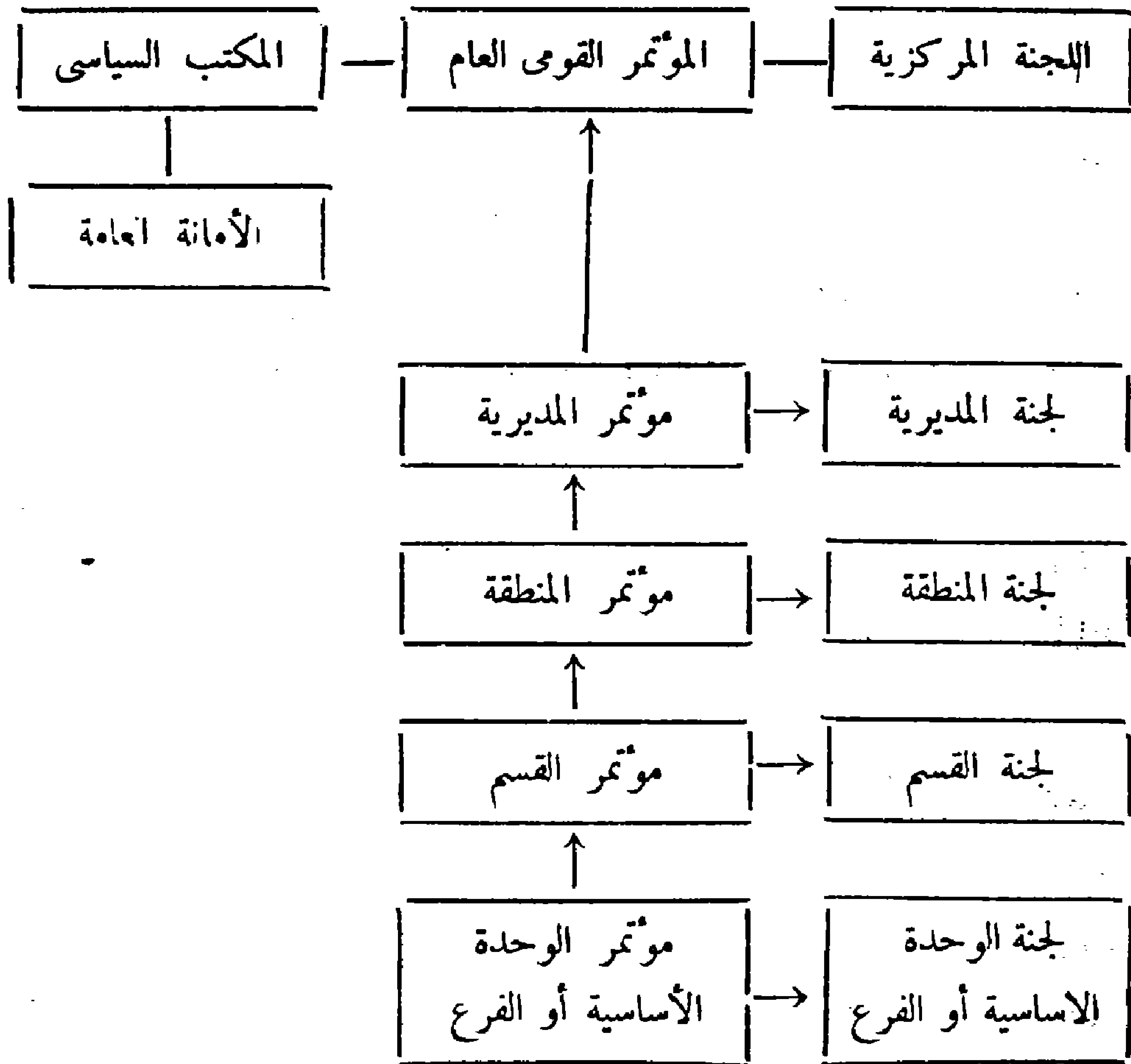
(٢) المادة ٢١ من النظام الأساسى للاتحاد الاشتراكى ، مرجع سابق ص ٢ وما بعدها.

(٣) التنظيم الجماهيرى هو أى تنظيم جماهيرى وظيفى يعتبر رافدا من روافد الاتحاد الإشتراكى ويشمل إتحاد شباب السودان وإتحاد نساء السودان ولجان تطوير القرى وأية تنظيمات أخرى يعتمدها رئيس الإتحاد الإشتراكى كنظمات جماهيرية .

(٤) المادة ٢٢ من النظام الأساسى للاتحاد الاشتراكى مرجع سابق ص ٢٣ وما بعدها .

الاتحاد الاشتراكي قانونية إلا بحضور أكثر من نصف عدد الاعضاء كما أن القرارات تصدر بالأغلبية المطلقة للأعضاء الحاضرين(١) .

البنيان التنظيمي للإتحاد الإشتراكي السوداني



ولقد قام البناء التنظيمي للاتحاد الاشتراكي السوداني وهيكله على عدة اعتبارات وضغوط أهمها (٢) .

---

(١) المادة ٣٦ من النظام الأساسي للاتحاد الاشتراكي مرجع سابق ص ٣١ وما بعدها .

(٢) خطاب الرئيس جعفر محمد نميري في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر القومي . والتأسيسي للاتحاد الاشتراكي في ٢ يناير سنة ١٩٧٢ مرجع سابق ص ١٤ وما بعدها .

١ – إن الاتحاد الاشتراكي – بجميع روافده – هو الإطار السياسى الشامل للعمل الجماهيرى لقوى الشعب المتحالفة فى اطاره .

٢ – أن يكون الاتحاد قادرا على خلق وحدة وطنية حقيقية بين قوى الشعب العامل التى لاتنافر بينها بحكم تقارب مصالحها وأن يجسد لقاوها السليم الممثل لارادتها والدافع لاماها .

٣ – التجسيد الفعال لسلطة الشعب التى تعلو جميع السلطات وتحكمها وتوجهها فى كل المجالات وعلى كافة المستويات .

٤ – القدرة على الانتشار والتغلغل الواسع وسط الجماهير وقيادة كافة المواقع وخاصة الاستراتيجية منها والقدرة أيضاً على الحركة الواسعة والدائمة وسط الجماهير وتعبئتها فى اطار فكره القائم على الميثاق وسياسته وبرامجه بهدف تحويل هذا الفكر إلى واقع ملموس ومعايش عن طريق تنفيذ هذه البرامج .

٥ – ربط عضوية الاتحاد الاشتراكى ومنظماته وجماهير الشعب بالثورة فكرة وحركة وإرادة وأداء .

٦ – ضمان تسلسل الواجبات والمسؤليات وصيانة هذا التسلسل وفق الضوابط التى تضمن تحقيق الحيوية والتفاعل الواجب بين كافة مستوياته من القاعدة إلى القيادة والعكس وأيضاً ضمان الاتصال اليومى المحكم بين فكر القيادة ونبض القاعدة وحيويتها .

٧ – تحقيق الترابط الوثيق والدائم بين أعضائه وقاعدته وقيادته وتنظيماته الجماهيرية وأن يقوم هذا الترابط على التفاعل والحيوية المجسدة لامال الجماهير والقادرة على الاداء الفعال .

٨ – اعتبار العضوية تكليف بالخدمة للمواطنين القادرين على الوفاء بها والذين يملكون أن يعطوا مبادىء ثورة مايو من فكرهم وجهدهم الطاقات القادرة والفعالة التى تحيل هذه المبادىء إلى ممارسة وواقع حى .

وعلى كل وبالرغم من أن البعض قد يرى أن هذا البنيان التنظيمى جهازاً

ضخما يحتاج بناوه إلى وقت طويل وجهد عظيم إلا أن هذا الوقت والجهد يتناسب مع أهمية الاتحاد الاشتراكي وحيويته .

أن تجربة الاتحاد الاشتراكي السوداني مازالت فى البداية وسوف تثبت الأيام والأيام وحدها إذا كان قد استطاع أن يحقق مارسم له من أهداف أو بعضا منها وإذا ما كان قد استطاع كما أريد له أن يكون أمينا على مكاسب ثورة مايو ومبادئها قادرا على صيانتها وتطويرها وحمايتها عن طريق التصاقه بالجماهير وقيادة مسيرتها على درب الحرية والاشتراكية والديمقراطية والوحدة الوطنية .

٥ ـ الحكم الذاتى الاقليمى للجنوب

عاد السلام إلى ربوع السودان بعد حرب أهلية مروعة مزقت البلاد ثمانية عشر عاما وذلك باقامة حكم إقليمى فى المديريات الجنوبية [١] فى نطاق الوطن الواحد . فقد أعلنت ثورة مايو بعد أيام من قيامها وبالتحديد فى ٩ يونيو سنة ١٩٦٩ تحقيق الحكم الذاتى الاقليمى فى نطاق السودان الواحد وفقاً لمبدأ ثورة مايو فى اشراك المواطنين بطريقة فعالة فى حكم بلادهم والاشراف عليها وفقاً لنظام الحكم المركزى ثم تاكد ذلك فى ميثاق العمل الوطنى الذى أقره المؤتمر القومى التأسيسى للاتحاد الاشتراكى السودانى فى ١٠ يناير سنة ١٩٧٢ . ثم كان القرار الجمهورى رقم ٢٩ بقانون الحكم الذاتى الاقليمى للمديريات الجنوبية لسنة ١٩٧٢ [٢] والذى يعد دستوراً أو قانونا أساسياً لتنظيم حكم ذاتى إقليمى للمديريات الجنوبية والذى بدىء بالعمل به منذ يوم اصداره فى ٣ مارس سنة ١٩٧٢ ثم يصدر بعد ذلك الدستور الدائم للسودان والذى يقنن الفكر الثورى المايوى ويدعم المصالحة الوطنية ويقر إقامة حكم ذاتى أقليمى فى المديريات الجنوبية فى نطاق الوطن الواحد .

---

(١) المديريات الجنوبية للسودان هى مديرية بحر الغزال والمديرية الأستوائية ومديرية اعالى النيل وأية مناطق أخرى كانت جغرافيا وثقافيا جزءا من الكيان الجنوبى (المادة الثانية فقرة ٣ من القرار الجمهورى رقم ٢٩ الصادر فى ٣ مارس سنة ١٩٧٢)

(٢) انظر قانون الحكم الذاتى الإقليمى ، نص القرار الجمهورى (تشريع) رقم ٢٩ الذى أصدره رئيس الجمهورية فى ٣ مارس سنة ١٩٧٢ ، منشورات وزارة الأعلام والثقافة جمهورية السودان الديمقراطية ، مطابع الأعلام والثقافة .

ومن المفيد أن نحلل قانون الحكم الذاتى الاقليمى حسب ماجاء به القرار الجمهورى رقم ٢٩ لسنة ١٩٧٢ والذى بمقتضاه أصبحت المديريات للسودان إقليما يتمتع بالحكم الذاتى الاقليمى فى نطاق السودان الموحد ويعرف باقليم جنوب السودان[١] واعتبرت اللغة الانجليزية لغة رئيسية لاقليم الجنوب إلى جانب اللغة العربية التى تعد لغة رسمية للسودان [٢] .

ولاقليم الجنوب أجهزة تشريعية وتنفيذية خاصة به[٣] . وقد حدد قانون الحكم الذاتى الاقليمى المسائل ذات الطابع القوى والتى لايجوز لمجلس الشعب الاقليمى أو المجلس التنفيذى العالى [٤] أن يصدر تشريعا أو يمارس سلطة بشأنها . وهذه المسائل على سبيل الحصر هى : الدفاع الوطنى ، الشئون الخارجية ، العملة والنقد ، النقل الجوى والنقل النهرى عبر القطر ، المواصلات السلكية واللاسلكية ، الجمارك والتجارة الخارجية ماعدا تجارة الحدود والتجارة فى بعض السلع التى تعينها الحكومة الاقليمية بموافقة الحكومة المركزية ، الجنسية والهجرة ، التخطيط والتنمية الاقتصادية والاجتماعية . التخطيط التربوى ، المراجعة العامة [٥].

(ا) السلطة التشريعية الاقليمية :

الهيئة التشريعية لاقليم جنوب السودان هى « مجلس الشعب الاقليمى » وينتخبه المواطنون السودانيون الذين يقيمون فى اقليم الجنوب بالاقتراع السرى المباشر[٦]. ويجوز لرئيس الجمهورية أن يعين أعضاء اضافيين فى المجلس إذا كانت الظروف لاتسمح بالانتخاب على ألا يتجاوز عدد هؤلاء المعينين عن ربع أعضاء المجلس [٧].

---

(١) المادة ٣ من قانون الحكم الذاتى الاقليمى .

(٢) المادة ٥ من قانون الحكم الذاتى الاقليمى .

(٣) المادة ٢ من قانون الحكم الذاتى الاقليمى .

(٤) المجلس التنفيذى العالى يعينه رئيس الجمهورية بناء على توصية رئيس المجلس التنفيذى العالى ويشرف هذا المجلس على إدارة وتوجيه الشئون العامة لاقليم جنوب السودان .

(٥) المادة ٦ من قانون الحكم الذاتى الاقليمى .

(٦) المادتان ٧ و ٨ من قانون الحكم الذاتى .

(٧) المادة ٩ من قانون الحكم الذاتى الاقليمى .

ويمارس مجلس الشعب الاقليمي سلطاته التشريعية لحفظ النظام العام والأمن الداخلي لاقليم الجنوب وادارته بطريقة رشيدة وتنميته في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية[1] ، وذلك فيما عدا المسائل القومية التي لاتخضع للاختصاص التشريعي لاقليم الجنوب والتي حددتها المادة السادسة من قانون الحكم الذاتي الاقليمي على سبيل الحصر .

وبالاضافة إلى ذلك فان اختصاصات مجلس الشعب الاقليمي تتلخص في :

١ — العمل على دعم وحدة السودان واحترام الدستور [2] .

٢ — فرض الضرائب والرسوم الاقليمية إلى جانب الضرائب والرسوم المركزية والمحلية[3] واعتماد الموازنة العامة للاقليم الجنوبي[4] .

٣ — لعضو مجلس الشعب الاقليمي حق اقتراح اصدار مشروعات القوانين[5]، ولرئيس الجمهورية أن يعترض على أي مشروع قانون يرى أنه يتعارض مع الدستور ومن حق مجلس الشعب الاقليمي بعد اطلاعه على وجهة نظر رئيس الجمهورية أن يعيد عرض مشروع القانون مرة أخرى[6] .

---

(١) وردت هذه السلطات على سبيل المثال في المادة العاشرة من قانون الحكم الذاتي الاقليمي وأهمها : تطوير استخدام الموارد المالية الإقليمية لتنمية وإدارة إقليم الجنوب . — تنظيم الأجهزة للادارة الاقليمية والمحلية — التشريع فيما يتعلق بالعرف والعادات في نطاق القوانين القومية — إنشاء السجون والاصلاحات وإدارتها — إنشاء المدارس العامة بجميع مستوياتها وإدارتها وفقاً للخطة القومية — تطوير اللغات والثقافات المحلية — تخطيط المدن والقرى وإنشاء الطرق وفقاً للخطة القومية — إنشاء المستشفيات وإدارتها وإدارة خدمات صحة البيئة — تشجيع التجارة وإنشاء الصناعات والأسواق المحلية وإصدار رخص التجارة وإنشاء الجمعيات التعاونية — مكافحة الآفات وأمراض النباتات والحيوانات وتحسين الإنتاج الحيواني — تشجيع السياحة — التعدين والتحجير مع عدم المساس بحقوق الحكومة المركزية عند أكتشاف الغاز الطبيعي والمعادن — التجنيد لخدمات الشرطة وتنظيمها وإدارتها وفقاً للسياسة القومية — تنمية واستثمار وحماية الغابات والمحصولات والمراعي .

(٢) المادة ٣٠ من قانون الحكم الذاتي الاقليمي :

(٣) المادة ٢٤ من قانون الحكم الذاتي الاقليمي .

(٤) المادة ٢٥ فقرة ١ من قانون الحكم الذاتي الاقليمي .

(٥) المادة ٢٩ من قانون الحكم الذاتي الاقليمي .

(٦) المادة ٢٧ من قانون الحكم الذاتي الاقليمي

٤ – لأغلبية ثلثى أعضاء مجلس الشعب الاقليمى أن يطلبوا من رئيس الجمهورية إعفاء رئيس المجلس التنفيذى العالى أو أى من اعضائه عن منصبه ورئيس الجمهورية ملزم بالاستجابة إلى هذا الطلب[١] .

٥ – لأغلبية ثلثى أعضاء مجلس الشعب الاقليمى أن يطلبوا من رئيس الجمهورية تاجيل العمل باى قانون يمس – فى نظر الاعضاء – رفاهية ومصالح المواطنين فى إقليم الجنوب وللرئيس – إذا رأى ذلك مناسبا – أن يستجيب لهذا الطلب [٢].

٦ – لأغلبية أعضاء مجلس الشعب الاقليمى الحق فى طلب سحب أى مشروع قانون معروض أمام مجلس الشعب إذا رأى أن هذا المشروع يمس رفاهية أو حقوق أو مصالح المواطنين فى أقليم الجنوب[٣] .

(ب) العلاقة بين السلطتين التشريعيتين المركزية والاقليمية :

تبدو صورة العلاقة بين مجلس الشعب للامة السودانية وبين مجلس الشعب الاقليمى فى الآتى :

١ – لمجلس الشعب السودانى أن يطلب من مجلس الشعب الاقليمى موافاته بالحقائق والمعلومات الخاصة بادارة إقليم جنوب السودان [٤] .

٢ – تبادل إرسال القوانين ومشروعات القوانين فيرسل كل من مجلس الشعب ومجلس الشعب الاقليمى جميع مشروعات قوانينه والقوانين التى أجازها كل منهما إلى الاخر للعلم[٥] .

٣ – لمجلس الشعب الاقليمى حق طلب سحب مشروعات القوانين المعروضة أمام مجلس الشعب إذا رأى أنها ضارة بمصالح إقليم جنوب السودان .

---

(١) المادة ١٢ فقرة ١ من قانون الحكم الذاتى الاقليمى .

(٢) المادة ١٣ من قانون الحكم الذاتى الاقليمى .

(٣) المادة ١٤ فقرة ١ من قانون الحكم الذاتى الاقليمى .

(٤) المادة ١١ من قانون الحكم الذاتى الاقليمى .

(٥) المادة ١٥ من قانون الحكم الذاتى الاقليمى .

(ج) السلطة التنفيذية الاقليمية :

يتولى المجلس التنفيذى العالى – نيابة عن رئيس الجمهورية[١] – ممارسة السلطة التنفيذية ويعين رئيس الجمهورية رئيس المجلس التنفيذى العالى ويعفيه بناء على توصية مجلس الشعب الاقليمى وفى حالة خلو منصب رئيس المجلس التنفيذى أو إعفائه أو استقالته يعتبر المجلس مستقيلا تلقائيا . أما تعين وإعفاء أعضاء المجلس التنفيذى العالى فهو من اختصاص رئيس الجمهورية بناء على توصية رئيس المجلس التنفيذى[٢] وتنحصر مهمة المجلس التنفيذى العالى فى الآتى :

١ – تحديد واجبات المصالح فى أقليم جنوب السودان يشرط ألا يمس ذلك أية مسائل تتعلق بوازارات ومصالح الحكومة المركزية إلا بموافقة رئيس الجمهورية الذى ينظم من وقت لاخر العلاقة بين المجلس التنفيذى العالى والوزارات المركزية[٣].

٢ – حق اقتراح اصدار مشروعات القوانين فى مجلس الشعب الاقليمى[٤].

٣ – اعداد موازنة لمواجهة نفقات الخدمات والأمن والإدارة والتنمية الاقليمية وفقاً للخطط والبرامج القومية[٥] .

(د) العلاقة بين السلطتين التشريعية والتنفيذية الاقليميتين :

تبدو صورة العلاقة بين مجلس الشعب الاقليمى والمجلس التنفيذى العالى على النحو الآتى :

١ – رئيس واعضاء المجلس التنفيذى العالى مسئولون أمام مجلس الشعب الاقليمى عن الادارة الرشيدة لاقليم جنوب السودان إلى جانب مسئوليتهم أمام رئيس الجمهورية[٦] .

---

(١) المادة ١٦ من قانون الحكم الذاتى الاقليمى .
(٢) المادتان ١٨و ١٩ من قانون الحكم الذاتى الاقليمى .
(٣) المادة ٢٢ من قانون الحكم الذاتى الاقليمى .
(٤) المادة ٢٨ من قانون الحكم الذاتى الاقليمى .
(٥) المادة ٢٥ فقرة ٢ من قانون الحكم الذاتى الاقليمى .
(٦) المادة ٢٠ من قانون الحكم الذاتى الاقليمى .

٢ – لرئيس واعضاء المجلس التنفيذى العالى حق حضور اجتماعات مجلس الشعب الاقليمى والاشتراك فى مداولاته دون أن يكون لهم حق التصويت إلا إذا كانوا اعضاء فى مجلس الشعب الاقليمى[١].

ومهما يكن من أمر فقد كرس قانون الحكم الذاتى الاقليمى للجنوب ذاتية الجنوب المتميزة فى عدة أمور منها على سبيل المثال اعتبار اللغة الانجليزية لغة رئيسية لاقليم جنوب السودان وذلك مع عدم المساس باستعمال اللغات الاخرى رغم النص على أن اللغة العربية هى اللغة الرسمية للسودان الموحد[٢] . ومنها على سبيل المثال أيضاً تعيين مدينة « جوبا » عاصمة لاقليم جنوب السودان ومقر للهيئتين التشريعية والتنفيذية للاقليم[٣] . ومنها على سبيل المثال ثالثا أن يشكل مواطنوا أقليم جنوب السودان نسبة من مجموعة قوات الشعب المسلحة وذلك باعداد تتناسب والحجم السكانى لاقليم جنوب السودان [٤].

---

(١) المادة ٢١ من قانون الحكم الذاتى الاقليمى .

(٢) المادة ٥ من قانون الحكم الذاتى الاقليمى .

(٣) المادة ٢٣ من قانون الحكم الذاتى الاقليمى .

(٤) المادة ٢٦ من قانون الحكم الذاتى الاقليمى .

المؤتمر الدولى الثالث للافريكانيين

بقلم الاستاذ الدكتور محمد السيد غلاب
عميد معهد الدراسات الافريقية

وجهت جامعة هوفر الامريكية بالاشتراك مع مكتب المؤتمر الدولى للافريكانيين الدعوة لعقد المؤتمر الثالث فى أديس أبابا فى الفترة بين ٩ — ١٩ ديسمبر ١٩٧٣ ، وقد لبى الدعوة حوالى ثلاثمائة عضو يمثلون عشرين دولة معظمها دول أفريقية ثم دول أوروبية ثم دولتين أمريكيتين هى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا ودوله أسيوية واحدة هى كوريا الجنوبية ولم يحضر المؤتمر دول أفريقيا ذات الحكم العنصرى .

ويلاحظ فى تمثيل الدول المختلفة أن أكبر الوفود على الاطلاق هو وفد الولايات المتحدة الأمريكية الذى تكون من ٧٧ عضواً ، منهم من يمثل الجامعات ومنهم من يمثل مراكز الابحاث فى وزارة الخارجية الأمريكية ، كما أن الولايات المتحدة أرسلت بعض المندوبين من الملونين وأن لم يكونوا من ذوى المكانة العلمية المطلوبة ويأتى بعد وفد الولايات المتحدة من حيث العدد وفد بريطانيا ثم وفد فرنسا ثم وفد الاتحاد السوفييتى ثم وفد هولندا ، فهذه وفود أوروبية كبيرة العدد ذات وزن علمى . ومن الوفود الأوربية الأخرى وفود تمثل مراكز ومعاهد دراسات أفريقية ، مثل وفد بولندا ووفد السويد ووفد إيطاليا ، ووفد المجر ووفد يوغوسلافيا .

أما من المنطقة العربية فقد مثلت مصر والسودان والمغرب والجزائر فقط . كما أن وفد أسرائيل الذى أرسل ابحاثا للمؤتمر فلم يحضر المؤتمر . والملاحظ أن التمثيل العربى ضئيل لا يتناسب مع مكانة الأمة العربية فى أفريقيا . فمصر يمثلها ثلاثة أعضاء والسودان يمثلها عضوان والجزائر يمثلها عضو واحد والمغرب مثلها

عضو واحد حضر بدعوة خاصة بصفة عضواً من المكتب . أما ممثل الصومال فكان ملازما للوفود العربية باستمرار .

وقد مثل مصر عميد معهد الدراسات الافريقية بصفته الممثل الرسمى لجمهورية مصر العربية ، وتشكل الوفد فى أديس أبابا نفسها إذ تقابل مع الأستاذ الدكتور عبد الملك عوده مساعد رئيس الأهرام والأستاذ غير المتفرغ بالجامعة ، والأستاذ الدكتور على كامل أستاذ الهندسة الميكانيكية بجامعة عين شمس الذى دعى لالقاء بحث فى الجزء العلمى من المؤتمر .

وكان لكل وفد صوت واحد عند التصويت . وكان حضور جلسات المؤتمر الختامية مقصوراً على أربعة فقط من كل وفد .

عقد المؤتمر فى قاعة أفريقيا باديس أبابا . وهى قاعة مشهوره تضم أيضاً اللجنة الاقتصادية الافريقية التابعة لمنظمة الامم المتحدة ، وقد شهدت عدة مؤتمرات إفريقيةسياسية واقتصادية ، منها المؤتمر العاشر لمنظمة الدول الافريقية فى العام الماضى وهى معده خصيصاً لأغراض المؤتمرات ، ومزودة بسماعات تنقل للمستمع الترجمة الفورية للغة الفرنسية والإنجليزية وتسمح للأعضاء بالحركة المريحة أثناء شهود الجلسات ، كما تسمح لهم بمغادرة القاعه أو دخولها دون احداث أى اضطراب فى سير الجلسات .

وقد افتتح المؤتمر صاحب الجلالة هيلاسلاسى الأول أمبراطور أثيوبيا بكلمة ألقاها باللغة الامهرية واذيعت ترجمتها الفورية كما وزعت هذه الترجمة فيما بعد ، وقد لاحظ جلالة الامبراطور آن معظم أعضاء المؤتمر من الافريقيين وآن معظم الابحاث المقدمة للمؤتمر باقلام الإفريقيين . وهذا على عكس المؤتمر الأول الذى عقد فى أكرا عام ١٩٦٢ أو المؤتمر الثانى الذى عقد فى داكار عام ١٩٦٦ . وقال الامبراطور أنه قد حان الوقت الذى يطرح فيه الافريقيون دور التابع فى مناقشة مسائلهم ، ويمثلون دور الاصيل وياخذون مصيرهم فى أيديهم يدرسون بانفسهم ويقررون لأنفسهم ، كما لاحظ الامبراطور فى كلمته أن عدد المشتركين فى المؤتمر أكبر من عددهم فى المؤتمرين السابقين ، وهذا دليل على ازدياد وعى الافريقيين بمشاكلهم وزيادة تقدمهم وأخذهم باساليب البحث والعلم الحديثين .

وأشاد الامبراطور بدور العلم وأهميته فى معالجة مشاكل القارة ، وأهمهامشاكل الفقر والجهل والمرض . وقال أن البحث العلمي وحده هو الكفيل بحل مشاكل التنمية .

ثم ألقى الدكتور على مزروعى الأستاذ السابق بجامعة مكريرى والأستاذ حاليا بجامعة هوفر كلمة مكتب المؤتمر . فقال أن أول مؤتمر عقد فى أكرا عاصمة فكرة الدعوة الافريقية ، وأن المؤتمر الثانى عقد فى داكار عاصة فكرة الزنجانية أما المؤتمر الحالى فيعقد باديس أبابا عاصمة من يقوم بالوحدة الافريقية .

ولاحظ أن أعرق دولتين فى أفريقيا كانتا توليان ظهرهما للقارة ، وهى مصر وأثيوبيا . أما فى مصر فقد قام جندى هو جمال عبد الناصر بدعوة مصر لتأخذ دورها الافريقى وفى أثيوبيا أقام الامبراطور هيلاسلاسى الأول بالدعوة الافريقية فى بلاده . وبذلك عادت أعرق دولتين أفريقيتين ، وهما مصر وأثيوبيا. ودعا لأن يهتم المؤتمر بابحاث التغلب على مشاكل الجفاف ،ويخفف آلام الاثيوبيين الذين يعانون من ويلات الطبيعة وتقتيرها عليهم بالمطر اللازم مما أدى إلى انتشار المجاعة .
الضيافة .

وكان آخر المتحدثين فى جلسة الافتتاح ممثل منظمة اليونسكو التى ساهمت فى تكاليف المؤتمر ، وذكر أن اليونسكو لم تقم بشيء يذكر فى ميدان الدراسات الافريقية . ومما هو جدير بالذكر أن اليونسكو ومؤسسة فورد كانتا أكبر مساهمتين فى نفقات المؤتمر . أما أثيوبيا فقد قدمت المكان وساهمت بشيء من نفقات الضيافة .

وتنقسم أعمال المؤتمر إلى لجان خمس هى : اللجنة التاريخية ، واللجنة الاقتصادية واللجنة السياسية واللجنة الثقافية واللجنة الاجتماعية واللجنة العلمية . وكانت جلسات المؤتمر أو جلسات اللجان تعقد على فترتين ، الفترة الصباحية من الساعة التاسعة إلى الساعة الواحدة بعد الظهر والفترة المسائية من الساعة الثالثة إلى الساعة السادسة بعد الظهر .

ولما كان عدد أعضاء الوفد المصرى صغيراً ، فقد ضم إليه السيد عادل الحضرى سكرتير ثان بالسفارة المصرية . وحرص أعضاء الوفد على حضور أغلب جلسات اللجان الخمس وتابعوا باهتمام أعمال اللجنة السياسية واللجنة الاقتصادية ، كما حضروا بعض جلسات اللجنة التاريخية واللجنة الاجتماعية . وألقى الاستاذ الدكتور

محمد السيد غلاب بحثا فى اللجنة السياسية عن نشاة وتطور الدولة فى إفريقيا الشمالية .

وتم طبع الأبحاث التى ألقيت فى المؤتمر وكانت توزع على الأعضاء تباعا .

وتخلل أعمال اللجان المتخصصة ، اجتماعات عامة ألقيت فيها محاضرات عامة هى : التاريخ الافريقى ، والعلم وأفريقيا ، ومن الموضوعات التى لقيت اهتماما خاصا موضوع اسرائيل والعنصرية البيضاء فى أفريقيا ، وموضوع الاشتراكية الافريقية ، وموضوع الحكم العسكرى فى أفريقيا . وموضوع الفدرالية فى أفريقيا . وناقش المؤتمر فى لجنة خاصة موضوع الجفاف فى أفريقيا .

واشترك فى المؤتمر علماء عديدون عملوا خلال اللجان المختلفة ، مثل علماء الجغرافيا والانتروبولوجيا والميكروبيولوجيا .

ومن الاتجاهات الهامة التى برزت فى المؤتمر ضرورة إعادة كتاب تاريخ أفريقيا ، من وجهة نظر أفريقية : فالتاريخ الافريقى كتبه أوربيون وغيرهم من خارج القارة ، ولايزال هذا التاريخ ينتظر من يكتبه من تاريخ أفريقيا نفسها . وضرورة دراسة المجتمعات الصغيرةالعديدة فى أفريقيا الزنجية ، وما تحمله من قصص شعبى هو سجل حقيقى للتاريخ الافريقى ، وبعبارة أخرى تخليص التاريخ الافريقى من قبضة الاستعمار Decololnization of African History والتخلص من الاعتماد على الوثائق المكتوبة. وربط التاريخ الافريقى بالشعوب الافريقية (الانتروبو لوجيا) وبعصر ماقبل التاريخ .

وقد دعا صاحب هذا المقال فى بحثه إلى مثل هذا فيما يتعلق بتاريخ غرب إفريقية بصفة خاصة .

كما برز فى المؤتمر تعاطف الدول الافريقية مع مصر فى قضيتها ، ودمغ اسرائيل بالعدوان والعنصرية ، وأوجه التطابق بين العنصريين فى جنوب إفريقيا والامبرياليين فى جنوب أفريقيا أيضاً وبين اسرائيل .

وفى أثناء المؤتمر ألقى بحث للدكتور على مزروعى فى جامعة هيلاسلاسى الأول عن أفريقيا والشرق الأوسط والزيت . قال فيه أن تكتل دول الشرق الأوسط

العربية ووضع قيود على تصدير بترولها يعادل فى أهميته الهزيمة التى ألحقتها اليابان بالأسطول الروسى عام ١٩٠٥ فلاول مرة تستعمل قوى أسيوية أفريقية بفضل اتحادها سلاحا اقتصاديا استراتيجيا هاما ضد الولايات المتحدة والدول الضالعة مع اسرائيل . وأن هذه هى نقطة تحول كبرى فى تاريخ العالم الثالث . ستبرز فيه دول الشرق الأوسط العربية قوة كبرى فى العالم . وذكر أن الخطوة الثانية هى استخدام الارصدة العربية فى تخفيض سعر الذهب ، وبذلك توجه هذه الدول سلاحا فتاكا فى صدر جنوب أفريقيا . وتنبأ بان لامكان لاسرائيل فى المنطقة .

وتخلل المؤتمر يومان للرحلات الداخلية فى أثيوبيا بعضها بالسيارة وبعضها بالطيارة :

وعقدت جلسة عمل ختامية لاعداد قرارات المؤتمر يوم الاثنين ١٣–١٢ . وفيه نوقشت قرارات المؤتمر تمهيداً لعرضها على أعضاء الوفود الرسمية للتصديق عليها .

وهذه القرارات هى :

١ – تغيير اسم المؤتمر إلى المؤتمر الدولى للدراسات الافريقية .

٢ – اختيار جامعة زائير مقرا للمؤتمر الدولى الرابع للدراسات الافريقية .

٣ – ضرورة الاهتمام بمشكلة الجفاف والقيام بمشروعات حفظ المياه وتخزينها لمواجهة ذبذبات المطر .

٤ – ادانة الاستعمار البرتغالى والتفرقة العنصرية .

٥ – ادانة احتلال الأراضى الافريقية بواسطة القوات الاجنبية وادانة ضم الأراضى بالقوة .

وكان هذا القرار الأخير بمجهود خاص من أعضاء الوفد المصرى ومساندة الوفد السودانى والوفد الصومالى . وعند أخذ الاصوات عليه فى الجلسة الختامية يوم الثلاثاء ١٤–١٢ نال موافقة الأعضاء جميعاً .

ويعتبر هذا المؤتمر ناجحا تماما من الناحية الأكاديمية ، فقد قدم له أكثر من ١٠٠ بحث جاد فى ميادين الدراسات الافريقية المختلفة . وهو حصيلة ضخمة لعدد

كبير من العلماء ، كما أن مناقشاته اتسمت بالموضوعية والجدية وبتحرر الفكر والتقدمية .

كما عقد اجتماع فرعى لمديرى وعمداء معاهد الدراسات الافريقية الحاضرين فى المؤتمر ، تبادل فيه الحاضرون المعلومات عن معاهدهم ووسائل الدراسة والبحث فيها والمطبوعات التى تصدرها . وكان الحاضرون يمثلون : جامعة أوبسالا وبها معهد للدراسات الافريقية ، يدرس فيه من يحضر للدرجات الجامعية العليا . ويرسل البعثات الاركيولوجية والانثروبولوجية فى أقطار أفريقيا المختلفة ، ومنها بعثة حفائر التربة . وتدعو الباحثين من الخارج . كما ترسل طلبة لاجراء بحوث ميدانية فى أفريقيا .

ومعهد الدراسات الأثيوبية فى أديس أبابا وهو يعمل بالتعاون مع جامعة سيراكيوز الامريكية . ويهتم بالبحوث الخاصة باثيوبيا نفسها . ويهتم بجمع التراث الكنسى الاثيوبى . ومشاكل البيئة لغرض التنمية .

ومعهد نيجيريا الذى تاسس عام ١٩٦٣ فى اكوروك بجنوب شرق نيجيريا .

والقسم الافريقى بجامعة لايبزج (المانيا الشرقية) . وهو جزء من معهد الدراسات الشرقية ، وهو متعدد الاهتمامات ويدرس اللغتين السواحلية والهاوسا .

ومركز الدراسات الافريقية الاسيوية فى هنغاريا . وتاسس فى بودابست سنة ١٩٦٠ . وهو نشط فى اصدار النشرات والدراسات ومعهد الدراسات الافريقية الآسيوية فى جامعة الخرطوم وقد تاسس سنة ١٩٧٢ . ورغم حداثة عهده فهو نشط فى إصدار النشرات الاعلامية عن نفسه .

ولم يحضر الاجتماع ممثلو معهد الدراسات الافريقية بالاكاديمية السوفيتية .

ومعهد الدراسات الافريقية فى جامعة نورث ايسترن بالولايات المتحدة ، ومعهد الدراسات الافريقية بجامعة وارسو . وقد تبنى مديره الدعوه إلى تنظيم اجتماعات وندوات خاصة بعمداء ومديرى هذه المعاهد .

كماحضرته ممثلا لمعهدالدراسات الافريقيةفى مصر . وبمقارنةمعهدناهذابالمعاهد الأوربية

أو الأمريكية أو الافريقية ، نجد أنه لا ينقصه إلا الاعتمادات اللازمة للنشر من ناحية وللابحاث الميدانية من ناحية أخرى . ورغم هذا فهو أكثر إنتاجا من الناحية الاكاديمية وأكثر جدية فى العمل من كثير من مراكز البحث الأخرى .

وفى النهاية فانى ادعو إلى ضرورة الاهتمام بالاشتراك فى أمثال هذه المؤتمرات الدولية بعدد أكبر وأكثر تنوعا من المشتركين حتى يمكن تنظيم كافة أعمال اللجان المختلفة والتخصص فيها . وتوفير الاعتمادات اللازمة لذلك ، والاتصال بالهيئات المنظمة لهذه المؤتمرات فى وقت سابق .

وختاما أود أن اسجل أن الوفد المصرى قدم ثلاثة أبحاث ، أحدها عن الجغرافيا السياسية لغرب أفريقية (غلاب) والثانى عن العلاقات المصرية الافريقية فى العصور الوسطى (شوقى الجمل) والثالث عن تخطيط المدن الافريقية (على كامل) .

وقد طبعت هذه الابحاث ووزعت ضمن أعمال المؤتمر . وقد نوقش منها بحثان هما بحث كاتب هذا المقال وبحث الدكتور على كامل . ولم يناقش بحث الدكتور شوقى الجمل لعدم حضوره المؤتمر .

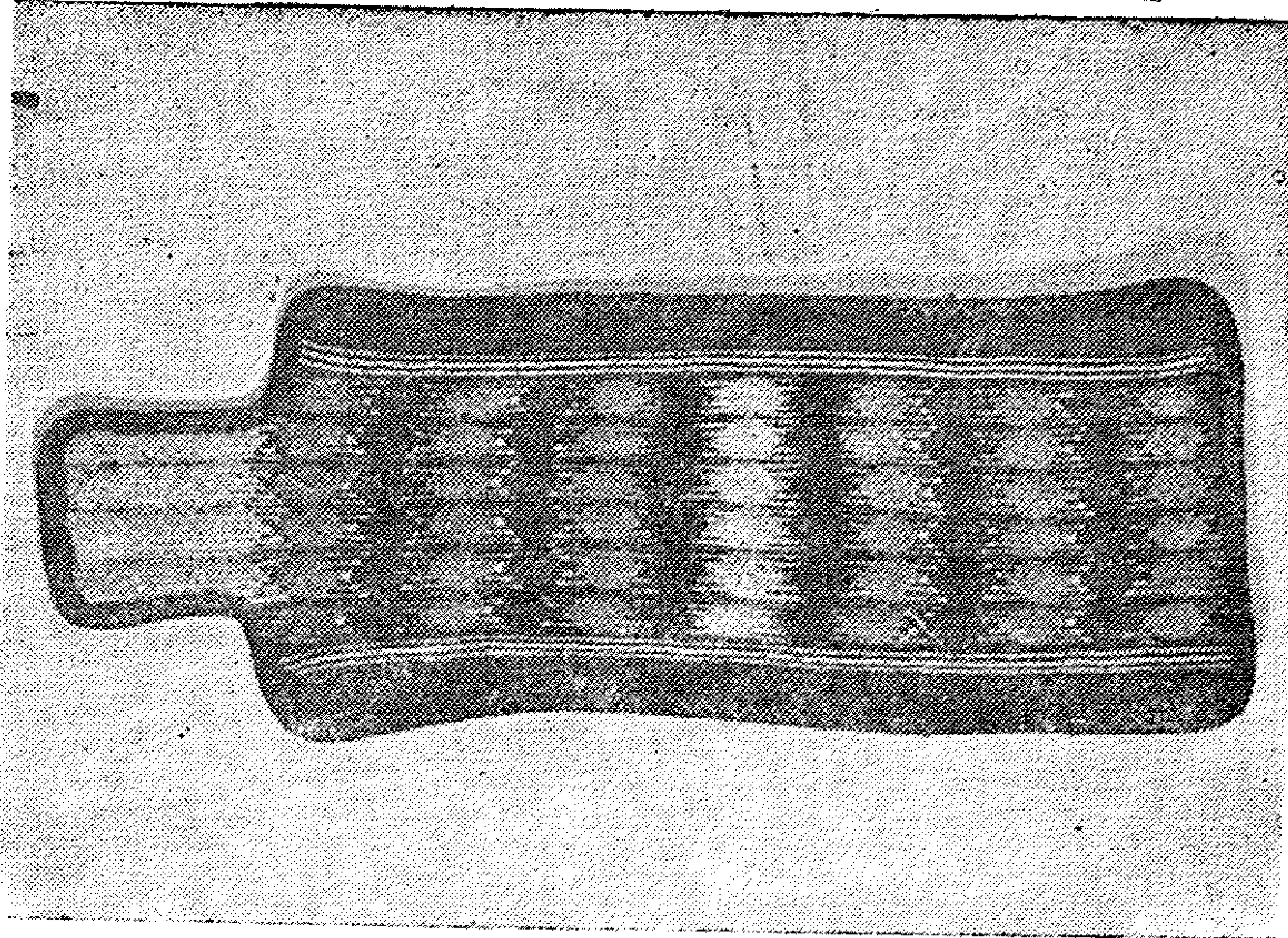
كما استطاع الوفد المصرى وضع قرار إدانة العدوان الأجنبى على الأراضى الافريقية وضمها بالقوة :

محمد السيد غلاب
عميد معهد الدراسات والبحوث الافريقية
جامعة القاهرة

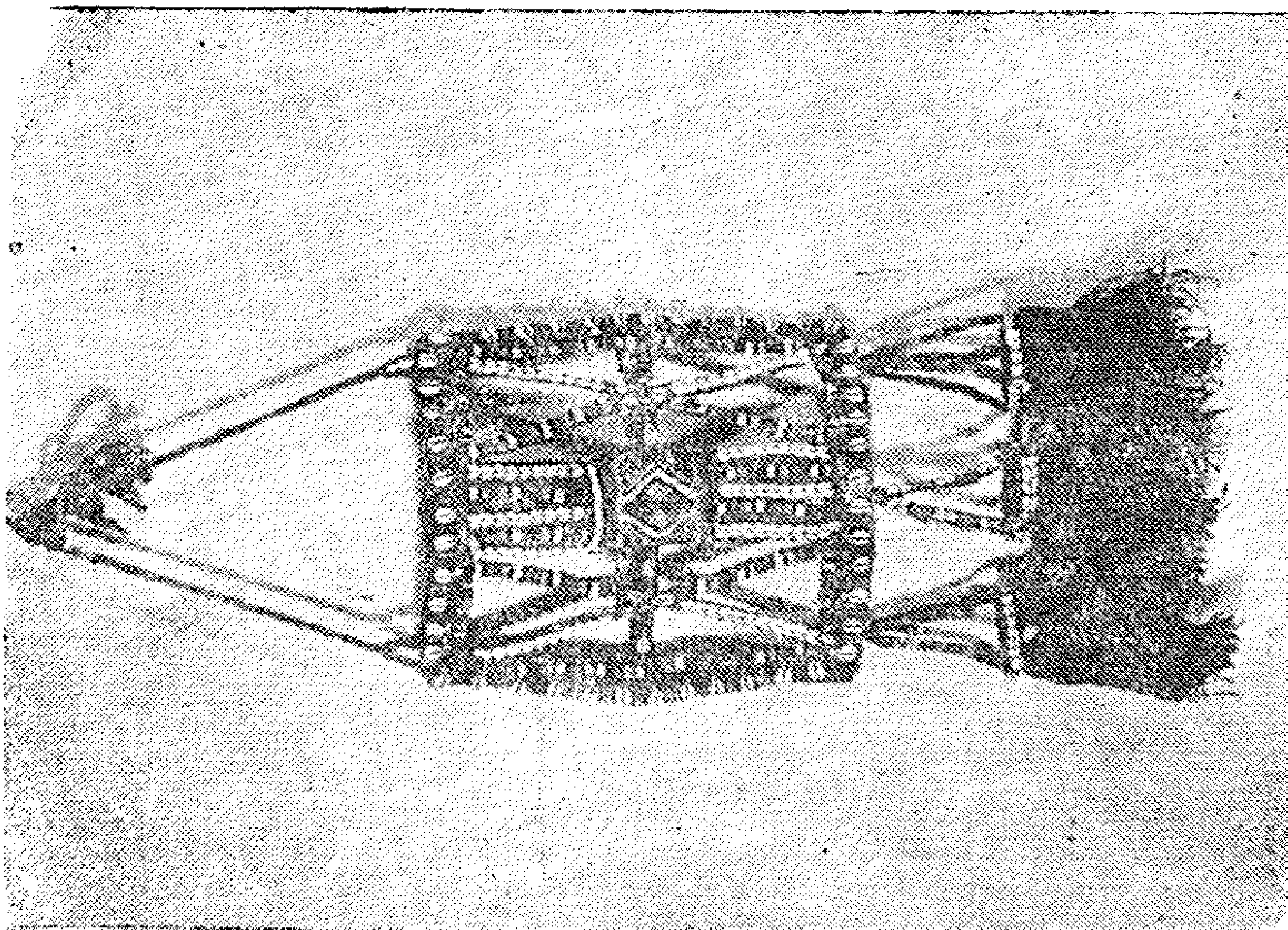
تم الطبع بالمراقبة العامة لمطبعة
جامعة القاهرة والكتاب الجامعي

المراقب العام
على محمد حسن اسماعيل

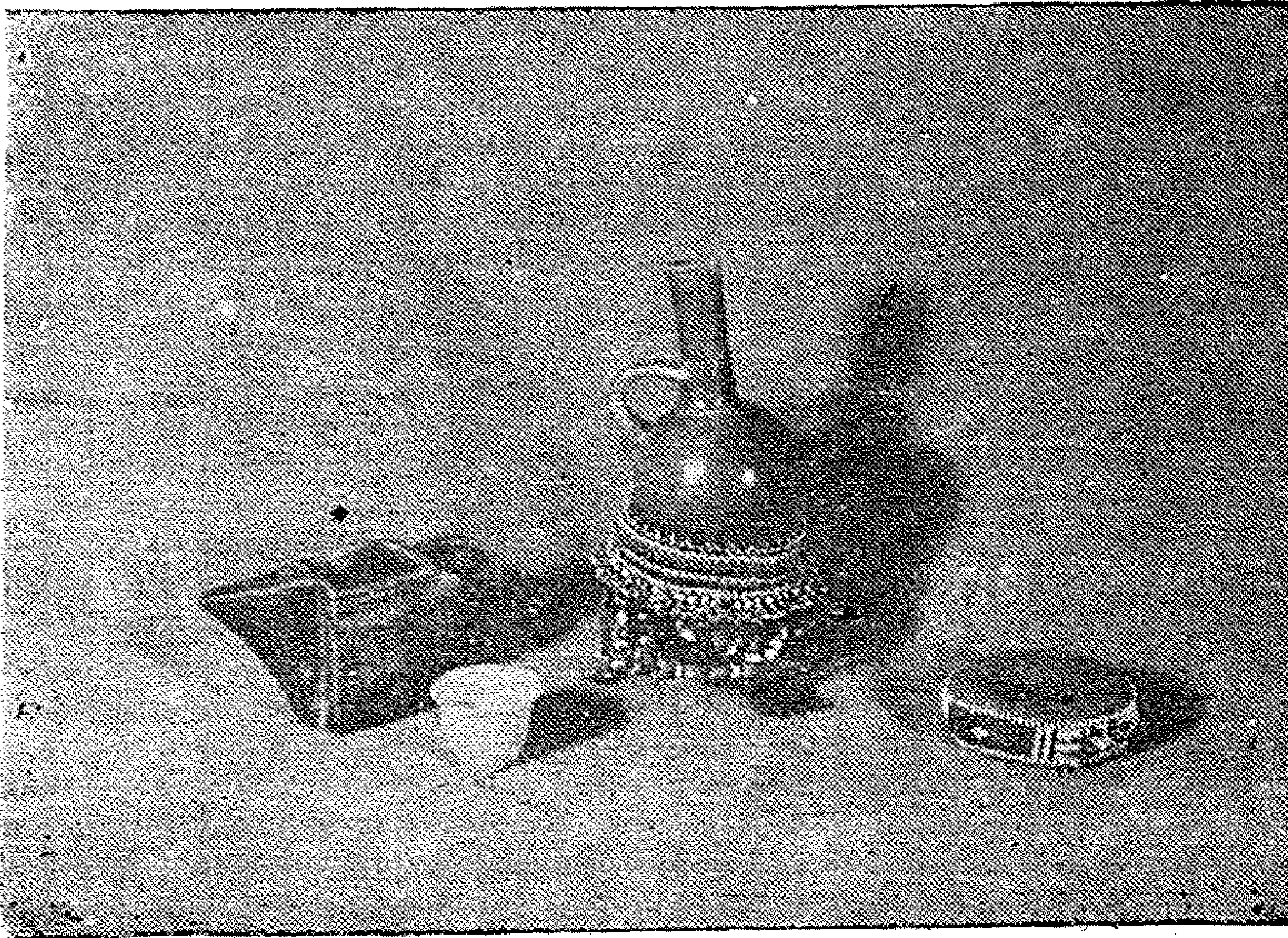
(مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي ١٢٨٩/١٩٧٤/٩٠٠)



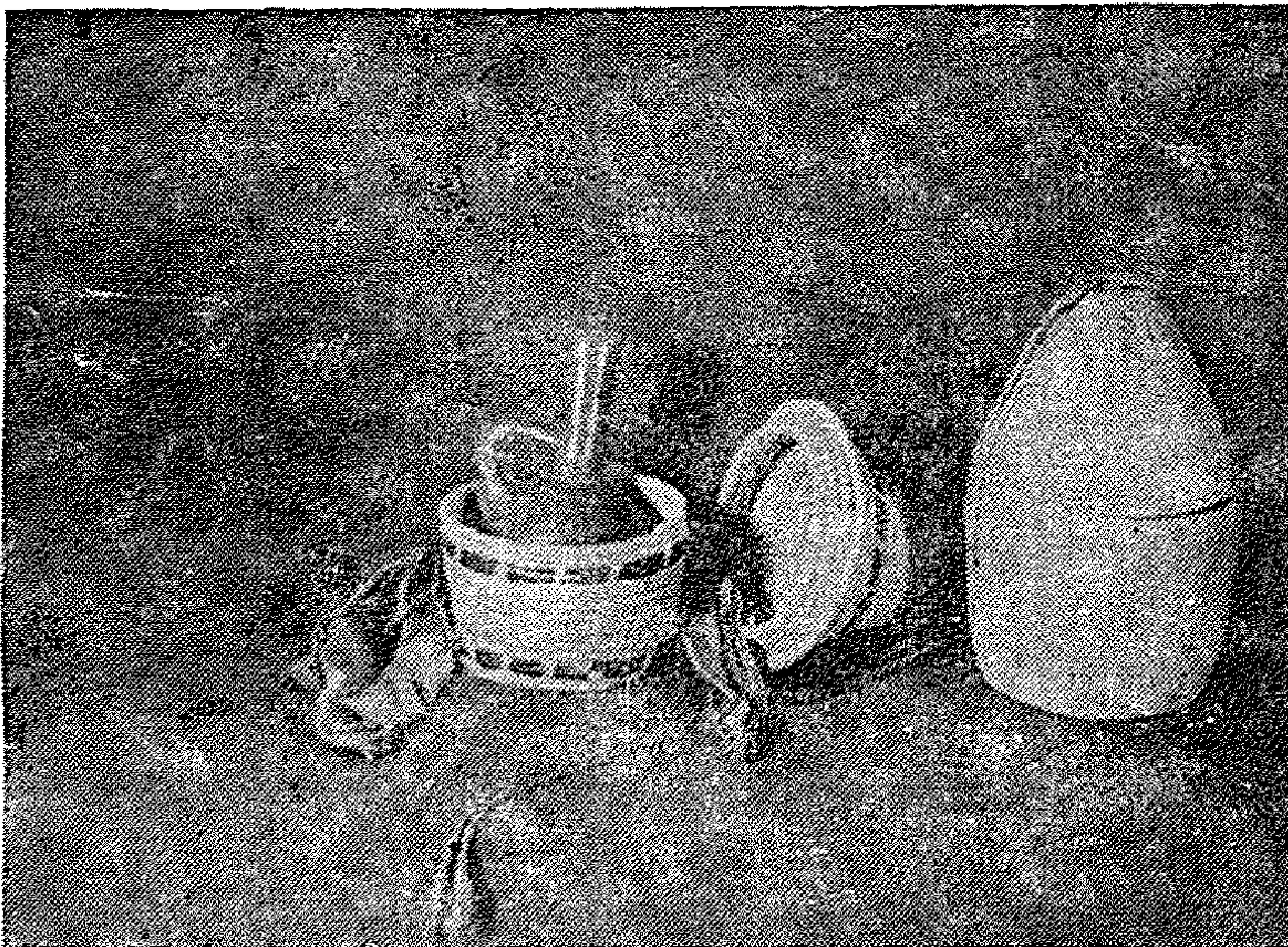
Gefärbte Matte aus Kassala



Zierrahmen



Utensilien zur Kaffeebe eitung
1. Kaffeekanneaus Ton (Gabana) genannt. 2. Hoelzernes Kaennchen mit Sieb. 3. Kaffee-Trinkschale. 4, 5. Geflochtener Strohring als Untersatz fuer die Tonkanne.

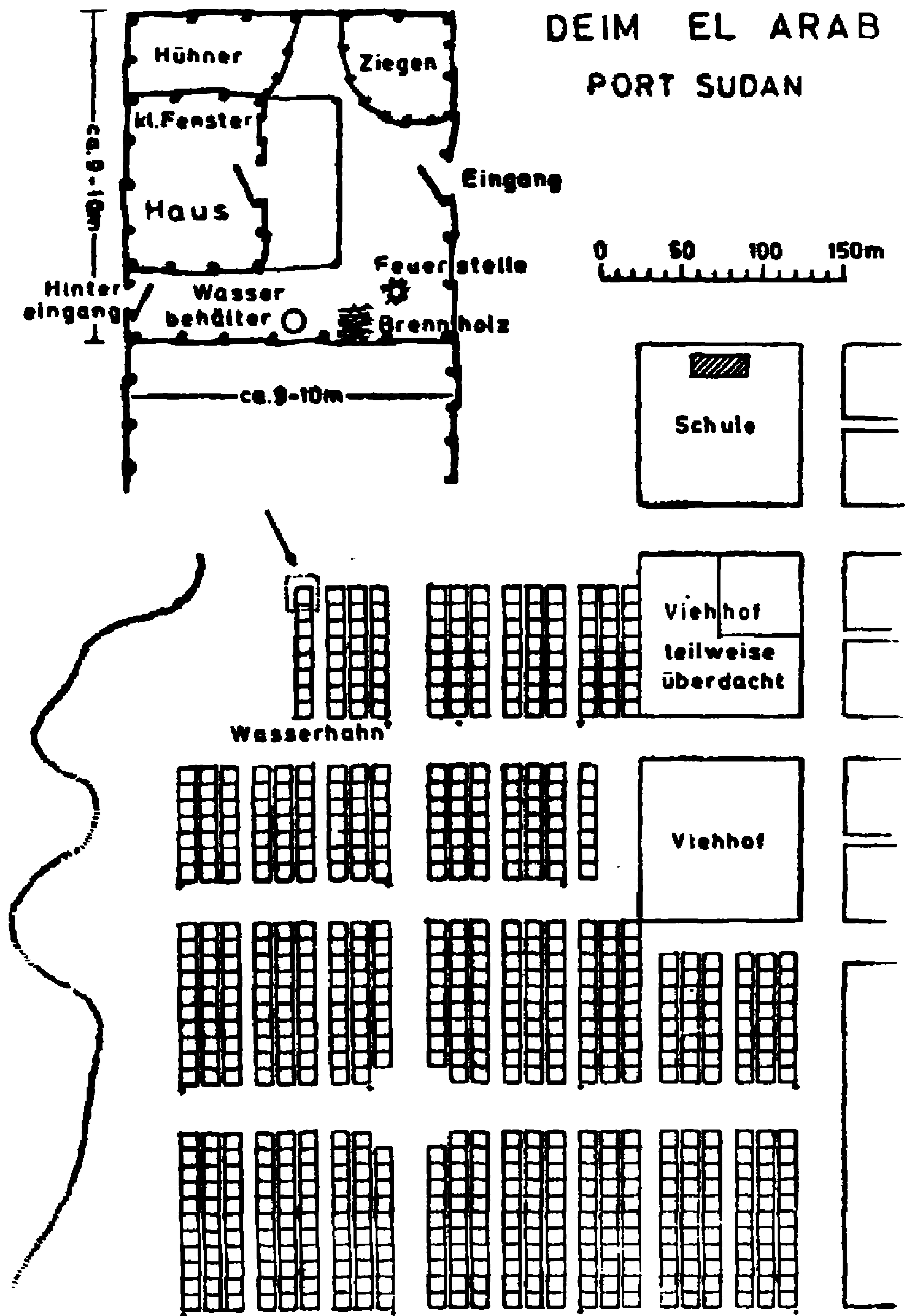


1. Geflochtener Korb zur Aufbewahrung und zum Transport der Kaffeekanne aus Ton. 2. Holzbehaelter mit Deckel, zum Transport und zur Aufbewahrung der Tonkanne.

gieBt man noch drei - oder viermal kochendes Wasser. Dem Kaffee wird uebrigens gemahlener Ingwer zugesetzt, um dem Getraenk einen besonere scharfen Geschmack zu geben.

LITERATURVERZEICHNIS

CHUKAIR, Naum : Tarikh el-Su'lan, Kairo 1903.



Butterschmalz, das nicht nur fuer den Hausbedarf, sondern auch zum Verkauf hergestellt wird, bereiten die Frauen zu. Sie fuellen Milch in gegerbte Ziegenhaeute und schuetteln sie so lange, bis sich die Butter abgesetzt hat. Diese Butter wird gekocht und zum Verkauf in Glasflaschen, zum Hausgebrauch in Kuerbisschalen abgefuellt.

Die jenigen Hadandawa, die in der Naehe einer Staedt wohnen, backen heute auch das sudanesische *Brot*, das "Kisra" genannt wird. Sie bereiten es aus Hirsemehl. Zunaechst wird die Hirse grob geschrotet, dann auf dem Mahlstein mit Wasser vermischt und fein gemahlen. Die fluessige Masse wird mit einer Tasse auf eine eiserne Platte ueber dem Feuer gegossen (s. oben : Feuerstelle). Das Brot wird mit gekochtem Fleisch gegessen ; einige Hadandawa essen heute auch Gemuese dazu.

Im Sueden des Hadandawa-Gebietes backt man eine andere Art vonBrot, das im Kanisterofen (s. oben : Feuerstelle) zubereitet wird. Dazu verwendet man Hirseteig, der mit' Asida vermischt und zu kleinen Laiben geformt wird, Welche man innen an die Kanisterwand klebt. Das fertige, noch warme Brot essen die Hadandawa mit Milch und Butter oder mit gekochtem Fleisch.

Die *Gemuesesorten* der in Stadtnaehe lebenden Hadandawa sind Huelsenfruechte, Tomaten, Auberginen, Kuerbisse, Spargelkuerbisse, "Bamia" (Hibis L.) und "Mulukhiya" (corchorus oliterius L.) Das Gemuese wird zusammen mit in Butter geroesteten Zwiebeln sowie mit Tomaten-saft und Wasser gekocht. Dazu fuegt man noch die gewuerze "Schatta" (capsicum conicum mey, eine Pfefferart), gewoehnlichen Pfeffer, Kuemmel, Koriander und Salz.

Als *Hauptgetraenk* der Hadandawa gilt der *Kaffee*, "Gabana", der uz jeder Tageszeit getrunken wird. Die Zubereitung nimmt verhaeltnismae Big viel Zeit in Anspruch ; denn die Kaffeebohnen werden jedesmal frisch geroestet und anschlie Bend sehr fein gemahlen. Das Roesten der Bohnen geschieht a uf folgende Weise : Man legt sie in eine mit zwei Griffen versehene Holzschale (s. oben : Kuechengeraet) und gibt gluehende Kohlen dazu. Dann wird die Schale hin - und hergeschuettelt, bis die Bohnen gebraeunt sind. Nachdem man die Kohlestuecke mit einer Zange entfernt hat, werden die Bohnen in einem Tuch abgerieben. Haeufig roestet man Kaffee auch in ein em Blechkaennchen auf dem Kanisterofen. In einem hoelzernen Moerser werden die Bohnen sofort anschlie Bend mit einem metallenen oder steinernen Stoe Bel fein zerstampft. Waehrenddessen kocht schon das Wasser in einem Blechkaennchen. Mit dem Wasser wird der gemahlene Kaffee in einem Holz- oder Blechkaennchen ueberbrueht. Beim AusgieBen der Fluessigkeit aus diesem Kaennchen verhindert ein Sieb aus Palmfaser, welches im AsuguB steckt, daB Kaffeesatz in das Tonkaennchen gelangt. Gabana wird aus sehr kleinen Tassen getrunken. Ueber den zurueckgebliebenen Kaffeesatz

Die Tasche wird verschlossen, indem man die drei kleinen Klappen durch eine groBe ueberdeckt. Durch zwei Lederoesen an beiden Seiten sind zwei rote Baumwollkordeln gezogen, die verknotet werden.

5. **Die Nahrung und ihre Zubereitung :**

Die wichtigsten Nahrungsmittel der Hadandawa sind Hammelfleisch, Milchprodukte und eine Hirseart, andropogon sorpghum, "Dukhn" genannt.

Morgens essen die Hadandawa "Belila", das sind gekochte *Hirse*-Koerner. Man gibt die Hirse in kochendes Wasser und laeBt sie aufquellen. Die weichen Koerner mischt man entweder mit Milch ode mit Zucker. Die Mahlzeit wird gegen sieben Uhr eingenommen.

Ihre Hauptmahlzeit essen die Hadandawa nachmittags, und zwar gegen 18 Uhr, wenn die Maenner nach Hause zurueckkehren. Das Getreide fuer diese Mahlzeit wird jeden Tag frisch gemahlen. Kochendem Wasser setzt man unter staendigem Ruehren langsam das Hirsemehl zu, bis ein dicker Brei ensteht. Das dauert nur einige Minuten, und die fertige "Asida" wird in einer Schuessel mit Milch, Butter und Zucker oder mit gekochtem Fleisch vermengt. Am haeufigsten iBt man "Asida mit Fleisch oder Sauermilch. Belila und " Asida gehoeren zur taeglichen Nahrung aller Hadandawa, ob sie im Gebirge, in Doerfern oder in der Naehe der Staedte wohnen.

Das Fleisch wird von Maennern zubereitet. Esist gewoehnlich *Hammelfleisch*. Meist schlachtet jeder Mann fuer seine eigene Familie und kocht das Fleisch in Wasser ab. Ein Hammel ernaehrt eine Familie fuer zwei oder drei Tage. Auf dem Markt gibt es besondere Fleischbrater, bei denen die Maenner meist ihre Mittagsmahlzeit einnehmen. Die Bratkuechen verkaufen eine bestimmte Bratensorte, "*Salat*" genannt. Hadandawa-Salat ist im ganzen Sudan bekannt und wird nur aus Hammelfleisch zubereitet. Der dabei benutzte Ofen besteht aus einer Metallschuessel, die zur Haelfte mit Kohlen gefuellt ist. Auf die Kohlen legt man saubere Steine. Sobald diese Steine gluehen, schneidet der Koch das Fleisch in kleine Stuecke, wascht es und wuerzt es mit Pfeffer, Kuemmel und Salz und laeBt es vier bis fuenf Stunden auf den heiBen Steinen garen. Jede halbe Stunde erneuert er das Feuer und wendet er das Fleisch.

Nur zu bestimmten Anlaessen, z.B. bei einer Heirat oder einem Begraebnis, werden *Rinder* geschlachtet, und man bereitet das *Fleisch* fure Mahlzeiten zu. Die jenigen Hadandawa, die in oder bei Staedten leben, kaufen auch manchmal Rindfleisch, lassen es trocknen und bewahren es als Konserve auf. Die nomadisierenden Hadandawa dagegen verwenden nie Rindfleisch fuer ihre taeglichen Mahlzeiten.

auf dem Markt gekauft. Die fertige Dilka wird nochmals erhitzt und auf den Koerper aufgetragen. Dies geschieht in einer Ecke des Wohnraums, wo sich eine Grube befindet, in der Akazienholz verbrennt. Mit Oel eingerieben und mit einer Decke umhuellt, setzt sich die Frau vor das Feuer und laeBt den Rauch an sich vorbeiziehen. Nach dies m Schwitzbad kuehlt sie ihren Koerper langsam ab und reibt sich mit Dilka ein. Sie laeBt das Mittel einziehen und auf dem Koerper trocknen. Die noch auf der Haut haftenden Reste schabt sie schlieBlich ab. Das Einreiben mit Dilka soll sich medizinisch guenstig auswirken. So schreibt z. B. Na'um Schukair[1], daB Dilka die Haut pflegt und die Transpiration des Koerpers mindert.

Jede Handandawa–Frau traegt so viel *Schmuck* wie nutr eben moeglich. Meist besteht dieser Schmuck aus Gold. So befestigen verheiratete Frauen einen goldenen Ring vorne im Haar. Dieser Ring gilt als Ehering, wird aber erst nach der Geburt eines ersten Kindes angelegt. Als Kopfschmuck tragen die Frauen eine Art Netz, das aus vier Reihen aufgefaedelter Goldmuenzen und aus Ketten von Perlen, Muscheln und Gloeckchen besteht. Am Hinterkopf haengen zwei Quasten herab. BroBe Ringe aus Gold werden ferner an der Ohrmuschel befestigt. Durch die Nasenfluegel steckt man kleine oder groBe goldene Ringe. Den Hals schmuecken kleine, aus Gold und Perlen gefertigte Ketten, auBerdem ein sehr langes, bis auf die Brust herabhaengendes Geschmeide aus Goldmuenzen. GroBe Halsketten werden nicht nur aus Gold, sondern auch aus Perlen und Muscheln hergestellt. Die Frauen tragen auBerdem silberne Armaender (komat) und einen FuBreif (aklil) aus dem gleichen Material. Armba ender bestehen aber nicht nur aus Silber ; es gibt auch solche aus doppelten Lederriemen, die mit aufgereihetn Glasperlen umwunden sind. Oft ist der Armschmuck auch aus mehreren Glasperlenschnueren geflochten. Neben dem Perlenschmuck, welchen die Frauen selbst anfer*l*igen, gibt es neuerdings Fabrikware, die auf dem Markt gekauft wird, z. B. Armreifen aus verschiedenfarbigem Kunststoff. Fuer den Oberarm verwendet man etwa Reifen aus weiBem Plastik mit schwarzen Kreismustern.

Zur Tracht der Frau gehoert *M*uch eine *Geldtasche.*Die Boerse wird aus naturfarbenem feinem Ziegenleder hergestellt, dessen aeuBere, sichtbare Seite eine orange Toenung hat. Die fast quadratische Tasche ist an beiden Seiten mit schwarzen Lederstrefen kunstvoll verziert, die ein Flechtmuster bilden. Innen besitzt die Geldboerse drei Faecher, die je eine Klappe haben

(1) Schukair, 1903, S. 211.

und ueber Ruecken und Kopf wieder zurueck ueber die andere Schulter, so daB es ueber der Brust herabhaengt. Unter diesem Kleidungsstueck traegt die Frau eine Art Rock und eine Weste, diese Weste jedoch nur an bestimmten Feiertagen.

Ihre *Haare* flechten die Hadandawa-Frauen zu sehr kleinen Zoepfchen, die ganz dicht beieinander liegen. Als Kamm benutzen sie eine eiserne Nadel, die in einem Holzgriff steckt Die Haare werden nie geschnitten und nur einmal im Monat gekaemmt. In die Haare reiben sich die Frauen Fett oder Oel, auBerdem geriebenen Ton mit Parfuem und Weihrauch. Diese Kosmetikstoffe werden in zwei Holzschalen, die durch einen Steg miteinander verbunden sind, aufbewahrt. In die eine Schale gibt man Fett oder Oel, in der anderen werden geriebener Ton mit Parfuem, Weihrauch und Fett vermengt. Dieses Gemisch reiben zich die Frauen gegenseitig in die Enden ihrer Zoepfe. Ueberhaupt helfen sie sich gegenseitig bei der Haarpflege.

Ihre *Augenschminke* verwahren die Frauen in einem Holzflaeschchen, das mit farbigen Perlschnueren umwickelt ist. Mit einem griffelaehnlichen Aluminiumstab tragen sie die Farbe auf ihre Unterlider auf.

Die Hadandawa-Frauen verbingen viel Zeit mit ihrer Koerper- und Schoenheitspflege. Alle 14 Tage legen sie z. B. "*Henna*" auf. Dies ist ein Pulver, das aus den getrockneten Blaettern und Stengeln einer gleichnamigen Pflanze (lawsonia inermis) gewonnen wird. Das Henna kaufen die Frauen auf dem. Markt verruehren es mit Wasser und verschiedenen Duftstoffen zu einer breiigen, klebrigen Masse. Auf ihre Handflaechen und die aeuBersten Fingenspitzen, ebenso auf die FuBsohlen und Zehen seichnen sie verschiedene Muster, die mit der Henna-Masse bedeckt werden. Waehrend eines ganze Nachmittags laeBt man das Ganze trocknen. Wenn dann am Abend Haende und FueBe gereinigt werden, hat die Henna schwarze muster auf der Haute hinterlassen. Diese Prozedur wird an drei aufeinanderfolgenden Nachmittagen, an denen die Frau nicht arbeitet, wiederholt.

Ein anderes M ttel der KoerperpflWge ist "*Dil'ka*", ebenfalls eine teigartige Masse, mit welcher die Frauen morgens und abends ihren Koerper einreiben. Einen Teil von Dilka stellen die Frauen selbst her. Sazu bereiten-sie einen Teig aus Hirse, der in einem Topf aufs Feuer gesetzt wird. Auf diesen Topf stellen sie einen zweiten mit brennendem Weihrauch und Akazienholz, uftsich dem Hirseteig mit. Der mit Duft versetzte Brei wird dann noch zusaetzlich mit einer Masse aus Mehl, Gewuerznelken, Weichsel-, Sandel- und Weihrauchholz vermischt. Diese Gewuerze hat man

jenigen Hadandawa, die unter einem religioesen Fuehrer leben oder zur Familie des Haeuptlings gehoeren, schneiden jedoch ihre Haare regelmaeBig und tragen einen Turban. Der Turban besteht aus einer Muetze aus Baumwolle und einem Stueck weiBem Stoff, das etwa 1 m. lang und 20 cm. breit ist. Dieses Tuch wird ueber die Muetze und um den Kopf herum geschlungen.

Ein Mann fuehrt stets drei Dinge mit sich : ein Schwert, das zu seiner Verteidigung dient, einen Dolch, der in einem Ledergurt getragen und fuer die verschiedensten taeglichen Arbeiten verwendet wird, und einen Stock, mit dem er Schlangen vertreibt und Hunde wegstoeBt. Am rechten Oberarm traegt er eine kleine Lederschachtel, in welcher sich seine Amulette befinden. Seine FuBbekleidung besteht aus Sandalen, die heute aus alten Gummireifen hergestellt sind.

Bis zum Alter von 14 Jahren gehen die *Jungen* in Hemd und langer Unterhose. Erst danach legen sie die eigentliche Maennertracht an.

Kleine *Maedchen* tragen Kleidchen europaeischer Art, dazu ein Kopftuch. Wenn sie zehn Jahre alt geworden sind, beginnen sie, die vollstaendige Frauentracht anzulegen. Jungen und Maedchen bis zum Alter von neun bis zehn Jahren lassen ihre Haare wachsen. Erst danach rasiert man ihnen den Hinterkopf kahl, laeBt jedoch die uebrigen Haare stehen. Jungen und Maedchen gehen meist barfuss.

Frueher wurde allen Kindern im Alter von zehn Jahre eine *Stammestatauierung* im Gesicht angebracht. Sie bestand aus drei waagerechten Strichen, die mit einer gluehenden Klinge oder einem Nagel eingebrannt wurden. In die Wunde traeufelte man eine Pflanzenfarbe, damit die Narbe eine hellblaue Farbe bekommen sollte. Das Anbringen einer Stammesmarke war unter allen Bedscha-Staemmen verbreitet. Heute betrachten die Einheimischen diese Sitte nicht mehr als schoen. Daher wird sie von der jungen Generation nicht mehr weiter gepflegt.

Die Kleidung der Hadandawa-*Frau* besteht aus einem groBen Stueck Stoff entweder aus Baumwolle oder aus Seide. Eine Tuchbahn von 12 Meter Laenge wird in zwei Teile geschnitten. Die beiden Bahnen naeht man dann an ihren Laengsseiten aneinander. Beliebte Farben sind Gruen, Orangegelb, Blau, Rot und Violett. Die Stoffe kaufen die Hadandawa uebrigens bei indischen Textilhaendlern in den groBen Staedten. Beim Ankleiden wird das groBe Tuch einmal rockartig um den unteren Teil des Koerpers gewickelt und vorne befestigt. Dann legt man das freie Ende des Stoffes nach hinten

schnur gezogen. Mit dieser Schnur lassen sich zwei seitliche Lederschlaufen ueber Spitze des Deckels zusammenbinden.

Zur Aufbewahrung von Butterschmalz benutzen die Hadandawa ausgehoehlte, getrocknete *Flaschenkuerbisse*. Auch Schoepfloeffel lfuer Milch bestehen aus solchen kleinen Kuerbissen, die in der Laengsrichtung durchge. schnitten, dann ausgehoehlt und getrocknet werden. Bei solchen halbierten Kalebassen bildet der Hals des Kuerbis, der leicht gebogen ist, den Griff. Die Hoehlung selbst hat einen Durchmesser von etwa 9,5 cm. und ist ca. 5 cm tief.

Die *MelkgefaeBe* der Hadandawa sind aus Palmblattstreifen geflochten. von innen mit Mehlbrei ausgestrichen, welcher das GefaeB wasserdicht macht. MelkgefaeBe haben die Form eines auf seiner Spitze stehenden Kegels. Unten sind sie von einem breiten Ring umschlossen, der als FuB dient. Die GefaeBe bleiben unverziert und haben die natuerliche, leicht gelbliche Farbe getrockneten Strohs. Solche Behaeltnisse werden zum Auffangen der Kuh- Ziegenmilch benutzt. Einige Hadandawa verwenden zum Melken heute auch Blecheimer, was aber sehr selten vorkommt.

Zum Aufbewahren von Tellern und Toepfen gibt es in den Hadandawa-Haeusern eine besondere *Haengevorrichtung*. Sie besteht aus einem Ring aus Palmblattstreifen, der an den Enden zweier sich kreuzender Baender befestigt ist. Im Kreuzpunkt der Baender wird eine Schnur angenaeht, mit welcher sich das Geraet an der Wand aufhaengen laeBt. In den fre schwebenden Reifen legt man die Toepfe bzw. Teller. Vom Ring, der selbst mit farbigen Faeden aus Ziegenwolle umwickelt ist, haengen als weitere Verzierung vier Wollquasten herab.

4. Kleidung, Schmuck und Koerperpflege :

Das wichtigste Kleidungsstueck der *Maenner* der Hadandawa ist ein grosses weisses Baumwoll-oder Battisttuch. Dieses Tuch, das etwa eiue Laenge von 9 m. besitzt, wickeln sie von einem Ende her um die Lenden, waehrend andere Ende ueber die Brust und die linke Schulter geworfen wird und lose ueber den Ruecken herunterhaengt. Es laeBt den groeBten Teil des Oberkoerpers und der Beine frei. Darunter tragen die Maenner lange weiBe Unterhosen. Die Reichen unter ihnen besitzen auBerdem noch ein langes weiBes Hemd.

Die meisten Maenner schneiden ihre Haare, die uebrigens nie gewaschen, aber eingefettet werden, nur alle zwei Jahre. Ihre Kaemme sind aus Holz und haben einen oder bis zu fuenf lange Zinken. Die eine Seite des Kamm-Griffs ist meist mit Recht- und Sechsecken schwarz bemalt. Die

Hals mit einem kleinen AusguB. Vom unteren Drittel des Halses fuehrt ein geschwungener Griff zum Bauch.)

Ein geflochtener *Strohring*, der mit Lumpen umwickelt und mit rotem Stoff bezogen ist, dient als Untersatz fuer die Tonkanne. An der AuBenkante des Ringes sind als Verzierung Ornamente aus verschiedenfarbigen Perlen aufgenaeht. Die obere und untere Begrenzung des Musters ist durch je eine Reihe abwechselnd schwarzer und weiBer Perlen gekennzeichnet. Eine andere Art des Untersatzes sind *Drahtringe*, die auf einem stoffbespanntem Gestell ruhten. Auf den Stoff werden Perlen in vielen Farben genaeht. Am oberem Ring sind zusaetzlich zahlreiche Anhaenger aus Perlschnueren und Wollquasten angebracht.

Die *Kaffee-Trinkschalen* bestehen aus weiBem Porzellan, das mit roten oder blauen Strichen handbemalt ist.

Zum Transport und zur Aufbewahrung der Tonkannen benutzt man im Norden aus Palmblaettern geflochtene *Koerbe*. Die naturfarbeneu Koerbe sind z. B. mit zwei dunkelbraunen Lederstreifen verziert. Der Deckel hat die Form eines bikonkaven Kegelstumpfes und ist ebenfalls geflochten und auf die gleiche Art verziert wie der Korb selbst. Um den Deckel auf dem Korb festzuhalten, sind an den Seiten zwei gruene, seidene Schlingen befestigt, die ueber der Spitze zusammengebunden werden koennen.

Im Sueden benutzt man zum Transport der Tonkannen dagegen hoelzerne unverzierte *Behaeltnisse* mit einem Deckel, der mit zwei Lederriemen am unvezierte *Behaeltnisse* mit einem Deckel, der mit zwei Lederriemen am Topf befestigt wird. Der Deckel ist Kegelfoermig, an der Spitze leicht abgestumpft und durchbohrt. Von zwei Seiten des unteren Teils des GefaeBes fuehren zwei schmale Lederriemen nach oben, die sich ueber dem Deckel zusammenknoten lassen und ihm so einen festen Halt geben.

Zur Aufbewahrung und *zum sicheren Transport der Trinkschalen* benutzt man im Norden ein geflochtenes *Strohkoerbchen* mit Deckel. Der Deckel ist kegelfoermig und unten mit einer braunen, gedrehten Ziegenwollschnur umnaeht. Von zwei Seiten des Koerbchens laufen ueber die Spitze des Deckels zwei Schlaufen aus Ziegenwolle. Ein dritter Wollfaden, an der Spitze des Deckels befestigt, wird durch die beiden Schlaufen so zusammengezogen, daB der Deckel des Koerbchens fest sitzt.

Im Sueden benutzt man fuer den gleichen Zweck *Holzdosen* mit Deckel, Der Deckel ist an der Spitze durchbohrt. Durch das Loch wird eine Leder-

einen oder zwei solcher Kochtoepfe, auBerdem Schuesseln und Schalen aus Holz. Die *Tontoepfe* sind bauchige Gefaesse die etwa 6 cm. unter dem Rand drei knopfartige Griffe tragen. In diesen Toepfen kochen die Hadandawa Frauen ihre Hauptmahlzeit ("'Asida"). Die *hoelzernen Schuesseln,* - aus dem man die zubereitete 'Asida iBt, sind ziemlich groB ; sie haben einen Durchmesser von ca. 35 cm.

Im ganzen Hadandawa-Gebiet wird noch heute der *Reibstein* verwendet. Er besteht aus zwei Teilen, und zwar dem eigentlichen Mahlstein und der Handwalze. Beide Teile sind aus dem gleichen Material gefertigt, einem Gestein von grauer Farbe mit kleinen schwarzen Flecken.

AuBer dem eigentlichen Koch- und EBgeschirr gibt es noch die verschiedenen *Utensilien zur Kaffeebereitung.* Dazu gehoeren hauptsaechlich :

a) eine flache *Holzschale* mit Griffen von 17 cm. Durchmesser (Darin roestet man die Kaffeebohnen, in dem man sie zusammen mit gluehenden Kohlestuecken schwenkt. Haeufigen braeunt man sie aber auf einer *Blechplatte* auf dem Kanisterofen) ;

b) ein *Moerser,* entweder Einfuhrprodukt aus dem Sued-Sudan aus hartem, roetlich-braunem Holz, den sich aber nur reichere Familien leisten koennen, oder ein kleiner geringerer Qualitaet, der von den meisten Hadandawa benutzt wird (Letzterer wird im Lande selbst aus Akazienholz von Maennern hergestellt. Die Kaffeebohnen zerkleinert man im Moerser mit einem *Eisen- oder SteinstoeBel.* Den eisernen StoeBel erwerben die Hadandawa als Einfuhrprodukt, und Stuecke dieser Art sind nur bei reicheren Familien im Gebrauch. Der Stampfer ist am unteren Ende kugelig ausgeformt. die meisten Hadandawa benutzen einen steinernen, etwa 15 cm. langen StoeBel.) ;

c) das *hoelzerne Kaennchen* mit Sieb (Es wird zum Kaffeaufbruehen benutzt. Man schuettet Kaffeepulver in das Kaennchen und darauf das kochende Wasser. Dann wird der Kaffee in eine Tonkanne umgegossen. Beim AusgieBen des Kaffees verhindert das Sieb, daB der Kaffeesatz mit ausgeschuettet wird. Holzkaennchen besitzen oft eine rechteckige Form, auch der Innen raum ist rechteckig ausgehoehlt. Sie haben einen halbrunden Henkel, der vom Boden bis zum oberen Rand des Kaennchens reicht. Der AusguB istschnabelfoermig. Heute sind Kaennchen aus Holz selten geworden ; statt ihrer benutzt man hauptsaechlich solche aus Blech.) ;

d) die *Kaffeekanne,* wie der Kaffe selbst "Gabana" genannt (Sie ist aus braunem Ton und hat einen kugeligen Bauch und einen langen, duennen

Schichten duenner Aeste ausgefuellt, die rechtwinklig uebereinander liegen. Das Bettgestell wird mit verschiedenen Arten von Matten, duennen und dicken, bedeckt. Es dient als Sitz- und Schlafgelegenheit sowie als Aufbewahrungsplatz fuer Haushaltsgeraete. In Betten dieser Art schlafen meist die Frau und die Kinder. Als *Kissen* dient ein laenglicher, flachgepreBter Lederschlauch, der bemalt und an den Schmalseiten mit je drei Lederfransen, heute auch mit Plastikschnueren verziert ist. Das Kissen wird von den Frauen mit wohlriechenden Basilienkraeutern gefuellt.

In allen Formen der Behausung, mit Ausnahme des Zeltes, gibt es noch ein *kleines Bett*, "Onnal" genannt. Es ist laenglich und hat vier dicke FueBe, auf die ein Rahmen aus Aesten genagelt wurde. Anstatt der duennen Aeste, die beim Inbagi-Bett den Rahmen ausfuellen, sind hier Seile verwendet. Ueber das Gestell wird eine Matte gelegt. In Betten dieser Art schlaeft der Hadandawa-Mann.

In den Wohnungen finden wir auch kleine *Stuehle*, die viereckig und etwa 30 cm. hoch sind und deren Sitzflaeche ebenfalls aus Seilen besteht. Nur in den Zelten fehlen Stuehle.

Eine jede Hadandawa-Familie besitzt mindestens fuenf *Matten* in verschiedenen GroeBen und Formen. Es gibt Matten, die als Sitzunterlage verwendet werden, und solche, die als Gebetsteppich dienen. Man verfertigt als Gebetsteppiche auch runde Matten. Runde Stuecke finden auBerdem als Untersatz fuer die getreidemuehle Verwendung. Im ganzen Hadandawa-Land sind die Matten aus ungefaerbten Palmblaettern hergestellt, auBer in der Naehe von Kassala, wo man die Blaetter orange, rot oder gruen einfaerbt. Dieses Faerben der Matten ist eine Tradition des Halenga-Stammes, von dem die Hadandawa diese Sitte im Laufe der Zeit uebernommen haben.

Die Siedlung Deim el-Arab bei Port Sudan bildet eine Ausnahme in der Art der Wohnungsausstattung. Dort gibt es Hadandawa, die zusaetzlich einen *Schrank* und ein *Regal* fuer Teller, Tassen, Glaeser und Toepfe besitzen Diese Einrichtungsgegenstaende sowie auch die *Toepfe* und *Schuesseln* aus Aluminium, Kupfer und Eisenblech haben die Bedscha bei den Bewohnern der Staedte kennengelernt. Solche Moebel sowie Koch- und EBgeraete dieser Art kannte man frueher nicht. Aber heutzutage werden sie auch schon im Norden in der Naehe der Staedte benutzt.

Auf den Bergen im Nordteil des Hadandawa-Landes und in den Doefern im Sueden benutzt man hingegen noch immer die alten Kuechengeraete, das heiBt Toepfe aus Ton und Schuesseln aus Holz. Jede Familie besitzt

des Kanisters. Danach wird die Feuerstelle mit Matten und Erde zugedeckt, Zuweilen benutzt man als. Feuersrelle zum Kochen auch einen Kanister, der nicht in die. Erde eingegraben ist. Dabei wird die geschlossene. Seite nach oben gestellt, auf der man dann. Kohle oder Holz verbrennt. Den Kochtopf setzt man direkt in das. Brennma'erial oder auf. Steine ueber einer. Feuergrube. Manchmal wird ueber die Feuerstelle auch eine. Eisenplatte gelegt, die auf zwei *gro Ben.* Steinen ruht. Die Platte ist quadratisch, und unter ihr wird ein. Holzfeuer entzuendet ,

Man faBt die gluehenden Holz- oder Kohlestuecke mit einer eisernen Zange. Sie ist meist an ihrer unteren Haelfte mit dreieckigen und halbrunden Kerben verziert. Die Schmalseiten, mit denen die Kohlen oder Holzstuecke festgehalten werden, sind zweimal tief eingekerbt, so daB drei Zacken entstehen. Um das Feuer anzufachen, verwendet man Faecher, die aus naturfarbenem Palmblattstroh schneckenfoermig geflochten sind. Ihre aeuBere Kante wird mit einer Schnur aus Ziegenwolle umnaeht.

Im Hof gibt es auch einen Platz fuer Kleinvieh und Gefluegel. Oft befinden sich dort noch mehrere kleine Betten und Matten zum Sitzen.

Der *Innenraum des Hauses* ist bei allen Gebaeudetypen gleich eingerichtet und ausgeschmueckt. Er wird stets durch einen *Vorhang* in zwei Teile geteilt. Die Waende sind mit *Zierrahmen* geschmueckt, die entweder mit gewoehnlichem Tuch oder mit Stoff bespannt wurden, der mit Perlen und Muscheln besetzt ist. Und zwar bestehen Vorhang und Wandschmuck aus rotem Tuch, das auf Matten aufgenaeht wurde. An die Wand wird manchmal auch eine "Schamla" (Wolldecke) gehaengt.

Das *Mobiliar* der Hadandawa ist sehr schlicht. Dabei erscheint die Ausstattung der Wohnungen hinsichtlich ihrer wichtigsten Elemente im ganzen Hadandawa-Gebiet gleich. sei es nun in den Wohnquartieren am Rande der Staedte, in den Siedlungen auf den Bergen oder in den Doerfern im Sueden, gleichgueltig auch ob es sich um Mattenzelte, Holzhaeuser oder Lehmziegelgebaeude handelt.

In jeder Wohnung findet man z. B. eine *groBe Bettstatt*, " Inbagi " genannt, die fuenf Meter lang, zwei Meter breit und einen Meter hoch ist. Dieses Bett ruht auf sechs dicken, 90 cm. hohen Aesten als FueBen. Diese Aeste werden an den vier Ecken des Bettes in der Erde befestigt, auBerdem ist eine Stuetze in der Mitte der Laengs-seite angebracht. Auf die Stuetzen werden vier Aeste als Rahmen genagelt, und dieser Rahmen ist mit zwei

Die *dritte feste Hausform* ist der kegelfoermige, sogenannte "Guttia" Typ" dessen Wand aus Lehmziegeln und dessen Dach aus Stroh bestehen. Das Guttia-Haus ist kein eigentlicher Bedscha-Typ, sondern die Bedscha uebernahmen es erst von den West-Afrikanern, die allerdings seit langer Zeit im Hadandawa-Land leben(1). Das im GrundriB kreisrunde Lehm ziegelhaus hat einen Durchmesser von etwa 5 m. Die Wand ist etwa 2 m. hoch Die Dachspitze hat eine Hoehe von ca. 2,50 Meter. Jedes dieser Gebaeude hat eine niedrige Tuer aus Holz oder Blech und ein sehr kleines Fenster, das Tag und Nacht offen bleibt. Beim Bau der Haeuser wird zuerst die Wand aus ungebrannten Ziegeln errichtet. Dabei laeBt man eine etwa einen Meter hohe Oeffnung fuer die Tuer und an einer Seite ein Loch fuer das Fenster. Danach wird das Dach aufgesetzt, das aus einer inneren Schicht von Zweigen und einer aeuBeren von Stroh besteht. Diesen Haustyp findet man in allen Doerfern des Suedens. Auch er wird von den Maennern gebaut Neben diesen Haeusern gibt es einen mit Stroh ueberdachten Platz zum Kochen und Sitzen, an dem sich aber auch die Tiere aufhalten.

3. Wohnungsausausstattung und Hausrat(1) :

Alle Formen von festen Behausungen bestehen meist nur aus einem einzigen Raum und haben einen das Gebaeude umgebenden *Hof*. In einer Ecke des Hofes befindet sich der *Wasserbehaelter*. Zur Aufbewahrung des Wassers dient im Bergland des Nordens und in den Doerfern im Suedteil des Hadandawa-Gebiets ein Schlauch aus gegerbtem Ziegenleder. In den Wohnquartieren im Umkreis der Staedte des Nordens benutzen die Hadandawa ein groBes GefaeB aus Ton fuer diesen Zweck. Solche GefaeBe sind etwa einen Meter hoch und haben oben einen Durchmesser von ca. 40 cm. Beide Arten von Wasserbehaeltern eignen sich sehr gut dazu, das Wasser auch bei groBer Hitze kuehl zu halten. Beide Formen von Behaeltern werden auf einem Holzgestell angebracht.

In einer anderen Ecke des Hofes befindet sich die *Feuerstelle*, die zum Kochen, besonders auch zur Kaffeezubereitung, und zum Backen benutzt wird. Beim Backen bedient man sich eute eines Kanisters, der tief in die Erde eingegraben und dessen offene Seite nach oben gerichtet ist. Im Kanister verbrennt man Holz und Stroh, bis Wand heiss geworden sind. Dann klebt man den Teig in Form der Brotlaibe auf die Innenseite

---

(1) Muendliche Ueberlieferung.

(1) Im Folgenden gehe ich bei der Beschreibung von Haushaltsgegenstaenden oft von einzelnen typischen Stuecken meiner Sammlung aus.

Uebrigens ist das Zeltgestaenge mit zwei Schichten von Matten, einer innere aus duennen und einer aeuBeren aus dickeren Matten, bedeckt. An eine Seite laeBt man eine Tueroeffnung, die Tag und Nacht nicht geschlossen wird. Von innen naeht man Decken aus Ziegenwolle, die "Schamla" heiBen, als Verkleidung gegen die Matten von Dach und Waenden des Zelts.

Vor jedem Zelt befindet sich eine Grube fuer das Feuer. Ueber die Grube legt man zwei Steine, so daB eine Kochstelle entsteht. Das Kochge faeB wird auf diese Steine gestellt.

Aus Matten errichtete Behausungen der beschriebenen Art (bait el bursch) findet man im Norden am Rande der Staedte und auf den Bergen, ebenso im Sueden des Landes am Rande der Doerfer der ackerbautreibenden Hadandawa.

b) *Staendige Behausungen* :

Im Norden des Hadandawa-Gebietes gibt es zwei Arten fester Behau sungen, erstens Haeuser, deren Waende und Daecher aus Holzbrettern konstruiert sind, und zweitens Gebaeude, deren Waende aus Astwerk und Stroh und deren Daecher aus Holzzweigen, Matten und Stroh bestehen. Beide Haustypen haben eine laengliche Form. Der *erste Haustyp* besitzt eine Grundflaeche von etwa 15 x 9 m und eine Wandhoehe von 2 m. Das Giebeldach ist etwa 3 m hoch. Solche Haeuser werden von den Maennern gebaut : Man setzt zunaechst die Stuetz- und Eckpfosten in die Erde, dann werden die Holzplatten, die etwa einen Meter lang und 30 cm breit sind, von unten beginnend so an die Pfosten genagelt, daB sie sich wie Dachschindeln ueberlappen.

Die *zweite Hausform* hat eine Grundflaeche von etwa 5 x 4 m. Zunaechst werden die Waende aus dicken Aesten errichtet, die fachwerkartig mit Palm blattfasern zusammengebunden sind. Die Zwischenraeume schlieBt man dann mit Holz- oder Blechplatten. Beim Bau des Daches wird zunaechst ein Gerippe aus biegsamen Aesten errichtet. Darauf legt man eine Schicht Stroh, und darueber wird die Konstruktion mit Palmblattmatten so abgedeckt, daB das ganze Dach von auBen die Form eines Tonnengewoelbes erhaelt. Neben den Gebaeuden dieser Art liegt ein mit Stroh ueberdachter Platz, an dem sich gewoehnlich die Frauen aufhalten und kochen. Haus und Anbau werden von Maennern errichtet.

Man findet den ersten Haustyp in den Siedlungen bei Port Sudan und bei Sinkat, den zweiten auch bei Sinkat und bei Gebeit.

Dugein besuchte, lagerte dort eine Nomaden-Gruppe aus der Umgebung von Aroma, die ihre zehn Zelte in weitem Abstand voneinander aufgeschlagen hatte.

El-Duppa dagegen, das 5 km von Aroma entfernt liegt, besteht aus Lehmziegelhaeusern des Guttia-Typs, die von einer einzigen GroBfamilie bewohnt werden. Abseits von diesen Haeusern stehen die Zelte der jungverheirateten Paare. Diese Wohnweise ist am Anfang einer Ehe wirtschaftliche. AuBerdem verlangt die Tradition, daB man waehrend der ersten Ehejahre in einem Zelt lebt. Zwischen den nahegelegenen Weidegebieten und dem Dorf liegt der gemeinschaftlich benutzte Brunnen.

Eine Wohngemeinschaft besonderer Art lebt auf dem Berg *Hamaschkureib*, etwa 100 km von Aroma entfernt. Auf diesem Berg, auf dessen Hoehe waehrend der Regenzeit ein Bach flieBt, liegen ziemlich weit verstreut etwa 200 Mattenzelte. Sie werden von Kleinfamilien aus verschiedenen Hadandawa-Unterabteilungen bewohnt, die sich hier unter der Leitung eines religioesen Fuehrers zusammengefunden haben. Die Siedlung verfuegt ueber eine Schule fuer Jungen und drei Koran 'schulen und zwar eine fuer Maenner, fuer Jungen und fuer die weiblichen Bewohner. Die meisten Frauen sind aber trotz der Schulbildung des Arabischen nicht maechtig. Ihren Lebensunterhalt verdienen die Leute durch Viehzucht. AuBerdem nutzen sie eine groBe Anzahl von Dum-Baeumen. Einmal in der Woche wird ein Markt abgehalten, den auch Haendler aus Aroma besuchen.

2. Die Hausformen

a) *Temporaere Behausungen :*

Die Lebensweise der nomadisierenden Hadandawa erfordert, daB das Material fuer ihre Behausungen leicht transportabel ist. Ihre *Zelte* bestehen daher aus Matten, die aus Palmblaettern geflochten sind. Die Zelte errichten Frauen — entweder aus den mitgefuehrten Matten oder aus solchen, die an Ort und Stelle gemeinsam geflochten oder fertig gekauft wurden. In der Mitte einer Grundflaeche von etwa 5 x 3 m werden vier dicke, etwa 3 m lange Holzstangen in die Erde gesenkt. Um diese Stangen herum steckt man aehnlich groBe Stoecke im Abstand von einem halben Meter voneinander in den Boden. An den FuB jedes Stocks werden ein Ziegel oder ein Naturstein gelegt, damit die Stoecke festen Halt haben. Von der Stangen in der Mitte aus haengt man dann die Matten so nach auBen, daB sie ueber die am Rande stehenden Stoecke geschlagen werden koennen. Die nebeneinander angeordneten Matten sind mit Faeden aus Ziegenwolle oder Holznaegeln zusammengehalten

Das Dorf besteht aus etwa 100 Wohnabteilungen, die allerdings nicht nach einem bestimmten Plan angeordnet sind. Die Gebaeude sind alle vom Gut'ia-Typ. Jedes Haus besteht aus einem Raum und hat einen eigenen Hof. Innerhalb der mehrere Gebaeude umschlieBenden Mauer gibt es einen mit Stroh ueberdeckten Platz fuer die Tiere.

Am Rande des Dorfes liegt ein Brunnen. Die Felder befinden sich in der Naehe des Dorfes. AuBerdem steht ein gemeinschaftliches Weidegebiet fuer das Vieh aller Bewohner zur Verfuegung. An oeffentlichten Einrichtungen existieren zwei nach Geschlechtern getrennte Volksschulen, die Kontrollstelle des Regierungsbeamten, welcher den Ackerbau ueberwacht, und ein Gericht.

Wagar zeichnet sich wegen seines Gemueseanbaus und durch seinen Markt gegenueber anderen Doerfern aus. Der Gemueseanbau, der in der Umgebung von Wagar erst durch Bewaesserungsanlagen moeglich wurde, liegt in staatlicher Hand, und die Hadandawa arbeiten hier in staatseigenen Unternehmungen. Die Erzeugnisse werden vornehmlich in die Stadt Aroma und in deren Umgebung geliefert.

In der Naehe von Wagar gibt es mehrere Wohnplaetze von Nomaden und Halbnomaden. Ich nenne hier als Beispiele nur Sabun und Tementai. *Sabun*, das ueber einen Brunnen verfuegt, liegt etwa 2km oestlich von Wagar und wird von einer einzigen GroBfamilie bewohnt. Der Platz besteht aus etwa zehn Mattenzelten, die nicht weit voneinander entfernt im Busch aufgestellt sind. Die GroBfamilie zieht das ganze Jahr hindurch mit ihrem Vieh ueber Land und kehrt nach Sabun erst zurueck, wenn alle Weiden erschoepft sind. In Sabun duerfen keine Fremden lagern. Sogar Besucher werden nur in Begleitung eines Mitglieds der dort beheimateten GroBfamilie zugelassen.

Tementai ist der Wohnplatz der Haeuptlingsfamilie der Hadandawa. Er liegt etwa 8 km westlich von Wagar. Die Siedlung gliedert sich in zwei Teile, naemlich den eigentlichen Wohnplatz und das Weide-und Brunnengebiet Die Weide liegt etwa 2 km vom Lager entfernt, das etwa 30 bis 50 weit auseinander stehende Mattenzelte umfaBt. Tagsueber gehen die Maenner mit dem Vieh auf die Weide. Nebenbei treiben sie auch Ackerbau.

Als weitere Beispiele fuer Nomadenlager fuehre ich noch Dugein und el-Duppa bei Aroma an. *Dugein* ist ein Wohnplatz, der nicht ausschlieBlich von einer bestimmten GroBfamilie bewohnt wird. Jeder Hadandawa kann sich, wenn seine Weidegebiete erschoepft sind, hier niederlassen. Als ich

verfuegt ueber zwei Brunnen, von denen einer das Trinkwasser, der andere das zum Waschen und Spuelen benoetigte Wasser liefert.

Am Rande der Stadt liegt eine Siedlung, die aus ungefaehr 50 Lehmziegel-Haeusern besteht. Die Bewohner dieser Siedlung sind Viehzuechter, die — je nach der Entfernung ihrer Weideplaetze — fuer einige Zeit ihre Haeuser verlassen und dort dann nur ihre Frauen und Kinder zuruecklassen.

Auf den Bergen und in der Ebene um Sinkat findet man auBerdem noch Zeltlager der Nomaden. Meist bilden etwa zehn Mattenzelte ein solches Lager.

Wegen der guenstigen im Sommer dort herrschenden Witterungsverhaeltnisse suchen die Hirtennomaden mit Vorliebe den Berg *Erkowit* auf. Auf dieser Hoehe kann man zur Sommerszeit mehrere kleine, aus je etwa fuenf Mattenzelten bestehende Zeltlager sehen.

Auch *el-Geif*, ein Vorort von *Suakin*, wird von den Hadandawa bewohnt. Hier leben die Familien, die sich nicht ganz von Suakin trennen wollten, als es seine Bedeutung als Hafenstadt verlor. Sie wohnen in festen laenglichen Holzhaeusern. Die Maenner ziehen mit dem Vieh auf nahegelegene Weidegebiete. Einige treiben auch Fischerei.

b) *Im Sueden :*

Der Sueden des Hadandawa-Gebietes umfaBt das Gash-Delta. In diesem Teil des Landes gibt es im Gegensatz zum Norden viele *Doerfer*, deren Bewohner seBhaft geworden sind und die Siedlung nun nicht mehr verlassen. Mit der Ausbreitung des Ackerbaus im Gash-Delta seit 1925 entstanden auch diese festen Siedlungen. Die Doerfer, in denen die ackerbautreibenden Hadandawa leben, sind Mekali, Tendelai, Metateib, Tementai, Hadaliya und Wagar.

Alle Doerfer gleichen sich in Form und Anordnung. Lediglich die Niederlassungen der Viehhirten, die auBerhalb der festen Siedlunggen wohnen, unterscheiden sich in ihrer Anlage. Als Beispiel waehle ich die Doerfer Tendelai und Wagar sowie die Siedlungen der Hirten in deren Naehe, auBerdem die Wohnplaetze auf dem Berg Hamaschkureib.

Tendelai liegt ungefaehr im Zentrum des Gash-Deltas. Das Dorf ist in kleine Viertel unterteilt, wobei jedes Quartier aus etwa fuenf bis sieben Haeusern besteht. Die einzelnen Gebaeudegruppen umgibt ein Zaun aus Stroh oder eine Lehmziegelmauer mit einem hoelzernen Tor, das nachts durch einen Vorlegebalken verschlossen wird. Die Bewohner jedes Viertels sind miteinander verwandt, aber jede Kleinfamilie besitzt ihr eigenes Haus.

haben, immer noch nicht arabisch sprechen. Die arabische Sprache beherrschen nur die Maenner und die Kinder. Der Grund hierfuer ist, daB die Frauen im Gegensatz zu den Maennern kaum in Kontakt mit der AuBenwelt treten.

Die Siedlung *Belinai* liegt etwa 5 km noerdlich von Port Sudan. Dieser Wohnplatz umfaBt etwa 50 laengliche Holzhaeuser und ca. zehn Mattenzelte, die in weitem Abstand voneinander aufgestellt sind. Je drei bis fuenf Haeuser umgibt ein Zaun, der ebenfalls aus Holz gemacht ist. Jedes Gebaeude besteht aus zwei Raeumen und hat einen groBen Hof Eine Haeusergruppe wird jeweils von einer GroBfamilie bewohnt, deren Maenner als Arbeiter oder Angestellte der sudanesischen Behoerden in Port Sudan arbeiten. In den Zelten leben Nomaden, die mit ihrem Vieh und ihren Zelten jeweils in der Regenzeit zu ihren Weidegebieten ziehen und in der Trockenzeit wieder nach Belinai zurueckkehren. Es gibt auch eine oeffentliche Getreidemuehle und zwei Baeckereien. Neben der ortseigenen Wasserleitung steht eine Traenke fuer das Vieh.

Omna liegt am noerdlichen Rand der Siedlung Deim el-Arab. Dieses Wohnquartier besteht aus etwa 60 Holzhaeusern deren Bewohner groeBtenteils Halbnomaden sind. Immer wenn sie mit ihrem Vieh wegziehen, lassen sie ihre Haeuser leer zurueck. In den Weidegebieten errichten sie dann Mattenzelte. Als ich dieses Wohnquartier im Januar 1966 besuchte, waren die meisten Haeuser geschlossen. Bis auf jene Gebaeude, deren Bewohner als Hafenarbe.ter, Handwerker oder Haendler in Port Sudan arbeiteten, war die Siedlung menschenleer. Die Halbnomaden sollen bis zu drei Monaten in den Weidegebieten bleiben(1). Diese Weideplaetz lagen zur Zeit meines Besuches bei Suakin, wo es in jenem Winter geregnet hatte. Auf meiner Reise nach Suakin habe ich tatsaechlich Leute aus Omna getroffen.

In *Sinkat* wohnen die Hadandawa ausnahmsweise zum Teil auch innerhalb der Stadt. Die kleineren Gruppen, die man ueberall in der Stadt antrifft, betreiben Handwerk und Handel. Gleichzeitig dienen sie der Familie des Khatmia-Ordens, die ueber groBen Grundbesitz verfuegt. Von ihr erhalten sie ihre Wohnung und zum Teil auch ihren Lebensunterhalt. Die Gebaeude sind laengliche Lehmziegelhsaeuser, die zwei oder drei Raeume enthalten und einen groBen Hof besitzen. Sie stehen dicht beieinander und sind nur durch enge StraBen getrennt. In der Stadt gibt es zwei Volksschulen, eine fuer Jungen und eine fuer Maedchen, auBerdem ein Krankenhaus. Sinkat

(1) Persoenliche Mitteilung der Leiterin der Frauenvereinigung.

der Haeuser. Diese Siedlung ist die einzige, die auch auf der Stadtkarte von Port Sudan eingezeichnet ist. Deim el-Arab beesitzt ueber 700 Haeuser und liegt, nur durch eine breite StraBe von der uebrigen Stadt getrennt, am westlichen Rande von Port Sudan.

Die einzelnen aus Holz und Blech gebauten Haeuser sind so angeordnet, daB verwandte Personen dicht bei einander leben koennen und daB eine Art von Wohnblocks entsteht. Diese Blocks sind durch StraBen voneinander getrennt.

In dieser Siedlung gibt es zwei Volksschulen, eine fuer Jungen und eine fuer Maedchen, auBerdem ein Gasthaus, in dem Durchreisende umsonst uebernachten koennen, ferner ein Haus, in dem die Maenner ihre regelmaeBigen Versammlungen abhalten, und ein Gebaeude fuer die Frauenvereinigung. Dort koennen Fraeuen und Maedchen, die keine Schule besucht haben, naehen und lesen lernen.

Eine der HauptstraBen dieser Siedlung bildet das Einkaufszentrum, wo man Geschaefte fuer Lebensmittel, Haushaltsgeraete und Textilien sowie Handwerker findet. Diese Geschaefte sind auBer freitags taeglich bis spaet in die Nacht hinein geoeffnet. In jeder HauptstraBe gibt es eine Wasserleitung mit einer Zapfstelle. Am Rande der Siedlung liegt ein groBer Platz, auf dem jede Familie einen Stall fuer ihr GroBvieh besitzt.

Salalab liegt etwa 5 km westlich von Port Sudan. Die Bewohner Salalabs stammen aus den Bergen, siedelten sich in Port Sudan an und wohnten vor 1905 in der Mitte der Stadt. Als Port Sudan Hafenort geworden war, siedelten die Hadandawa in ihr heutiges Wohngebiet um, da sie dort vom Kontakt mit Fremden verschont blieben(1).

Die Siedlung besteht aus ungefaehr 100 freistehenden Holz-Haeusern, die nicht in einer vorgeschriebenen Ordnung angelegt sind. Jede Familie bewohnt ein eigenes Gebaeude. Die sudanesischen Behoerden errichteten eine vierklassige Volksschule fuer Jungen, nehmen aber sonst kaum EinfluB auf das Leben in Salalab. Die Siedlung verfuegt ueber ein Lebensmittelgeschaeft und ueber eine oeffentliche Baeckerei. In einigem Abstand von den Haesern befindet sich ein Lagerplatz fuer die Tiere. Sobald eine Familie es sich leisten kann, errichtet sie dort einen eigenen Stall. Auf diesem Platz befinden sich auch die einzige Wasserstelle der Siedlung und die Viehtraenke.

Fuer diese Siedlung ist bemerkenswert, daB ihre weiblichen Bewohner die doch schon vor langer Zeit ihre isolierte Haimat in den Bergen verlassen

(1) Muendliche Ueberlieferung unter den Bewohnern der Siedlung.

Es handelt sich in dieser Artikel um die Materielle-Kultur bei den Handandowa. Im Artikel vorher haben wir das soziale Leben bei diesem Volk gehandelt, dazu auch gaben wir einen Ueberblick ueber das Gebiet und ueber der Zweck der Forschung.

Dieser Artikel handelt :

1. Die Siedlungsformen in das Gebiet der Hadandowa.:
   a) Im Norden, b) Im Sueden.
2. Die Hausungen :
   a) Temporare Behausungen, b) Staendige Behausungen.
3. Wohnungsausstattung und Hausrat.
4. Kleidung, Schmuck und Koerperpflege.
5. Die Nahrung und ihre Zubereitung.

In den kommenden Artikel werden wir der Sozio-Kulturelle Wandel bei den Hadandowa handeln.

V. DIE MATERIELLE KULTUR DER HADANDAWA

1. *Die Siedlungsformen.*

a) **Im Norden :**

Die Hadandawa und die uebrigen Bedscha haben eine ausgesprochene Abneigung dagegen, sich mit Fremden zu vermischen. Daher leben sie im allgemeinen isoliert, auBerhalb oder am Rande der Staedte. Im Nordteil des Hadandawa-Gebietes, das heiBt von Port Sudan bis *Derudeb, wohnen die Hadandawa* in Quartieren in den Randbezirken oder in der Nachbarschaft von *Staedten* (mit Ausnahme von Sinkat-dort gibt es Hadandawa auch in der Stadt-), teilweise aber auch auf den Bergen. In diesem Teil des Landes gibt es keine doerflichen Ansiedlungen.

Die Staedte, in deren Umkreis Hadandawa leben und die ich besucht habe, sind Port Sudan, Sinkat, Gebeit, Erkowit und Suakin. Die Siedlungen bei *Port Sudan* sind von Angehoerigen aller Bedscha-Staemme bewohnt ; denn bei Port Sudan verlaeuft die Grenze zwischen den Territorien der Amarar und der Hadandawa. Als dieser Ort im Jahre 1905 Suakin als Hafenstadt abloeste, siedelten die Hadandawa und viele Amarar und Bischarin dorthin ueber, weil sie im Hafen Arbeit suchten. Die Siedlungen bei Port Sudan heiBen Deim el-Arab, Salalab, Belinai und Omna.

Deim el-Arab, das vor 1905 entstand, ist die groeBte und aelteste Siedlung bei Port Sudan. Es zeigt eine wie ein Schachbrett gegliederte Anlage

ويعتبر ديم العرب أكبر وأقدم حي في بور سودان ، ويفصله عن المدينة شارع واحد فقط غرب بور سودان ، ويلاحظ في هذا الحي بصفة عامة أن المنازل منظمة بحيث يستطيع الأقارب السكن بجوار بعض ، ويفصل كل مجموعة عن الأخرى شارع ، هذا إلى جانب المدارس الابتدائية وبيت الضيافة ، ومبنى الاتحاد النسائي .

أما في الجنوب : في دلتا القاش توجد قرى كثيرة بعكس الشمال ، ومن حيث الشكل والنظام نجد أن هناك تشابه كبير بين جميع القرى فيما عدا مساكن الرعاه الذين يعيشون خارج هذه الأحياء السكنية ، ومثل هذه القرى :

تندلاي ، مكلي ، متاييب ، تمنتاي ، هداليا ووجر (وقر) .

أما من حيث أشكال البيوت ، فنجد أن هناك نوعين من المساكن :

مساكن مؤقته ، حيث يتطلب نمط الحياه الرعوية ، وبحيث أن تكون المادة التي تصنع منها مساكنهم خفيفة الحمل ، ولذلك نجد أن خيامهم مصنوعة من الحصير .

مساكن دائمة ، يوجد نوعين من المساكن الدائمة الثابتة ، بيوت تبنى من الواح الخشب وأفرع الشجر والقش ، وأخرى تبنى من الطوب النيء وهذه الأخيرة مخروطة الشكل وتسمى القطية تتكون جميع المساكن الثابتة من غرفة واحدة ولها فناء يحيط بالمبنى ، وتتشابه هذه الغرفة في تأثيثها وزخرفتها في جميع أنواع المباني المختلفة ، وهي تقسم عادة إلى جزئين بواسطة ستار ، كما تزين الحوائط .

أما أثاث البيت : فهو بسيط ، عبارة عن سرير صغير (عنجريب) وكراسي صغيرة من القش إلى جانب عدد من الحصر للاستعمالات المختلفة ويستعمل الهدندوة قدور فخارية وصحون خشبية إلى جانب حجر الطحين والجبنة (أبريق القهوة)

أما الملابس : فنجد أنهم يلبسون الأثواب التي تلف حول الجسم ، ويلبس الأولاد قميص وسروال وتلبس البنات ملابس أوربية بالإضافة إلى غطا الرأس .

والعناية بالجسد : تجدل السيدة شعرها في ضفائر صغيرة جدا ومكرسة بجوار بعض والشعر لا يغسل إلا نادرا ويدهن بالدهن ، ولا تقص السيدة شعرها أبدا أما الرجل فيقصه مرة كل سنتين

وتقضي السيدات معظم وقتها في العناية بالجسد ، حيث تقوم بعمل الحناء والدلكة وتتزين المرأة بالعديد من المجوهرات المشغولة بالخرز والودع .

وفيما يخص الغذاء لدى الهدندوة فهو يتكون من لحم الضأن ومنتجات الألبان وحبوب الدخن وهم لا يأكلون الخضر والفاكهة الا نادرا والمشروب الأساسي لديهم هو القهوة .

وسوف أتناول في المقال القادم التغير والتقدم الإجتماعي والحضاري لدى هذه القبائل وأسباب هذا التغير.

BEDSCHA — HADANDOWA
EINE ANTHROPOLOGISCHE FORSHUNGSREISE IN DAS GEBIET DER BEDSCHA

الهدندوة ـ بجا

بحث انثروبولوجى فى منطقة البجا

للدكتورة سعاد شعبان

يعالج هذا المقال الحضارة المادية لدى قبائل الهدندوة ، وقد سبق أن تناولت فى المقال السابق «الحياة الإجتماعية» باعطاء فكرة عن المنطقة مبينة الهدف من هذا البحث

ولكى يكون البحث شاملا ، كان لا بد أن يلى المقال السابق دراسة للناحية الحضارية وهو موضوع هذا المقال وتشمل :

١ – إنماط الأحياء السكنية

٢ – إنماط البيوت

(أ) مساكن موقته وهى عبارة عن خيام من الحصير وتسمى «بيت البرش»
(ب) مساكن ثابته وهى أما أن تكون من الخشب أو من الطين

٣ – الأثاث و الأدوات المنزلية

٤ – الملابس والمجوهرات والعناية بالجسد

٥ – الغذاء وطريقة إعداده

١ – فيما يخص الأحياء السكنية وبيان أوجه التشابه والأختلاف فى جميع أنحاء المنطقة فقد بدأت ببحثها فى شمال منطقة الهدندوة ، وهى المنطقة الواقعة فيما بين بور سودان ودرديب ، أما فى الجنوب فتشمل منطقة دلتا الجاش .

من حيث التجمعات التى فى الشمال نجدها بجوار المدن وفوق الجبال ، وخاصة مدن بور سودان ، سنكات ، حبيت ، وهذه الأحياء تشمل :

ديم العرب ، بليناى ، سلا لاب وأمنة (بجوار بور سودان) .

rences between these two powerful neighbors because they felt that this is one of the classical ways of maximizing gains, especially when the issue of survival is pressing. The Gambian leaders think that their cultivation of good ties with Guinea will serve as an effective leverage in their dealings with Senegal.

In fact, when the Portuguese invasion of Guinean territory took place, President Jawara expressed his strong support for President Toure ; and, again, when the security forces in the Gambia captured about 38 anti-Toure Guineans, the Gambian government cooperated fully with the Guinean establishment(17). One result of this crisis was Guinea's decision to open a diplomatic mission in the Gambia. The Guinean mission is now in operation and Toure's regime has offered to help the Gambia, although presently Guinea's ability to help is very limited.

Gambian leaders, one can argue, are trying to play traditional power politics to survive in the African international system. Unprepared to join a Senegambian fraternity, these leaders now seek ways to buttress their positions, both locally and internationally. Locally, they hope to be able to appeal to the people by stressing their Gambianess, that is, the Anglo-African admixture in their psycho-cultural make-up, and by pointing out the need for closer cooperation among the ethnic groups in what is Gambia today.

On the international level, however, they harp on their Commonwealth membership, whenever the question of Sene-Gambia emerges ; and in the great debate over ideological beliefs, they disown any interest in radicalism, but at the same time, they deny any links with conservatism. Internationally, the slogan of progressive moderation seems to be the guiding star to the Gambian ship of state.

In conclusion, therefore, we hope to reemphasize the fact that Gambia recognized the limitations both of her size and of her resources, and, for this reason, she has developed specific strategies for survival in the international system. Sensitive to the international system, Gambia has tried to establish relationships with other countries in the hope of enhancing her survival capabilities. But, whether this system of self-evaluation and self-protection will continue to pay big dividends, only time will tell.

---

(17) *The Gambian News Bulletin* (December 5, 1970· pp. 1-3.

was why President Jawara told a Western correspndent early in the post-independence period that he is a "progressive modernate".

This ambiguous definition of his political position has been a blessing rather than a wrath for President Jawara. He has used his political schrewdness along with his country's smallness to carve a special place for himself in the African continent. Dr. Jawara clearly does not have the dominating personality of a Kwame Nkrumah, and indeed a tiny fraction of the African people would suspect him of nursing any notion about ruling or dominating Africa. For this reason, Gambia's Jawara or Jawara's Gambia fares well within the African continent.

It is this shredness of the Gambian leader that makes him the target of criticism from Gambians who believe in a more militant, if not radical position. But it is this same shrewdness that makes many Senegalese diplomats concede their inability to stampede Gambia into accepting a federation.

To illustrate this point, I have to cite examples from the African system itself. Let us take the Portuguese invasion of Guinea, and see how the Gambian regime responded to this crisis. For those who know little or nothing about the relationship between Guinea and Senegal, a few introductory words would be sufficient.

Guinea and Senegal were part of the French colonial community, but in 1958, when DeGaulle gave a choice of independence to the African colonies, only Guinea opted for it. Since that time, Guinea has been looked upon by other Franco-phonic African states as the political leper of their community. The revolutionary rhetoric and actions of Sekou Toure became more and more distasteful, particularly to the Senegalese ruling elites. When the Portuguese invasion of Guinea fell to the ground, Sekou Toure demanded the repatriation of all Guinean counter-revolutionaries living in Senegal(16). To this demand, President Senghor of Senegal gave a deaf ear. This strained the relationship between the two countries ; and, as a result of this uneasy relationship, it became not very common to hear, over the radio stations of both countries, propagandistic vituperations directed against each other.

Here one may ask the question : where does Gambia fit into this matrix? This is the question that I seek to answer, hoping that it will illustrate the point I have raised earlier. The Gambian leaders capitalized on the diffe-

---

(16) For details in the role of the Gambia in this crisis, see *The Gambja News Bulletin* (Nov. 22, 1970) ; " Gambia-Guinea Joint Communique", *The Gambja News Bulletin* (D (December 5, 1970) ; *Gambja News Bulletin* (December 3, 1970).

But another question still persists : what are the implications of this policy for Gambian viability ? Well, the implications are many and conflicting. First of all, the Gambian ruling elites believe that their hob-nobbing with the West does help them in their quest for the collective legitimization of their country's status in the international system. In searching for answers to their viability problem, Gambian leaders feel that the West may grant them both the financial and psychological blessings necessary for their viability. The encouragement of Western capital through the granting of tax investment concessions is one of the many ways by which the ruling elites hope to enhance their extractive capabilities.

This may sound contradictory, but the rationale for such a policy is that the flow of foreign capital into a developing area provides opportunities which would be non-existent otherwise. The Gambian leaders are ready to lecture anyone who has patience to listen on the economics of tourism, and their recent efforts to advertise and sell the Gambia as a holiday resort only confirm my assertion.

But what other implications does the Gambian policy have for the viability issue ? Here, we can argue that Gambian leaders believe that their policy towards tourism and other kindred matters will help in their drive to diversify the country's economy. To these men, anything that helps in the transformation of the Gambian economic system from a monocultural to a diversified economy is worthy of testing.

Yet, the viability problem does not rest entirely on the Gambian economy; it also depends on the African power distribution. Gambia is interested in a power equation which will remove any lingering doubt her integrity as a subsystem in the African system of states(15). Fearful of Senegalese intentions, Gambian leaders wish to operate within the African circle in the most prudent manner.

This policy is consciously designed to enhance the viability of the Gambia as a state. Unwilling to listen to any suggestions of pro-federalist elements in Gambia and Senegal, the Gambian leaders try to steer a middle course between the conservative camp and the radical group. I guess this

(15) This point was reiterated by President Jawara when he addressed the firs Guinean Ambassador, Monsieur Boubakar Kassory Bangoura. The President said that the Gambia "attaches paramount importance to the respect for the territorial integrity of every member state of the United Nations ... be they near or far ". *Gambia News Bulletin* (June 22, 1971 ; p. 1

results, if any, has she gained ; and, (3) what are the effects and implications of such a policy on Gambia's viability ?

The Gambia pursues this policy by identifying with Western states or other Western allies on certain issues which are of cruial importance to the Western states or their allies. For example, when the Western nations, especially the U.S.A., fought tooth-and-nail against the arrival of Mao's representatives at the United Nations, Gambia joined the fiight by actively lobbying against the pro-Perking group.

There were, however, other factors propelling Gambia towards an anti-Peking direction, and among these is the fact that the Nationalist Chinese close allies of the U.S.A. have been working miracles in the Gambian rice fields. And, since the fruits of their labors in the Gambia increased the Gambian government's domestic position, many a Gambian politician found it inconceivable to oppose the Nationalist Chinese in the U.N. debates. This Pro-Taipeh policy of the Gambia government has persisted right up to the present moment. Recently, the Taiwan government came to the rescue of their Gambian allies who were recovering from a painful drought. The Nationalist Chinese gave L 8,000 (32,000 Gambian Dalasis)(12) to the Gambian government for this purpose.

Coming to the results of the Gambian policy towards the West, one finds that they are largely, and certainly, limited. Gambia undoubtedly has received some aid from the West, but not as much as she would have liked. Despite this limitation on the aid, her policy towards the West and the peripheral Western states, like Sweden, has made it possible for her to host thousands of tourists from Scandinavia(13). Indeed, new faces from Western Europe are going to be seen in the Gambia, once the German and British tourist agencies begin to operate(14).

Tourism, therefore, is a result of this Gambian courtship of the West, and the effects of tourism on the Gambian economy are by no means insignificant. Many Scandinavians are now frequenting the Gambia ; some are engaged in tourist businesses in the country ; and many more are beginning to invite and host Gambian students in Scandinavia. All these are the effects of the Gambian policy towards the West, and they are going to give rise to many more effects of which only time can tell.

---

(12) *Gambia News Bulletin* (March 29, 1973).

(13) See *The Gambia News Bulletin*, June 27, 1971.

(14) *Africa Briefing International*, September 22, 1973.

Gambian leaders are capitalizing on Gambia's Commonwealth membership to distinguish her more and more from Senegal.

The development of closer ties with the Commonwealth West African states has given rise to close personal friendship between the Gambian leader and his counterparts in these other Commonwealth countries. Of particular significance is the friendship between Dr. Jawara and General Gowan. In fact, Dr. Jawara's unflagging support for the General's campaign against Biafra has been construed by many suspectful critics as a way of winning support from Nigeria in any future confrontation between Gambia and her Francophonic neighbor, Senegal.

But, if this is the hope of the Gambian rulers, the utterances of Gowan on the subject have shelved the matter. The two states, Gambia and Senegal, *West Africa* reported Gowan saying, must deal with their own problems(11). Yet, these statements do not end the speculation and Gambian leaders bank heavily on Commonwealth support in case of emergency on the African front·

This takes us to the next circle, the Western circle. The Gambian strategy is that Gambia's economic insignificance, at least in the eyes of the Western nations, should not deter Gambians from operating in a prudent manner in the international system. Faced with an ideological struggle between the East and the West, the Gambian leaders stick to their policy of supporting the Western Power they know best. This is to say that they prefer old ways, old ties, and old relationships to uncertainties inherent in any shift from one camp to the other.

But, here again, there may be other considerations. This writer will venture to say that Gambia's operations within the Western circle are based on two important assumptions. First, that the Gambia, by courting the Western states and their Asian allies, can more and more validate her claim as an independent state ; and by hoping that Western countries would be similarly convinced, Gambian elites therefore expect support and assistance from these countries whenever their integrity is in jeopardy. Second, fearing the wrath of the West as well as that of the conservative African states, the Gambian leadership prefers the label of "progressive moderate" to that of an "African radical".

With respect to the two assumptions enumerated above, the following deserve our consideration : (1) how does Gambia pursue this policy ; (2) what

(11) *West Afriva* is the London-based monthly that deals with issues about the westerua part of Africa.

During this period the British government gave L 2 million interest free loan to the Gambia (6).

Though the Gambia has accepted the generous offers of help from the British government, her leaders have tried to minimize dependency. In 1967 Dr. D. K. Jawara wrote an article for the *New Commonwealth*, in which he stressed the Gambia's desire to be viable. Indeed, Jawara prided himself with the successful balancing of the Gambian budget in 1967 (7). This was a big psychological boost, for the Gambian quest for viability made it necessary. The Gambian leaders believe that, apart from the need to maintain friendly ties with the old "Mother Country", there is the need to remind the Senegalese rulers that Gambia is, after all, different from Senegal, since Gambians still cherish the political-cultural similarities of the Commonwealth peoples.

The Gambian leaders have demonstrated this in their diplomatic ventures abroad. The recent State Visits of President Jawara to Nigeria and Sierra Leone and the return visits of leaders of these countries have accentuated this Gambian position (8). In his speech at the Sierra Leone Parliament, Dr. Jawara dwelled on the historical connections in politics, administration, trade and migrations between Gambia and Sierra Leone.

The second reason why the Gambia has joined the Commonwealth is because the technical knowledge of the Commonwealth members would be at Gambia's disposal. Recently, Mr. I. M. Garba Jahumpa, the present Minister of Finance, restated the Gambia's belief that good would come out of the Commonwealth (9). This statement was made after he had returned from a Commonwealth conference. He revealed that in the New Commonwealth Education Study Fellowship Scheme, which would replace the Ten-Year old Commonwealth Education Bursary Scheme, the Gambia with other Commomwealth countries would enjoy better educational facilities ranging from three months to three years. He emphasized that aid was forthcoming in the area of book development and literacy (10).

Whether this is a realistic appraisal of the relationship and the benefits it offers, only time will tell. But one thing seems to be clear ; that is, the

(6) *The Gambja News Bulletin* May, 13, 1971;, p. 1.

(7) Dr. D. K. Jawara, " Gambia ", *New Commonwealth*, No. 10 (1967;, p. 457.

(8) See *Gambjan News Bulletin*, Feb. 20, 1971 ; Jan. 27, 1973.

(9) See "The Gambia Will Benefit from the Commonwealth ", *Gambja News Bulletin*, March 13, 197x, p. 1.

(10) *Gambjan News Bulletin* (March 13, 1971).

With such an understanding, one can then proceed to examine the various strategies for survival used by the Gambian ruling elites to butterss their state's position vis-a-vis other states. In this respect, I would be inclined to say that this mini-state has for the past eight years pursued policies consciously designed to enhance the survival capabilities of both the regime and the state.

The first and perhaps the most important strategy is the one that seeks to create at home a political situation which encourages compromise or co-optation. This is to say, the politics of non-coercion or cooptation are used to keep the regime on solid ground. Reading clearly the signs in the dangerous elements which pose serious threats to the regime. Rather than set up a dictatorship of the rural areas, which by the way is numerically possible, President Jawara seeks to bring into his cabinet people from the highly influential urbanites (most of whom are Wolof by language) (5).

Such a strategy is rational and rewarding, for it creates the necessary modus vivendi, from which the other strategies flow. That is, by coopting or winning over elites from potentially dangerous areas, the regime avoids the possible booby traps on the home front. But I would hasten to add that, though the ethnic arithmetic may give rise to a working power equation sooner or later one of the numbers contributing to the power question may lose its value, and thereby create a breakdown. At any rate, however, such a development has not yet taken place in the Gambia. And, until such a situation arises, we can hold on to the arguments advanced above.

The second strategy is Gambia's utilization of the trasditional technique of manipulation of the conflicts among big power neighbors by smaller states. In so far as Gambia is concerned, three circles are of significance to her immediate needs. The first deals with the Commonwealth circle ; the second, with the Western circle; and the third, with the African circle. The Commonwealth circle is important to the Gambia for two reasons: first, there is the financial aid from Britain, and we must remember that when the Gambian leaders decided in 1964 that they too wanted to join the club of independent states, the British government promised to help in the balancing of the Gambian budget. In fact, the British contributed heavily to the development chest of the Gambia during the 1967/71 period. The British govenment has also assisted the Gambia to meet her 1971/74 development program.

---

(5) These political alignments are discussed lengthily in my Ph. D. dissertation on *Political Parties and National Integration in the Gambia* (University of Virginia, 1972).

mid-fifties, the colonial economic experts banked heavily on the ilminite production, hoping that Gambia's economic woes would be once and for all done away with by such a gold mine. Unfortunately such a dream quickly faded away, once those investors turned their backs away from the Gambia. The British colonialists who were running the Gambia at the time became disillusioned, for previous efforts and time were fruitlessly expended on poultry, fisheries, and timber schemes (2). To the average British colonial official, Gambia was just a hopeless case.

This became more and more widely expressed when the wind of chang began to sweep across the African continent. For, since every African colony was demanding independence, many thought that Gambia would join the bandwagon. Many British officials as well as some Gambians, however, felt that independence was unsuited for this little country simply because of the scarcity of resources and the unviability of the territory. Those who held this view argued quite strongly and persuasively that an independent Gambia was a bad investment and that Gambians were gambling with their lives by choosing such a disastrous course (independence(3)).

Well, the train of events decided otherwise, and today Gambians are among those marching soldiers of the Third World who are fighting a war, not against other human beings, but against time and underdevelopment. Faced with the question of survival in an international system whose older members have perfected both the techniques of power and the techniques for survival, this little country is now determinedly struggling to carve a place for itself in the international system dominated by nuclear giants.

Gambia's struggle for viability is based on three assumptions. First, there is the fear that any manifestation of inviability compromises, if not destroys, the personality of a state. Second, in the language of Karl Deutsch, the Gambian leadership assumes that Gambia's dignity would be tampered with in the realm of international relations if she does not prove her viability and self-sufficiency (4). And, finally, Gambian leaders also assume that failure to meet the economic and social demands of their internal clientele would lead to breakdown and chaos.

---

(2) Harry Gailey discusses these schemes in his *A History of the Gambja* (New York : Frederick Praeger, 1965;, pp. 142–158.

(3) "Gambia : A Gamble ?" *Venture*, Vol. 17, No. 3 (March, 1965;, pp. 11–12.

(4) Karl Deutsch, in his *Nerves of Government*, defines dignity as the ability to use one's personal ty. See pp. 131–132 for the application of this to the state's behavior. (New York : The Free Press, 1966).

GAMBIA : A STATE IN SEARTH OF VIABILITY

By
SULAYMAN NYANG*

When the colonialist Goliaths began to retreat from the vast territories over which they had greedily held on for several decades, the nationalist Davids soon found out to their dismay that the parcelling out of spoils was only a small part of the responsibilities accompanying their victory. For, immediately after independence, they learned that their new responsibilities called for the establishment of institutions guaranteeing the continued exis tence of law and order in their societies ; for the creation and development of a sense of peoplehood among the diverse tribal groups over whom previously the colonialist giants ruled ; and, finally, for the construction of technological foundations on which economic, social, cultural, and political facilities had to be built, if the defeated Goliaths were to be kept at bay[1]

Gambia, Africa's smallest state, came into existence in 1965, almost four years after the year which is now commonly called Africa's year. Though a latecomer in the ranks of African independent states, this small West African state is the microcosm of the total condition of the developing countries. In fact, this little country personifies the blunder of a colonial power ; that is, she is the absurd result of the colonial feuds of the European powers, particularly France and Britain.

Historical and geographical circumstances seemingly have conspired to make Gambia a struggling state in search of viability. Resting on the bosom of Senegal, Gambia occupies a territory of 4,000 square miles, and her population, as of the 1963 census, does not yet reach 400,000. This country's source of revenue is groundnut (or peanut), which is the cash crop grown by almost 90% of the population. Unlike her distant neighbors, say Zaire and Ghana. Gambia does not have any valuable mineral resources. In the

(1) Arnold Rivkinv, *Nations by Desjgn* (Garden City : Doubleday, 1967;, pp. 1-7.

* Dr. NYANG, a Gambian citizen, is currently the Acting Director of African Studies and Research, Howard University, Washington, D.C.

help delimit the state. Another reason lies in the homogeneity of environment and people, who find no difficulty in changing loyalt from one chief to the other, who after all is of the same racial affinity.

Islam in west Africa marked a turning point in its history. Under the urge of the new faith more powrful states arose under the organization of more zealous potentate of mixed Berber and Negroid blood. They had the zeal for apreading Islam to the Negroid forest area and their states took advantage of Islamic law and jurisdition to lay the foundations of strong states. They had regular relations with Islamic centre in Rabat, Querawan, Tripoli, Cairo and further relations with Mecca, Medina, Damacus and Baghdad.

Thus Sudanic peoples not only attained nationhood but succeeded in establishing nation-states. They needed time, as was allowed other nations to strengthen their structure and elaborate other governmental requirements. However this was denied for them at the advent of European colonial powers.

NOTES

1. For practical appreciation of the growth of African states Vide Church, H. in the Changing World, ed. East, G. & Moodie, A. E. London 1956, Chapter XXX and XXXI.
2. *Op. Cit.*
3. Vide, Arkell, A.J. Early Khartoum, London,Oxford University Press, 1949 ; Shaheinab: an Account of the excavation of a neolithic occupation site, London. Oxfor, University Press, 1953 ; Clark, J.D. The problem of Neolithic Culture in Subsaharean Africa pp. 600–621 in Background to Evolution in Africa, ed. by Walter W. Bishop & J. Desmond Clark, the University of Chicago Press, Chicago, London, 1967.
4. *Op. Cit.* also, ride, Cornevin, R. Histoire des peuples de l'Afrique Noire, Berger-levrault, Paris, 1963, pp 87–133, & 190–165.
5. DAVIDSON, B. Old Africa Rediscovered, 1959.
6. Cf. JONES, A.H.M. & MONROE, E.A, History of Ethiopia, 1935.
7. Cf. GAUTIE&, E.F. Le Passe de L'Afrique du Nord, les siecles olbscurs, 2me. edn. 1952, Also Ibn Khaldun, Histoire des Berbers, 3 vols. tr. de slane (Paris, P. Gautier, 1925.
8. Vide note 3 above, and Sir Mortimer Wheeler, Rome beyond the Imperial frontiers, Penguin, 1954 and Bovill, EW. Caravan of the Old Sahara, 1933 ; The Golden Trade of the Moore, 1958.
9. Howells, W. Mankind in the making, London, 1959, pp. 313–317.
10. *Ibid.*
11. MURDOCK, G.P. Africa, Its Peoples and their Culture History, New-York, 1959, pp. III ff.
12. Ibn Khaldun, *Op. Cit.*
13. Note 8.
14. Cf, July, R.W.A. History of the African Peoples, London, 1970, pp. 50 ff.

of patterns which seem to recur, and which to a limited extent seem to be comparable among different regions, periods and cultures. The process of Social mobilization and of nation building have recurrent phenomena in history. What uniformalities can we find in the growth of nations in West Africa and the Sabannah belt ? In this area nearly every state or ruling lineage had a traditional ancesstor who came from the desert or the north, fought some enemy of the people, killed it and established his rule. This is a reflection of the relations between the desert nomads and the Sudanese settlers. The Sudanic corridor had a power of absorbing outside influences, assimilating it and sudanizing it ultimately. This happened once and again from the Senegal in the west to the Funj kingdom on the Bule Nile in the east. This process had the one virtue that it kept Sudanic states alert and alive prevented stagness, which caused the downfall of non-Sudanic states on the Nubian reach of the Nile (14).

The Sudanic corridor witnessed the shift of national power form one centre to the other. Each centre had previously a coherent population of a certain lineage who had already shifted from subsistence agriculture to exchange economies. This change of economy provided for material wealth and military power. The seat of the new ruling power had always been a town of considerable growth, in this case a focus of caravan trades which secured both increasing ties of social mobility, communication and multiple economic change between the town — or the capital — and other caravan termini, and between town and country.

Each state in West Africa while secured in walled cities kept control over basis communication lines linking important rivers, towns and trade routes in a flow of transport, travel and migration. The Senegal and Upper Niger rivers each in turn were controlled by successive states. This grid of communication helped to facilitate the growth of state in West Africa.

The successive states of West Africa however had common characterists. They all had no clearly defined borders. In fact the idea of a clean-cut border-lines of states is quite a newly advent of the modern European mind. Previously, nearly everywhere in the world ; states were separated from each other by broad no-man's land called frontier areas. The extent to which a state stretched from its cores depended on the strength of the potentiate. If the chief of the state is strong enough, he could seize a wider area, if weakness creeps in, the borders of the state shrink. This had a similarity with other steppe states of the Mongol-Tartar origin in central Asia before the Russian conquest. One reason for this is lack of physical features to

in the same time the natural foe and the dependent of the savannah people. They usually graze the moisture regions, escort caravans across their homeland and eventually from time to time, when successive seasons of dry weather occur, raid the savannah country, conquer it, settle on its fringe, form a dynasty and at last become assimilated in the indigenous population. This is the pulse of Africa, akin to the pulse of Asia which was described by E. Huntington

Hence, the desert nomad*e* were bound up in a vast rythm of history with peoples who lived to the south and to the north of them. Ibn Khaldoun in the fifteenth century made this rythm of human migration the theme of his history (12). The beduins encrouched on the Mediterranean or the savannah settled areas, dominatd and formed the new successive state. It can be added to this that when thě settled area was organized under a strong central regime, it extended further into the desert and the nomadic people were forced to pay tribute to the strong power. These inter–relation between the sand and the sown–like other akin relations in central Asia-marked the histroyr of northern Africa west of the Nile Valley until the era of European colonization.

The main commodities carried by caravan routes during the first centuries A.D. were salt and gold. Gold came in profusion from Wangara region in upper Volta, Modern Guinea and Mali, between the confluences of the Niger, Senegal and Faleme rivers. It was located where salt caravans from the north assembled and hence the celebrated silent trade took place. Salt was mined in Taghaza, a village far off in the Northern desert. Thus caravan routes were well established across the desert from Sijilmassa, Taghazea to Sanhaja country and Timbuktu and Gao, and from Tripoli through Fezzan to Kano and Lake Chad. More caravan routes were established especially after Arab conquest of North Africa and introducing the camel on a large scale (13).

This favoured the rise of trade centres and town dwellers communities. Trade cities lined the southern fringe of the desert thus creating desert ports busy in trade and cosmopolitan population. The geography of the Savannah region made it a natural corridor free from any obstacle, a sea of grassland where movement cannot be easier, a melting place where ideas, institutions and blood strains could meet, fuse and strengthen one another.

At many places and times tribes have merged to form peoples ; and peoples have grown into nations some nations founded empires and empire have broken up again to form smaller units. This process shows a number

not border lines, but frontier regions, the Delata and the Lower Nile valley up to the Ist cataract being the core of the state.

Ethiopia emerged in the first centuries of our era as a Semito–Hamitic state, estending its borders to the Red–Sea on one side and to the lower Blue–Nile on the other, but the core of the ctate remained the plateau, a strong hold and a refuge. Ethiopia however, had strong relations with south Arabia and strong religious affiliations with the Coptic church of Egypt. Ethiopia had always been a symbol of political freedom and independence (6).

The political formation of North Africa was influenced by two district elements : Mediterranean and Berber or indiginous elements. The Libyans, Numidians and other Berber nations had always withdrawn into their mountainous refuge, leaving the littoral to phoenician, Greek, Roman or Vandal brief and successive occupations. This however came to an end when after long struggle with the Arab conquerors they submitted to new conditions and shared lively in the formation of political entities under the aegis of Islam, not only in their own country but also across Gibraltar in Spain and across the desert in the country of the Sudan (7).

The Berbers had long and nearly uninterrupted relations with the Savannah belt and West Africa. Perhaps the desert Berbers coined the term Ghana or Ghinia which means the black or ethiops in their language. The Sahara had for long been regareded as a barrier. In fact it has been more of a link between the Mediterranean and the tropical parts of Africa. It was more hospitable and well inhabited up to the Neolithic times (8). When descication was complete about the fifth millenium B.C. both the animal and human populations of the Sahara either migrated to the south or sought refuge in the many scattered oases of the desert. It is thought that the Negroid race itself evolved in the southern part of the Sahara, an evidence of Asselar finds near Tembectu (9). Most of this race migrated south in the Mesolithic and after with the receding water supply and so it was that the savannah came to be the country of the black or Bilad al–Sudan who abandoned their ancient Sahara sites and settled in the grasslands bordering the desert (10).

By the first millenium A.D. the dominant desert nomads had emerged as the Tuareg–fair skinned Berbers whose military skill and toughness enabled them of wrestling a livlihood from the slender resources of their land. (11) Like other herdsmen in the old world the Berber nomads engaged themselves in two activities ; trading and raiding. Their marginal existence made them

Second, the newly created states, in many respects sprang in the moulds of previous ones. It is therefore necessary to assess the validity of state formation in political geographical terms.

This may reveal constant deeply rooted factors and variable less valid ones in the structure of these states.

Northern Africa is a vast territory comprising more than half of the continent. To point out major geographical divisions one is at once aced with a Mediterranean littoral with a mountainous hinterland in North Africa and desert shoreline east of Tunisia separated from the savannah and woodland country in the south by a huge belt of almost rainless desert, the Sahara. This division gives the impression that the Mediterranean littoral was quite separated from tropical grass and forest Africa. This seeming obstacle is cut through in the East by the River Nile and was eventually crossed in the west by early caravans. To begin with the River Nile in Eastern Africa is the most prominent natural phenomenon which cut through the desert belt and link the equatorial plateau and Ethiopia where it gets its water with the Mediterranean shores where it flows. Needless to say that the early civilization of Egypt and its very existence as Herodotus said is the gift of the Nile. The land of Egypt was built up many millenia ago by the silt of Ethiopia ; thus filling up the elongated gulf of the Mediterranean with rich silt. The Egyptian civilization is the flower of African soil.

In return the Egyptian civilization penetrated into the sub-Saharean region upstream the Nile. The extent of Egyptian culture influence cannot be exaggerated. In fact the cultural relations between Egypt and the rest of Africa began long ago in the pre-historic times. The African Neolithic in Shahenalb and Badari were similar (3). Before the Sahara became completely descicated in the 6th millenium B.C. traffic we active between Fayoum, Kharga, the Nile Valley in Egypt across the desert to the grass corridor south of the Sahara. (4) Evidence continue to be collected about cultural diffusion up the Nile and across the desert.

The fruit of these relations was the emergence of Kush (IX—xth cent. B.C.), which eventually became a secondary source of Egyptian influence in Africa (5). Kush was a true African state, bearing all characteristics of grassland states.

The ancient times were concluded in Northern Africa with the complete formation of the Egyptian state with its historic frontiers, Gagza in the east, Syranaica in the west and Nubia in the south. These however were

GENESES OF POLITICAL STATES IN NORTHERN AFRICA

By

Prof. Dr. MOHAMED EL-SAYED GHALLAB

A hundred years ago Africa was not yet completely discovered. Yet the fate of Africa particularly south of the Sahara was being formulated during this last century. Expeditions of discovery, missionary activities, colonialism and imperial interests, all shared in the formation of present African states.

Confining ourselves to Northern Africa, we are presented at once with two genetically different types of states ; old sedentary states and new nomadic or semi-nomadic evolving ones. This classification coincides with the major ethnic division of the continent into Semitc-Hamitic peoples in the east and north and the Sudano-Negritic peoples south of the Sahara. Neverthless, regions of contact showed more or less affinities to both types of states.

There are some common idea about African states. Some ascertain that most African nations do not have long histories as nationalities and that their nationalities have been created in the crucible times of a revolutionary struggle against a colonial power. (1) They also believe that the unity of the nations was forged in the fight against an external enemy (2).

The present writer claims that nationalies were not new and imported concepts in Africa. On the contrary African nationalities were in active evolution just before they were cruelly aborted by colonial powers. Neverthless their geneses remained dormant unitl it was high time for them to emerge though in new shapes.

Archeological and anthropological studies have shown that African peoples in pre-colonial period had grown political entities of some sort and were in fact in their way of forming nation-states by their own initiative.

This paper will put the emphasis on West Africa for many reasons. First, there is a certain homogeneity, ethnic and cultural, in West Africa.

CONTENTS

OUR BULLETIN

This is the first issue of this scientific bulletin published by the Institute of African Studies, Cairo University.

The goal of this bulletin as apparent from the essays published here is purely academic. It is to publish recent researches either done by the specialized staff of the institute or by others. These researches deal with the different aspects of the continent of Africa.

Our Institute views this bulletin as a complement to its scientific mission, because, as a specialized institute, it aims foremost to encourage studies dealing with our continent and also to publish all new research and findings about it. Its aim is also to exchange this knowledge with other Institutes and Universities or other scientific bodies either in African Countries or anywhere else all over the world.

As we welcome this exchange of knowledge which serves our combined efforts, we hope that these studies about the African Continent, its inhabitants their activities, their civilization and their contributions towards the progress of mankind may always develop and grow.

Edltor

Editor : Prof. Dr. M.A. SEOUDY


Contributions to this magazine are welcomed and should be sent to :
Prof. Dr. M. A. SEOUDY
33, Misaha Street, Dokki, Cairo, Egypt.

AFRICAN STUDIES REVIEW



Vol. 3 1974

Issued by the Institute of Research and African-Studies, Cairo University

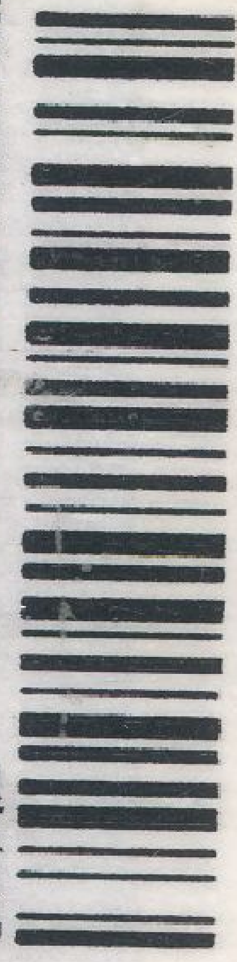


AFRICAN STUDIES REVIEW



Vol. 3 1974

Issued by the Institute of Research and African Studies, Cairo University.



Bibliotheca Alexandrina
0535436